حقيقة الجهر والهمس عند سيبويه

إعداد

حمزة إبراهيم يوسف النادي

المشرف

الأستاذ الدكتور/ جعفر نايف عبابنة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول

على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار 2013م

حقيـــقـــةُ الجَهْـــر والهَمْسِ عند ســـيبـــويه

إعداد

حمزة ابراهيم يوسف النادي

المشرف

الدكتور جعفر نايف عبابنة

قـدّمتْ هذه الرسالة استكمالا لمتطلّـبات الحصول على درجة الماجستير في اللغةِ العربيّة وآدابـها

كليّـة الدراسات العليا
الجـامعـة الأردنيّـة

أيـار ٢٠١٣ م

الإهداء

إلى والديَّ اللذين قرأتُ عليهما كتابَ لغة الحياة وأدبها ...

إلى شيخي أكرم زيادة الذي قرأتُ عليه بالسند المتصل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعظمَ كتاب وُضع بين دفتين ...

إلى إخواني وأهل بيتي الذين تحمَّلوا معي عبء هذا العمل ...

إلى كلِّ من علَّمني ، أو أعانني على تحصيل العلم ...

أهدي ثمرة هذا الجهد

شكر وتقدير

أستاذيَ المشرف :

عجبًا لتلك الهيبة ! تضطرم في صدري كلما أردت أن أشكركم ، فإذا هي لهيب كأشد ما يكون اللهب مما أعرفه من تقصيري بحقكم . هيبةٌ تجعل مثلي يعجز أن يكلمكم كِفاحًا بما يضمره قلبه من محبتكم وإجلالكم .

أستاذيَ المشرف :

أحبكم في الله حبًّا لا تدخله غائلة ، ولا يشوبه ما يشوب ألفاظ الناس من الخداع والنفاق في زمان انتُزِع فيه كل معنى شريف عن لفظه الذي وُضِع له في أصل الفطرة المستقيمة .

تلميذكم

الفهرس

حقيقة الجهر والهمس عند سيبويه

إعداد

حمزة إبراهيم يوسف النادي

المشرف

الدكتور جعفر نايف عبابنة

الملخص

تقوم مشكلة هذه الدراسة على الاضطراب الذي رآه الباحث بين الدارسين المحدثين في تفسير تعريف المجهور والمهموس من الأصوات عند سيبويه . وسبب هذا الاختلاف أنّ سيبويه لم يربط الجهر والهمس بالوترين الصوتيين ذلك الربطَ الذي يشيع عند علماء الأصوات . لذلك مهّد الباحث لهذه الدراسة ببحث تاريخ هذا الربط ، وتوصّل في هذا التمهيد إلى أنّ العرب كانوا يعرفون الوترين الصوتيين ، ويدركون أنّ لهما أثرًا مبهمًا في التصويت . كما توصّل إلى أنّ أنطوين فرين لم يكن مكتشفًا للوترين الصوتيين وإنما كان مكتشفًا لهذا الأثر المبهم ، ودوره في إصدار الصوت المجهور .

وقد جاءت هذه الدراسة في فصلين ، تتبّع الباحث في أولهما آراء الباحثين المحدثين في تفسير تعريف المجهور والمهموس عند سيبويه ، والمآخذ التي أخذها كل باحث منهم على تفسير مخالفيه . وقد جعل الباحث هذه الآراء في قسمين ، يجمع بين أولهما اتفاق مقصود سيبويه والمحدثين بالجهر ، كما يجمع بين آخرهما اختلاف المقصود بالجهر بين سيبويه والمحدثين . وقد أتبع الباحث هذين القسمين بمناقشة عامّة رجّح فيها رأي القسم الأوّل من الباحثين ، وأنّ سيبويه كان يعني بالمجهور ذلك الصوتَ الذي يكون الوتران عند إنتاجه في وضع الذبذبة .

ثمّ عرض الباحث لخلاف الدارسين في تفسير دلالة ألفاظ سيبويه في تعريـف المجهـور ، وأتبع ذلك بمناقشةٍ بيَّن فيها وجه دلالة هذه الألفاظ على ما رجّحه في المناقشة العامّة .

أمّا الفصل الثاني فقد عرض فيه الباحث للأصوات المجهورة والمهموسة عنـد سـيبويه ، وآراء الباحثين في تفسير الخلاف في وصف كلٍّ من الطاء والقاف والهمـزة بـالجهر بـين سيبويه والمحدثين ، ورجّح أن يكون وصف سيبويه لصوت الطاء صحيحـًا لأنه كان يقصد تلك الطاء التي سمّاها بعض الباحثين بالطاء المهموزة التي يصحبها قفلٌ للوترين الـصوتيين ثم فكّ لهذا القفل بصويت القلقلة الذي يسبب ذبذبة الوترين ، وقد جعل القدماء هذا الـصويت متمِّمـًا لصوت الطاء الفصيحة وجزءًا منها ، كما رجّح الباحث مثل ذلك في صوت القاف . وذهب إلى أنّ هذين الصوتين في العربية الفصيحة التراثية يندرجان في الأصوات التي يكون الوتران الصوتيان عند إنتاجهما في وضع الذبذبة .

أمّا الهمزة فيرجِّح الباحث فيها صحة وصف سيبويه لها بالجهر ، وخطأ المحدثين فـي نفـي صفة الجهر عنها ، لأنّ الخصائص السمعية للصوت المجهور التي ذكرها سـيبويه وأقرّهـا المحدثون تنطبق على صوت الهمزة انطباقـًا يدلُّ على أنّ الجهـر ينـتج عـن وضـعين تصويتيين للوترين ، هما وضع الذبذبة ووضع القفل التامّ ، ولا موجبَ لحصره في وضـع تصويتي واحد كما ذهب إليه المحدثون .

مقدمة

الحمدُ للهِ حمدًا يُبلِّغني رضاه ، يتجاوزُ به عن تقصيري ، ويُسدِّدُ به على الحقِّ طريقي، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسول الله محمَّدِ بن عبد الله ، وعلى أبويه الرَّسولين الكريمين إبراهيمَ وإسماعيلَ وسائرِ الأنبياء والمرسلين . وبعد :

فإنَّ مشكلة هذه الدراسة تقوم على الاضطراب الذي رآه الباحث بين الدارسين المحدثين في تفسير معنى الجهر والهمس وبيان حقيقته عند سيبويه . ويعود هذا الاضطراب في نظر الباحث إلى انفصام العُرى بين الدرس الصوتي الحديث والتراث الصوتي العربي الذي استقر فيه مفهوم الجهر والهمس استقرارًا واضحًا بحيث ظل مفهوم سيبويه هو المفهوم السائد في كلِّ ما كتبه العلماء العرب عن هذه الظاهرة في كتب النحو والصرف والتجويد والقراءات . وهذا يعني أن مفهوم سيبويه كان واضحًا في أذهانهم أشد الوضوح ، وكذلك يكون واضحًا في ذهن كل من ألِف عبارة سيبويه في كتابه ، وعرف مصطلحاته وجمع كلَّ ألفاظه التي زعم كثير من المحدثين أنها مشكلة متناقضة تبلغ أن يقال فيها : (تتسم بالصعوبة والتعقيد) أو (غامضة عسيرة الفهم) .

وتبع هذا الاضطرابَ وجه آخرُ منه لا يقل عنه غموضًا وتناقضًا ، اضطراب أفضى إلى إطلاق أحكام شديدة الخطر على أصوات العربية (التراثية) من مثل الطاء والقاف والهمزة التي وصفها سيبويه بالجهر ووصفها المحدثون بالهمس عدا الهمزة التي تباينت فيها آراؤهم . وهذه الأحكام التي أطلقوها تنسف حقيقة تاريخية تجاهلها أغلب الباحثين الذين عُنوا بدراسة ظاهرة الجهر والهمس وتناولوا سبب اختلاف سيبويه والمحدثين في وصف الطاء والقاف بالجهر أو الهمس وخلُصوا إلى احتمال أن تكون الطاء (التراثية) ضادًا حديثة وأن تكون القاف (التراثية) جيمًا مصرية أو غينًا كنطق السودانيين للقاف اليوم .

وهذه الحقيقة التاريخية التي تستند إلى أدلةٍ علمية مجمع عليها بين المنصفين من الباحثين العرب والغربيين هي حقيقة التواتر اللفظي لأصوات العربية التي يُقرأ بها القرآن الكريم . ولو كانت الطاء العربية (التراثية) – التي تناقل أداءها جمع عن جمع تناقلاً يستحيل فيه

تواطؤهم على الكذب وينتفي معه احتمال الخطأ – ضادًا حديثة أو القاف العربية (التراثية) جيمــًا مصرية أو غينــًا كنطق السودانيين للقاف اليوم لسَمِعَ الناس تلاوة القــرّاء فــي هــذا الزمان على مثل هذا الوصف لصوتي الطاء والقاف .

وفي ضوء هذه الحقيقة سعى الباحث إلى تبيّن الوجه الصحيح لهذه المسألة عــن طريــق دراسة تعريف سيبويه للجهر والهمس ، ووصل في دراسته لألفاظ هذا التعريف التي اختلــف فيها المحدثون اختلافــًا شديدًا إلى ما يُرجِّح أنــّه مراد سيبويه منها من خلال ألفاظ ســيبويه نفسه في كتابه وسياق استعماله لها في مواضع أخرى من الكتاب . وقد قادت هذه الدراســة لمفهوم الجهر والهمس عند سيبويه إلى الحديث عن الأصوات المجهورة والمهموسة ومــشكلة الطاء والقاف والهمزة التي عالجها الباحث علاجــًا جديدًا يستند إلى الدراسة السابقة لتعريف سيبويه ، وبعض صور المماثلة الجزئية بين الأصوات التي وقع فيه الخــلاف والأصــوات المجاورة لها في العربية ولهجاتها المتنوعة .

وقد انتظمت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين ، أما التمهيد فقد عرض فيه الباحث لتعريــف الجهر عند المحدثين وخلص إلى أنّ تعريف الجهر بنسبة الذبذبة للوترين أدقّ من تعريفــه بنسبة الاهتزاز لهما ، كما خلص إلى خطأ الباحثين الذين قرروا أنّ العرب لم يعرفوا الوترين الصوتيين من الناحية التشريحية وأنهم لم يدركوا لهما أثرًا في عملية التصويت ، لأنهم عرفوا جسمــًا في الحلق سمّوه الشوارب ونسبوا إليه الصوت ، ورجّح الباحث من خلال شرح هــذا المصطلح في كتب الأدب واللغة أن يكون المقصود به الوترين الصوتيين .

كما أثبت الباحث في هذا التمهيد أنّ الأطبّاء العرب عرفوا الوترين الصوتيين من الناحية التشريحية وأدركوا أنّ لهما أثرًا في عملية التصويت كما أدركوا أوضاعهما الرئيــسة التــي قررها المحدثون ، وقد سمّى الأطباء العرب فتحة ما بين الوترين الصوتيين بلسان المزمــار كما سمّوْا الوترين الصوتيين بالعضل المطبق للحنجرة . وهذا كله يدل علــى أنّ أنطــوين فرين لم يكن مكتشفــًا للوترين ، وإنمّا كان مكتشفــًا لدور هذين الوترين في إصدار الصوت المجهور ، وقد تعرَّض الباحث في أثناء ذلك إلى خلاف الباحثين المحدثين فــي المقــصود بالغضروف الذي لا اسم له في التراث الطبي العربي ورجّح أن يكون المقصود به الغضروف الحلقي . كما أشار الباحث إشارةً مختصرة إلى أهمِّ المسائل التي تتعلّق بالجهر عند المحدثين

كالوترين الصوتيين الكاذبين ، وأوضاع الوترين الصوتيين ، والنظريات التي تفسِّر الجهــر ، وخصائص الصوت المجهور والصوت المهموس ، وتصنيف الأصوات المجهورة والمهموسة عند المحدثين . وقد أشار الباحث إلى الخلاف في تصنيف الطاء والقاف والهمزة بين سيبويه والمحدثين ، واحتمالات تفسير هذا الخلاف التي تنبني على السؤال الذي يجيب عنه الفــصل الأول من هذه الدراسة .

والسؤال الذي يجيب عنه الفصل الأول من هذه الدراسة : هل يقصد سيبويه في تعريفــه للصوت المجهور والصوت المهموس ما يقصده المحدثون بهذين المصطلحين ؟ أم أنَّه يقــصد بهما شيئــًا آخر يختلف تمام الاختلاف عن مقصود المحدثين ؟

وقبل أن يجيب الباحث عن هذا السؤال أشار إشارة مختصرة إلى أصالة علم الأصوات عنــد العرب ، كما أشار إلى أهمية تعريف سيبويه للمجهور والمهموس من الأصوات في التــراث العربي ، وهي أهمية جعلت أغلب القدماء ينقلون تعريف سيبويه بألفاظه نفسها ، أو ينقلونـــه نقلاً مقاربــًا ، كما جعلتهم يهملون تعريف ابن دريد الذي خلط فيه بــين الجهــر والــشدة ، وتعريفَ السكاكي الذي اكتفى فيه بجزء مما ذكره سيبويه . وقد بــيَّن الباحــث أيــضــًا أنَّ تعريفات بعض علماء التجويد للصوت المجهور ليس فيها إضافات جديدة على تعريف سيبويه كما ظنَّه بعض الباحثين .

وقد عرض الباحث بعد ذلك لانقسام الباحثين في الإجابة عن السؤال السالف إلى قسمين ، قسم ذهب إلى أنَّ سيبويه كان يقصد في تعريفه للصوت المجهور والــصوت المهمــوس مــا يقصده المحدثون بهذين المصطلحين . وقسم ذهب إلى أنه كان يقصد بهما شيئــًا آخر يختلف تمام الاختلاف عن مقصود المحدثين .

وقد عرض الباحث لآراء القسم الأوَّل من الباحثين تبعــًا لنصوص سيبويه التي تحدَّث بها عن الصوت المجهور والصوت المهموس ، وهي نصوص ثلاثة أولها نص تعريف المجهور والمهموس في الكتاب الذي جعله سيبويه مقدِّمة لباب الإدغام وعرض لتفسيره جمهرة الباحثين ، وثانيها النص الذي سمَّى به سيبويه الأصوات المجهورة بالحروف المــشربة فــي (بــاب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيُحرَّك ، لكراهيتهم التقاء الساكنين) ، وأغلب الباحثين

لم يفد من هذا النص في تفسيره للجهر عند سيبويه ، وثالثها النص الذي ذكره السيرافي في شرحه للكتاب ، وهو نص إجابة سيبويه عن سؤال أبي الحسن الأخفش عن الفصل بين المجهور والمهموس ، وقد أهمل بعض الباحثين هذا النص ولم يفيدوا منه أيضًا في تفسير الجهر عند سيبويه .

وقد أثبت الباحث في تفصيله لآراء القسم الأول من الباحثين المآخذ التي أخذها كل باحث منهم على تفسير مخالفيه . وقد فصّل الباحث بعد ذلك آراء القسم الثاني من الباحثين واعتراضاتهم على تفسير مخالفيهم دون ربطها بنصوص سيبويه الثلاثة لأنّ أغلبهم لم يعرضوا إلا لتفسير النص الأول ، كما لم يفيدوا من النصين الآخرين . وقد أتبع الباحث هذين القسمين بمناقشة عامّة رجّح فيها رأي القسم الأوّل من الباحثين ثم أتبع ذلك بمناقشة تفصيلية لدلالة ألفاظ سيبويه في نصوصه الثلاثة على ما اختاره في المناقشة العامّة .

وتبعـًا للإجابة عن سؤال الفصل الأوّل سعى الباحث إلى دراسة الأصوات المجهورة والمهموسة عند سيبويه وخلاف المحدثين معه في الطاء والقاف والهمزة في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

وقد فصّل الباحث مذاهب المحدثين في تفسير هذا الخلاف في صوت الطاء ، ورجّح أن تكون الطاء التي وصفها سيبويه تلك الطاء التي سمّاها بعض الباحثين بالطاء المهموزة ، لكنّ هذه الطاء يصحبها قفل الوترين الصوتيين ، ويجمع الباحثون المحدثون على أن وضع القفل التام للوترين لا يندرج في تعريف الصوت المجهور .

وقد ردّ الباحث هذا الإشكال بأنّ الطاء الفصيحة التي وصفها سيبويه طاءٌ مقلقلة ، والقلقلة عند القدماء صفة لازمة للصوت ساكنـًا كان أو متحركـًا أو ساكنـًا موقوفـًا عليه على اختلاف قوتها وظهورها في هذه الأحوال . وقد عدّ القدماء صويت القلقلة جزءًا من الصوت المقلقل ومتمّمـًا له ، مستدلّين على ذلك بأنّ القلقلة غير معتبرة في سكون الحرف وتحركه في الميزان العروضي . وهذه القلقلة تسبب فكّ قفل الوترين ثم ذبذبتهما ذبذبةً تجعل من الطاء الفصيحة صوتـًا مجهورًا ، وتدل على صحة ما ذهب إليه سيبويه . وقد رجّح الباحث مثل ذلك في صوت القاف .

أما الهمزة فقد رجّح الباحث – بعد أن عرض مذاهب المحدثين في تفسير الخلاف في وصفها بالجهر بين سيبويه والمحدثين – صحة وصف سيبويه لها بالجهر لأنّ الخصائص التي ذكرها سيبويه للصوت المجهور وأقرّها المحدثون سواء ذهبوا مذهب القسم الأول أو مذهب القسم الثاني في تفسير الجهر تنطبق على الهمزة انطباقًا يدل على أنّ الجهر ينتج عن وضعين تصويتيين للوترين ، هما وضع الذبذبة ووضع القفل التامّ ، ولا موجبَ لحصره في وضع تصويتي واحد كما ذهب إليه المحدثون .

وهذا ما يختاره الباحث في تعريف الجهر ويوصي أن يؤخذ به فيما يستجدّ من الدراسات والأبحاث في هذا العلم .

على أنّه لا يخلو كتاب أو بحث أو رسالة جامعية في علم الأصوات من الحديث عن الجهر والهمس بمفهومهما الحديث الذي يرتبط بالوترين الصوتيين ، وإن عرضت هذه الدراسات لمفهوم الجهر والهمس عند القدماء فإنها تذكر احتمالات ثلاثة لاختلاف المفهوم بين القدماء والمحدثين بترجيح أحدها تارة دون دراسة عميقة متأنية أو بترك الترجيح بين هذه الاحتمالات الثلاثة تارة أخرى . وتتلخص هذه الاحتمالات بأن سيبويه قد أخطأ في تعريف الجهر والهمس أو أنه قصد بالجهر والهمس شيئًا آخر غير ما قصده المحدثون أو أنه يقصد ما قصده المحدثون إلا أنه لم يهتد إلى معرفة الوترين الصوتيين من الناحية التشريحية ووظائفهما النطقية في أداء الصوت المجهور أو المهموس .

وتنفرد عن هذه الدراسات دراستان اثنتان خصصتا لدراسة الجهر والهمس :

١ – ميكانيكية النطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية ، للأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية ، وهو بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الثاني والستون ، الجزء الثالث (٤٨٨ – ٥٤٠) ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م . ومع شمول هذه الدراسة لدور الجهر والهمس في عملية النطق وإصدار الأصوات فإنها لم تتعرض لمعنى الجهر والهمس عند سيبويه أو القدماء البتة .

٢ – أثر الجهر والهمس والمخرج في المعنى والمبنى للغة ، فيصل حسن إبراهيم العمري ، رسالة دكتوراة ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٤ م . وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان أثر كل من

الجهر والهمس والمخرج في أبنية العربية ومعانيها مقتصرة على الجذور الثلاثية في معجم لسان العرب ، كما عرضت لمعنى الجهر والهمس لغة واصطلاحًا في الفصلين الأول والثاني من الباب الأول ، وواضح أن الباحث في هذه الدراسة لم يكن يهدف إلى تتبع ظاهرة الجهر والهمس عند سيبويه ودراستها دراسة دقيقة بقدر ما كان يهدف إلى أثر هذه الظاهرة بمفهومها الحديث في معاني العربية وأبنيتها في معجم لسان العرب .

والله أسأل أن أكون قد وُفقت للصواب فيما كتبت ، فإن كان ذلك فالفضل لله – عزّ وجلّ – وإن كانَ غيرُه فحسبي أنني سعيت في الوصول إلى الصواب طاقتي وجَهْدي .

حمزة إبراهيم النادي

تــمهيد

في تاريخ ارتباطِ تعريف الجَهْر والهَمْس بِالوترَيْن الصوتيَّيْنِ

يعرف المحدثون الصوت المجهور بأنه الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، كما يعرّفون ضده الصوت المهموس بأنه الصوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، ويُفهم من لفظ الذبذبة في اللغة تكرار الدفع والمنع لأنه مصدرٌ للمضاعف من الفعل ذبَّ ، إضافة إلى الاضطراب والاهتزاز والحركة .

ويستلزم الدفعُ والمنعُ اللذان يفيدهما هذا اللفظُ وجودَ جسمين يذب أحدهما الآخر بحيثُ يصطدمان ويضطربان ويدفع أحدهما الآخر ويمنعه ويطرده [١] ، وهذان الجسمان في تعريف المجهور والمهموس هما الوتران الصوتيان ، ويعبر بعض الباحثين في تعريفهم للمجهور والمهموس من الأصوات عن الذبذبة بلفظ الاهتزاز الذي يفيد مجرد الاضطراب والحركة ظنًّا منهم أن اللفظين مترادفان ، والفرق بينهما يجب ألا يخفى على دارسي علم الأصوات من العرب لأنهم في غالبهم من المتخصصين في العربية وآدابها .

وقد نصَّ عدد من الباحثين على أن الصوت المهموس يصحبه اهتزازٌ للوترين الصوتيين ، ولكنّه دون ذلك الاهتزاز الذي يُحسُّ مع المجهورات . قال الدكتور تمّام حسّان :

(... الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء ، ولكنّها تتقارب دون التصاق في حالة الهمس) [٢] .

ونسبة الاهتزاز للوترين لا تفيد أنهما يلتصقان وإن أفادت تقاربهما الذي يحدث مع المهموس والمجهور ، كما لا تفيد هذه النسبة ما تفيده نسبة الذبذبة للوترين التي تستلزم التلاصق بسبب معاني الدفع والمنع والطرد التي يفيدها لفظ الذبذبة في اللغة .

وقال الدكتور عبد القادر عبد الجليل :

(لا يعني الهمس الصمت المطبق للأوتار الصوتية ، أي ليس للنفس معه ذبذبات ، بل يحدث ذلك بنسبة قليلة بدليل إدراك الأذن البشرية لتلك الأصوات) [٣] .

---

(١) قال في اللسان في باب (ذبب) (٦ / ١٥) : (الذبُّ : الدفع والمنع . والذبُّ : الطرد) ، وقال أيضًا في باب (هزز) (٦٠/١٥) : (الهزُّ : تحريك الشيء كما تَهُزُّ القناةَ فتضطرب) ، ونقل في الصفحة نفسها عن ابن الأثير : (الهزُّ في الأصل الحركة) .

(٢) حسّان ، تمّام (١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م) ، مصطلحات سيبويه في أصوات العربية ، **مجلة الأزهر** ، عدد شوال ، (١٠٨٢) .

(٣) عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، **الأصوات اللغوية** ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، (١٢٣) .

وقد نص الدكتور حسام البهنساوي على ذلك بعبارة مقاربة لعبارة الدكتور عبد القادر عبد الجليل [١] .

وقد عدّ الدكتور داود عبده الفرق الحقيقي بين المجهور والمهموس (هو أن ذبذبة الوترين الصوتيين تبدأ متأخرة قليلاً عند نطق الأصوات غير المجهورة) [٢] ، والدكتور داود عبده يستعمل لفظ الذبذبة مرادفًا للاهتزاز أو الاضطراب لذلك أثبت الذبذبة لكلٍّ من المجهور والمهموس ، ولو فرّق الدكتور بين الذبذبة والاهتزاز ذلك التفريق الذي قدّمتُه لأثبت ذبذبة الوترين الصوتيين للمجهور واهتزازَهما للمهموس ، وهذا هو المرادُ من كلامه .

على أنّ استعمال لفظ الذبذبة بمعناه المتقدّم في تعريف المجهور يثبتُ للوترين الصوتيين مرونة عضلية ، وقد اتخذ بعض الباحثين في علم الأصوات من هذه المرونة وحدها نظريةً فسّروا بها الجهر ، كما اتخذ كثيرٌ منهم من هذه المرونة مع تيار الهواء نظرية أخرى لتفسير الجهر ، وهي النظرية التي تجد قبولاً عامًّا بين الدارسين اليوم كما سيأتي [٣] .

ولا تخلو الوشوشة من اهتزاز الوترين الصوتيين واضطرابهما وحركتهما أحيانًا [٤] ، وتعريفُ الجهر بمجرد اهتزاز الوترين لا يميزه عن وضع الوترين في حالة الوشوشة التي تُصنَّفُ إلى نوعين :

١ – الوشوشة العاديّة : (وفي هذا الوضع يتم تضييق فراغ المزمار بدرجات متفاوتة حيث يتقارب الجزء الأماميُّ الغشائي من الوترين الصوتيين ويشكل ثلثي طولهما ، ويتباعد الجزء الخلفي الغضروفي ويشكل الثلث الباقي . ويتحقق صوت الهاء في العربية نتيجةً لمثل هذا الوضع حين يعبر الهواء فراغَ المزمار وقد تقارب الوتران الصوتيان واتخذ المزمار شكلاً

---

(١) البهنساوي ، حسام (٢٠٠٥ م) ، **الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، (٦٣) .

(٢) عبده ، داود (٢٠١٠ م) ، **دراسات في علم أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمّان ، (٤٢/٢) .

(٣) انظر : (٢٩ – ٣٠) من هذه الرسالة للوقوف على تلخيص النظريات التي تفسر الجهر .

(٤) وأحيانًا أخرى تصدر أصوات الوشوشة دون أي مشاركة من جانب الوترين ، حيث يتولى فراغ البلعوم وفراغ الفم مهمة اعتراض الهواء لإنتاج الصوت كما قرّره مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) **دراسة السمع والكلام** ، القاهرة ، دار عالم الكتب ، (١٢٦) .

مثلثًا يطلق عليه مثلث الوشوشة) [١] .
وتضييق فراغ المزمار في هذا النوع من الوشوشة يتم بتقارب الجزء الأمامي من الوترين وتباعد الجزء الخلفي منهما كما سبق . وحركة الوترين هذه لا يمتنع دخولها في تعريف الجهر باهتزاز الوترين كما يمتنع في تعريف الجهر بذبذتهما .

٢ – الوشوشة المسرحية الشديدة : وفيها (يُغلقُ الجزء الأمامي الغشائي إغلاقًا محكمًا على حين يبقى الجزء الغضروفي مفتوحًا) [٢] وهذا معنى ما قاله الدكتور سعد مصلوح في بداية حديثه عن وضع الوشوشة من أوضاع الوترين الصوتيين :
(يتميز الصوت الصادر عن جهاز النطق في حال الوشوشة بانعدام الاهتزاز المنتظم للوترين الصوتيين) [٣] فحالة الوشوشة يتم فيها اهتزاز غير منتظم للوترين أو حركة غير منتظمة شرحها سعد مصلوح في كلامه عن نوعي الوشوشة ، ولم ينف الدكتور سعد اهتزاز الوترين في حالة الوشوشة ، إنما نفى حدوث الاهتزاز المنتظم فحسب وكأنه يشير إلى أن الفرق بين اهتزاز الوترين في حالة الجهر واهتزازهما في حالة الوشوشة انتظام الاهتزاز مع المجهور وعدم انتظامه مع الصوت الموشوش ، ولو استعمل لفظ الذبذبة في تعريف المجهور لما احتاج إلى الإشعار بهذا التفريق .

على أن هذا الارتباط بين مفهوم الجهر والهمس والوترين الصوتيين عند المحدثين يجب أن يفضي بالدارس إلى بحث تاريخ هذه العلاقة في علم الأصوات لا سيما إن كانت دراسته تتصل بسبب من موضوع هذا البحث الذي من شأنه أن ينزع الغموض عن مفهوم الجهر والهمس عند سيبويه ويحقق القول فيه تحقيقًا يصل به إلى رأي يرجو أن يكون هو الفصل بين الباحثين الذين عرضوا لهذه القضية .

---

(١) مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (١٢٧) .
(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(٣) المرجع نفسه ، (١٢٦) .

وقد قرر غير واحد من الباحثين المحدثين أن القدماء من العرب لم يكونــوا علــى معرفــة بالوترين الصوتيين ، وأنهم لم يدركوا لهما أثرًا في عملية التــصويت [١] ، وعللــوا ذلــك باعتماد القدماء على التجربة الشفوية في دراسة الأصوات دون الاعتماد على التشريح الــذي تقدَّم في هذا العصر تقدُّمــًا هائلاً لم يتوفر القدماء على مثله .

وسيبين الحديث التالي بأن القدماء من العرب لم يذكروا صراحةً دور الوترين الــصوتيين في تعريف الصوت المجهور ، كما سيبيِّن أن القول بعدم معرفة القدماء للوترين من الناحيــة التشريحية وعدم إدراكهم دور الوترين في عملية التصويت أبطولةٌ ليس لها أمارة من البحث والتحقيق . كما سيظهر جليًــا أنَّ مثل قول الدكتور عبد العزيــز الــصيغ : (والــوتران الصوتيان من الأعضاء التي خفيت على علماء العربية وظيفتهــا) [٢] لــيس دقيقــًا . كما هو قول جان كانتينو : (وأما الأوتار الصوتية فلا يبدو أن العرب قــد عرفوهــا) [٣] و قول الدكتور عبد القادر مرعي : (بقي مفهوم الوترين الصوتيين مجهولاً لــدى علمــاء العربية القدماء) [٤] ولا يقال : إنه عنى علماء العربية ولم يعن العلماء العــرب ، لأنــه وضح ذلك بقوله في الصفحة نفسها : (وظل الوتران الصوتيان مجهــولين حتــى العــصر الحديث) [٥] . فقد (كشف المتقدمون عن دور الوترين الصوتيين في عملية التــصويت ،

---

(١) انظر مثلاً : كانتينو ، جان ، **دروس في علم أصوات العربية** ، (نقله إلى العربية صالح القرمادي) ، نشر : مركز الدراسات النحوية والاقتصادية والاجتماعية ، (١٨) والنعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، ، بغداد ، طبع دار الرشيد للنشر ونشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، (٢٧٩) والمتولي ، صبري (٢٠٠٦ م) ، دراسات في علم الأصوات ، الطبعــة الأولــى ، القاهرة ، دار زهراء الشرق ، (٥٦) .

(٢) الصيِّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** ، الطبعــة الأولــى ، دمشق ، دار الفكر ، (٣٣) .

(٣) كانتينو ، جان ، (١٨) .

(٤) الخليل ، عبد القادر مرعي العلي (١٩٨٩ م) ، **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، (١٠١) .

(٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها

وجاء وصفهم لهما دقيقًـا للغاية) [١] كما يراه الدكتور عادل أبو شعر الذي يُرجع نفي كثير من الباحثين المحدثين لمعرفة المتقدمين بهذا الدور إلى النظرة الجزئية للتراث [٢] .

وقد وقفتُ على عدد من المصطلحات في الحلق [٣] ، ذكرها القـدماء واختلـف بعـض الباحثين المحدثين في تحديدها الدقيق في جهاز النطق ، وكثير من المحدثين لم يشر إليهـا أو يذكرها ، وبعض من ذكرها لم يفصلْ وجه القول فيها أو يبينْ أسباب ترجيحه للمـراد منهـا عندهم [٤] ، والراجح أن المراد منها الوتران الصوتيان أو فتحة ما بين الوترين التي تعرف باسم فتحة المزمار ، ومعرفةُ بعض القدماء بانقباض هذه الفتحـة وانبـساطها وأثـر هـذا الانقباض والانبساط في إنتاج الصوت دليل على معرفتهم بأثر حركة الـوترين فـي إنتـاج الصوت لأن شكل هذه الفتحة يعتمد على حركة الوترين الصوتيين . علـى أنَّ هـذا الـذي ذكرتـُـه لا يعني أني أقرُّ بصحة كل دليل استُدِلَّ بــه على ما ذهبتُ إلـيه .

وهذه هي المصطلحات التي أشار بـها القدماء إلى الوترين أو فتحة مـا بينهمـا (فتحـة المزمار) مرتبةً ترتيبًا تاريخيـًا حسب تاريخ وفاة أقدم مؤلف ذكرها أو أشار إليها :

١ – الشوارب

٢ – لسان المزمار

٣ – العضل المُطبق للحنجرة

---

(١) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، **المصطلحات الصوتية في التـراث اللغوي عند العرب ، دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (١٣٧) .

(٢) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (١٣٧) . وانظر : المهدي ، بوروبة (١٩٨٩ م) ، **المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب** ، رسالة ماجـستير غيـر منـشورة ، جامعة حلب ، سورية ، (١٣٤) .

(٣) ولستُ أدعي أن وقوفي عليها كان بفضل نظري في كتب القدماء وحده ، وإلا كنتُ كلابس ثوبي زور ، وإنما دلني على بعضها الدكتور عادل أبو شعر في رسالته (المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب ، دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري) وهي أجمع رسالة في بابهـا فيما أعلم .

(٤) مثل : النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) . **الوتران الصوتيان وتحليل وظائفهما النطقيـة فـي دراسة أصوات اللغة العربية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرمـوك ، الأردن ، فـي تناولـه لمصطلح (الشوارب) في (٤٠) .

أمّا مصطلح (الشوارب) فقد رواه القدماء في كتب اللغة [١] ، وذكرته العرب في بعض شعرها ، وشرحه بعض نقاد الشعر ، ونسبوا إليها الصوت .

قال أبو ذؤيب يصف حمارًا بكثرة نهيقه :

صَخِبُ الشَّوارِبِ ، لا يزال كأنَّه عبدٌ ، لآل أبي ربيعةَ ، مُسْبَعُ [٢]

وقد شرح المفضل الضبي الشوارب بأنها : (مخارج الصوت في أقصى الحلق) [٣]

والحنجرة عند القدماء تدخل في أقصى الحلق وتعد منه ، وقد ذكروا أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق [٤] ، وثبت عند المحدثين أن مخرجها من فتحة ما بين الوترين (فتحة المزمار) ، وهذا يدل على أن موقع الشوارب في فتحة المزمار .

---

(١) انظر مثلاً : الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) الخليل بن أحمد ، **كتاب العين** ، (تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي) ، دار الهلال ، بغداد ، ١٩٨٥ م ، (٦ / ٢٥٨) . وانظر كذلك : ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ، **جمهرة اللغة** ، (تحقيق : رمزي منير بعلبكي) ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، (١ /٢٩٠) . وانظر أيضًا : ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، **المقاييس في اللغة** ، (حققه : شهاب الدين أبو عمرو) ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، (ص : ٥٥٨) . وانظر : ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، الطبعة الرابعة ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٥ م ، (٨ / ٤٦) .

(٢) البيت من اختيارات الضبي (توفي نحو ١٦٨ هـ) ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم ، **المفضليّات** ، (تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، (٤٢٢) ، والبيت كما في المتن لأبي ذؤيب الهذلي من عينيته المشهورة : (أمن المنون وريبها تتوجع) ، وقد استشهد بالبيت عدد من علماء اللغة كصاحب العين (٢٥٨/٦) وابن فارس (٥٥٨) وابن منظور (٨ / ٤٦) .

(٣) الأنباري (ت ٣٠٤ هـ) ، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار ، **شرح المفضليات** ، (حققه : كارلوس يعقوب لايل) ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠ م ، (٨٥٨) .

(٤) انظر مثلاً: ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن يوسف ، **التمهيد في علم التجويد** ، (حققه : الدكتور علي حسين البواب) ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ، (١/ ١٠٦) .

ولم أرَ من المحدثين من ذكرها أو أشار إليها غير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح [١] والباحث علي النعيم [٢] ، وقد فسرها عبد الرحمن الحاج صالح بلسان المزمار (فتحة ما بين الوترين الصوتيين) ، وفسرها علي النعيم بالوترين الصوتيين دون أن يشرح كلٌ منهما أسباب ترجيحه لهذا التفسير . ولستُ أرى كبير فرق بين التفسيرين ، لأن انقباض فتحة المزمار وانبساطها وأثر ذلك في عملية التصويت ناتج عن حركة الوترين كما أسلفت . وقد ظنَّ علي النعيم أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يقصد بلسان المزمار (الغلصمة) كما يقصده أغلب علماء الأصوات المحدثين ، ولو نظر جيدًا في الصورة التي وضح فيها الدكتور موقع الشوارب لعلم أنه يقصد فتحة ما بين الوترين الصوتيين التي تعرف بفتحة المزمار عند المحدثين ولسان المزمار عند المتقدمين كما سيأتي تفصيله [٣] .

ومما جاء في شرح الشوارب في اللسان :

(لها قَصَبٌ منه يَخرجُ الصوت) [٤] .

(عروقٌ مُحدِقةٌ بالحلقوم ، يقال : فيها يقع الشَّرَق) [٥] .

وتشير العبارة الأولى إلى أن الشوارب مصدر لإنتاج الصوت ، وهي تؤيد ما قاله المفضل الضبي في شرح الشوارب (مخارج الصوت في أقصى الحلق) ، كما تردُّ هذه العبارة أن يكون المقصود بالشوارب لسان المزمار على معناه عند المحدثين الذي يدل على الصفيحة الغضروفية التي تغلق مجرى التنفس عند البلع وتغلق مجرى البلع عند التنفس ، وتسمى أحيانًا (الغلصمة) ، لأنَّ هذه الصفيحة لا يصح أن ينسب إليها الصوت لأن دورها المحدود في إنتاج الصوت لا يجعل منها مخرجًا لإنتاجه كما قال المفضل الضبي ، على أن بعض المحدثين نفى أن يكون لها دور في عملية التصويت [٦] .

---

(١) الحاج صالح ، عبد الرحمن (١٩٨٥ م) ، تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل ، **الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني** ، الطبعة الأولى ، مجمع اللغة العربية الأردني ، عمّان ، (١١٢) .

(٢) النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٤٠ – ٤١) .

(٣) الحاج صالح ، عبد الرحمن (١٩٨٥ م) ، (١١٢) .

(٤) ابن منظور (٨ / ٤٦) .

(٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦) انظر : الشطناوي ، منير تيسير (٢٠٠٩ م) ، **نظرات في علم الأصوات** ، ، عمّان ، من منشورات الجامعة الهاشمية ، (١١٦) .

أمّا العبارة الثانية التي نقلتـُها من اللسان فهي العبارة التي لا تجعلني أشك في أن المراد بالشوارب عندهم الوتران الصوتيان ، ووجه ذلك لا يتأتى شرحه إلا بشرح مفردات هذه العبارة كما ورد في اللسان نفسه .

فالحلقوم كما نقله صاحب اللسان عن ابن سيده (مجرى النفس والسعال من الجوف ، وهو أطباق غراضيف ، ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد ، وطرفه الأسفل في الرئة ، وطرفه الأعلى في أصل عَكَدةِ اللسان ، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت) [١] . والعروق تعني أصول الشيء التي تمده كالجذور للشجر ، وتشبيه الشوارب بالعروق دالٌ على شبهها بها في شكلها وهيئتها إضافة إلى دلالته على شبهها بها في تركيبها فعروق الشجر (ريانة مكتنزة ترفُّ يقطر منها الماء) [٢] ويحيط بهذه العروق غلاف خارجي يحمي الماء الذي فيها وكذلك الوتران الصوتيان يتكونان من طبقة صدفية جلدية تحفظ الوترين على هيئة ثابتة (نظرًا لأن الأجزاء التالية لها مكونة إلى حد كبير من مادة هلامية [مخاطية] ليست ذات شكل ثابت) [٣] كما ثبت أنَّ للوترين غُدَدًا تزودهما بمادة مخاطية تقوم مقام الزيت والشحم للمحركات [٤] .

وهذه العروق محدقة بالحلقوم أي أنها مستديرة محيطة به من داخله ، قال في اللسان : (حدَق به الشيء وأحدق : استدار ... وكل شيء استدار بشيء وأحاط به فقد أحدق به) [٥] والوتران الصوتيان يتكونان من عضلة بارزة تحيط بالفراغ الحنجري الذي يدخل في الحلقوم عند القدماء (كما تحيط الشفتان بفراغ الفم) [٦] كما ذكره الدكتور عبد الرحمن أيوب .

---

(١) ابن منظور (٤ / ٢٠٢) .

(٢) المصدر نفسه (١٠ / ١١٦) .

(٣) أيوب ، عبد الرحمن (١٩٨٤ م) ، **الكلام إنتاجه وتحليله** ، الطبعة الأولى ، الكويت ، مطبوعات جامعة الكويت ، (١١٢) .

(٤) النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٥٣) .

(٥) ابن منظور (٤ / ٦١) .

(٦) أيوب ، عبد الرحمن (١٩٨٤ م) ، (١١٠) .

والشَّرَقُ عند العرب غالبًا ما يكون بالريق والماء ونحوهما من كل مائع ، والشجى مثله إلا أنه غالبـًا ما يكون بالعظم واللقمة ونحوهما من كل جامد ، والغصص يعم الشَّرَق والـشجى ، وقد يطلق كل من اللفظين ويراد به الآخر [١]

وقد نصَّ صاحب اللسان على أن الشرق يقع في الشوارب ، سواء كان بالماء على مـا هـو الغالب عند إطلاق لفظه أو بغير الماء ، ويشعر المرء عند الـشرق بحرقـة فـي الـوترين الصوتيين تسبب له السعال ، وقد أيّد الطب الحديث ذلك ، فقد جاء في موقع الصحة الطبيـة الإلكترونية العالمي (emedicinehealth) [٢] :

(Many large objects get stuck just inside the trachea at the vocal cords)

وأمّا لسان المزمار فيطلق في اصطلاح المتقدمين كالرازي وابن سينا وابن ملكا البغـدادي على فتحة المزمار أي فتحة ما بين الوترين الصوتيين ، ويطلق في اصطلاح المحدثين علـى تلك الصفيحة الغضروفية التي تغلق مجرى البلع عند التنفس وتغلق مجرى التنفس عند البلع ، وقد ظنَّ بعض الباحثين أنّ ابن سينا ذكر شيئـًا مغايرًا للسان المزمار سمّاه (الجسم الـشبيه بلسان المزمار) [٣] وأشار إليه الرازي وعلي بن العباس المجوسي قبل ابن سينا ، وجـاء هذا الظنُّ من قول ابن سينا في قانونه : (وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يـسمى لـسان المزمار ... وهذا الجرم الشبيه بلسان المزمار من شأنه أن ينضم وينفتح ليكون بـذلك قـرع الصوت) [٤] ، والحديث عن لسان المزمار نفسه لا عن شيء آخر ، ففـي بعـض نـسخ القانون زيادة (وهذا الجرم الشبيه بلسان المزمار من المزمار) [٥] فلسان المزمار فـي جهاز النطق مشابه للسان المزمار في المزمار نفسه لا أن جهاز النطق يحوي جسمين الأول

---

(١) انظر : العسكري (ت ٣٩٥ هـ) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيـى ابـن مهران ، **الفروق اللغوية** ، (حققه : بيت الله بيّات) ، الطبعة الأولى ، قمّ ، إيران ، مؤسـسة النـشر الإسلامي ، ١٤١٢ هـ ، (٢٩٩) .

(٢) http://www.emedicinehealth.com/choking/page٢_em.htm

(٣) الضالع ، محمد صالح (١٩٩٠ م) ، **علم الأصوات عند ابن سينا** ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، (٦٠) .

(٤) ابن سينا (٤٢٨ هـ) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، **القانون في الطب** ، الطبعة الأولى (وضع حواشيه : محمد أمين الضناوي) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ، (٢ / ٣٠٢)

(٥) انظر : الشطناوي ، منير تيسير (٢٠٠٩ م) ، (١١٧)

منهما لسان المزمار والثاني جسم شبيه بلسان المزمار ، فكلمة المزمار الثانية وردت في نص ابن سينا السابق بمعناها اللغوي لا بمعناها الاصطلاحي الخاصّ بجهاز النطق .

وقد ذكر الرازي في (الحاوي) لسان المزمار بعبارة (الجسم الشبيه بلسان المزمـــار) ، وعدّه الآلة الأولى للصوت دون أن يفصل الحديث فيه (١) ، وهذا يدل على أن هذا الجسم كان يشبه بلسان المزمار دون أن يكون له اسم مشهور مصطلح عليه بين الأطباء ، وبعد ذلك بدأ الأطباء يختصرون اسم هذا الجسم بلسان المزمار ويطلقون عليه أحيانًا العبـــارة كاملـــة (الجسم الشبيه بلسان المزمار) على نحو ما فعله ابن سينا الذي كان يختصر الاسم تارة ويذكر العبارة كاملة لدلالتها على أصل التسمية تارة أخرى ، كما يدل قوله : (وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار)(٢) أن هذه التسمية لم تكن بعدُ مشتهرةً بين أهل الطب ، وقد أشرتُ آنفًا إلى أنّ بعض الباحثين المحدثين ظنّ أن ابن سينا أشار بهاتين التسميتين إلى جسمين متغايرين في الحلق . حتى إذا جاء ابن ملكا البغدادي استعمل مصطلح لسان المزمار مختصرًا دون العبارة التي تدل على أصل التسمية (٣) .

والدليل على أن الأطباء العرب يعنون بلسان المزمار فتحة ما بين الوترين الصوتيين أو ما يسمى بفتحة المزمار أنهم جعلوا للسان المزمار دورًا رئيســًا في عملية التصويت ، كما عدّوه (الآلة الأولى للصوت) (٤) وأنّه (خلق لأجل التصويت)(٥) وأنه (الآلة التي يكـــون بها الصوت)(٦) و(أشرفُ آلات الصوت) (٧) ، كما نسبوا إليه تكرار الضم والفتح لينتج الصوت ، ولسانُ المزمار بمعناه عند المعاصرين ذو وظيفة محدودة في إنتاج الصوت بعمله

---

(١) الرازي (٣١٣ هـــ) أبو بكر محمد بن زكريا ، **الحاوي في الطب** ، الطبعة الأولى ، (اعتنى به : هيثم خليفة طعيمي) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ هـــ ، ٢٠٠٢ م ، (١ / ٤٥٥) .

(٢) ابن سينا ، القانون (٢ / ٣٠٢) .

(٣) ابن ملكا (ت ٥٤٧ هـــ) أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي ، **المعتبـــر فـــي الحكمة** ، حيدر أباد ، جمعية دار المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ هـــ ، (٢ / ٢٦٤) .

(٤) الرازي ، (١ / ٤٥٠) .

(٥) ابن سينا ، القانون (٢ / ٣٠٢) .

(٦) كما هي عبارة الزهراوي في : أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـــ) ، (١٤٠)

(٧) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

على (تكييف الرنين بما يحدثه من تغير في حجـم الحنجـرة) [١] ، وبعـض البـاحثين المحدثين ينفي أن يكون له شأن في إنتاج الصوت كما أسلفت ُ .

قال ابن سينا في قانونه : (وخلـق لأجل التصويت الشيء الذي يـسمى لـسان المزمـار ، يتضايق عنده طرف القصبة ثم يتسع عند الحنجرة فيبتدئ من سعة إلى ضيق ثم إلى فضاء

واسع كما في المزمار ، فلا بد للصوت من تضييق المحبس . وهذا الجـرم الـشبيه بلـسان المزمار من شأنه أن ينضم ُ وينفتح ليكون بذلك قرع الصوت) [٢] .

وليس في الحنجرة شيء ينضمُ وينفتح غير فتحة المزمار تبعـًا لحركة الوترين الصوتيين ، وليست هذه الحركة خاصة ً بالصوت المجهور كما أثبتـّـُه في مقدمة هذا التمهيد . ويتلخصُ من هذا أن المراد بلسان المزمار عند المتقدمين فتحة ما بين الوترين الصوتيين التي تعـرف بفتحة المزمار .

وقد عرض الدكتور عادل أبو شعر نص ابن سينا السابق على طبيبيْن استشاريين هما الدكتور محمد عبد الرزاق استشاري أمراض الأنف والأذن والحنجرة بمستشفى قشان العـام بجـدة ، والدكتور محمد أمين الكسم استشاري أمراض الأنف والأذن والحنجرة بمشفى الرازي بدمشق وأجمعا أن ابن سينا إنما يتحدث عن الأوتار الصوتية ، وليس عن الغضروف المسمى حديثـًا بلسان المزمار ، كما ذكر الدكتور عادل أبو شعر أن الغضروف المسمى حديثـًا بلـسان المزمار أشار إليه ابن سينا وسمّاه (الغضروف المتكئ على المجرى) [٣] وقد رجعت ُ إلى القانون ونظرت في حديث ابن سينا عن هذا الغضروف فإذا هو كما ذكر الدكتور عادل أبـو شعر ، وهذا نص ابن سينا في قانونه :

(والازدراد لا يُجَامع النَّفس لأن الازدراد يحوج إلى انطباق مجْرى قصبة الرئة من فوق لئلا يدخلهَا الطّعَام المَار فوقهَا وَيكون انطباقها بركوب الغضروف المتكئ على المجرى) [٤] .

---

(١) مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (١٠٩) .

(٢) ابن سينا ، القانون (٢ / ٣٠٢) .

(٣) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (١٣٩) .

(٤) ابن سينا ، القانون (٢ / ٣٠١) .

وقد سلك أبو الحسن المجوسي مسلك الرازي في التعبير عن لسان المزمار بالعبارة التي تدل على أصل التسمية (الجسم الشبيه بلسان المزمار) ، فقال : (... فأما صفة تجويف الحنجرة الذي يخترقه الهواء إلى داخل وإلى خارج فإن ّ فيه جسمًا شبيهًا في شكله بلسان المزمار ... وهذا الجسم في جوهره ليس يشبه شيئًا من أعضاء البدن . وذلك أنّ جوهره كأنّه ممتزج من الشحم والغشاء والغدد ، وهذا الشحم يسمى (طبق الحنجرة ولسانها) ، وهو الآلة الأولى من آلات الصوت ... فإذا انطبق مجرى الهواء ، وبقي محصورًا اندفع الهواء إلى جانبي طبق الحنجرة ، ففتح الثقبين اللذين كانا مطبقين بانضمام شفاههما بعضهما إلى بعض . وهذان الثقبان اللذان في جانبي طبق الحنجرة ممدودان بالطول من فوق إلى أسفل ، كأنهما خطان صغيران شبيهان بالغشائين مطبقين لازمي التجويف) (١) .

ولا يمكن أن يقصد أبو الحسن بلسان المزمار ما يقصده المحدثون لأنه حدد موقعه في داخل تجويف الحنجرة ، والظاهر أن أبا الحسن يعني بلسان المزمار فتحة ما بين الوترين وما يحيط بها ، وشرحُه لتركيب هذه الفتحة وما يحيط بها من شحم وغشاء وغدد يطابق ما ذكره المحدثون مطابقة شبه تامّة ، وقد شبّه ما يحيط بالفتحة بالطبق ، ويحيط بجانبي فتحة هذا الطبق من الداخل (خطّان صغيران شبيهان بالغشائين مطبقين لازمي التجويف) وهما أيضًا (ممدودان بالطول من فوق إلى أسفل) وكل هذا مما ثبت عند المحدثين للوترين الصوتيين ، فواضح كلّ الوضوح أنّ هذين الخطين هما الوتران الصوتيان اللذان شبههما أيضًا بالشفتين كما ذهب إليه كثيرٌ من الباحثين المحدثين من العرب والغربيين .

قال محمود السعران : (وهما أشبه بشفتين منهما بوترين ، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية) (٢) .

وقال إبراهيم أنيس : (والوتران الصوتيان هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين) (٣)

---

(١) نقلت ُ هذا النص عن (أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (١٣٨)) ، وقد نقله عن كامل الصناعة الطبية (١/ ١٢٠) لأبي الحسن المجوسي ، ولم أتمكن من الوقوف على هذا المصدر .

(٢) السعران ، محمود ، (د . ت) ، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (١٣٦) .

(٣) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، **الأصوات اللغوية** ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٨) .

وقد ذكر علي النعيم عددًا من الباحثين الغربيين الذين يذهبون إلى هذا الـرأي (ويفـضلون تسميتهما بالشفاه الصوتية أو الشفتين الصوتيين (vocal lips) ويعللون ذلك في كثير من الأحيان بالتشابه في التركيب) [١] .

وقد أدرك أبو الحسن المجوسي دور انطباق مجرى الحنجرة وضيقه في إنتاج الـصوت ، فقال : (والصوت لا يمكن أن يكون حتى ينطبق مجرى الحنجرة) [٢]

وينبغي أن أشير إلى أني لو وقفت عند كل عبارة من العبارات التي نقلتها عن أبي الحسن المجوسي وغيره من الأطباء العرب لاستحال هذا التمهيد رسالة أخرى تخرج في مضمونها عن مقصود هذه الرسالة ، والهدف من هذا التمهيد إثبات معرفة العرب للـوترين الـصوتيين وإدراكهم أثرهما في عملية التصويت فحسب .

وقد استعمل ابن ملكا البغدادي مصطلح لسان المزمار للدلالة على فتحة المزمار ، فقد قـال عن الحنجرة :

(وهي آلة التصويت كرأس المزمار ، ولها لسان كلسان المزمـار ، ليقتطـع الهـواء فـي التصويت ، وينطبق عليها غضروف مكبّي عند البلع حتى لا يدخل إليها شيء مما يبتلع من الطعام والشراب إذا لا مخرج له منها فيؤذيها) [٣] .

واقتطاع الهواء يلزم منه الانطباق والانفتاح والتوسيع والتضييق ، وهذا لا يتم في الحنجرة إلا بحركة الوترين الصوتيين ، فكيف يسوغ بعد ذلك أن يقبل مثل قول جان كانتينو الذي سلف : (وأما الأوتار الصوتية فلا يبدو أن العرب قد عرفوها) [٤] ، وليس يعني ابن ملكا بلـسان المزمار ذلك الذي يعنيه المحدثون الذين يطلقون لسان المزمار على تلك الصفيحة الغضروفية التي تغلق مجرى التنفس عند البلع ومجرى البلع عند التنفس لأن تلك الصفيحة ليس لها دور رئيس في عملية التصويت كما سبق ، وقد أشار ابن ملكا إلى هذا الغضروف في نصه السابق وجعله مغايرًا للسان المزمار .

---

(١) النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٤٣) .

(٢) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (١٣٩) عن أبي الحسن المجوسي في كامل الصناعة الطبية (١ /١٢٠) .

(٣) ابن ملكا البغدادي (٢ / ٢٦٤) .

(٤) كانتينو ، جان ، (١٨) .

وأمّا مصطلح (العضل المُطبِـق للحنجرة) فقد ذكره ابن سينا في القانون [١] وشـرحه ابن النفيس في شرح تشريح القانون وزاد على ابن سينا في شرحه [٢] ، وما رأيت أحدًا من الباحثين في علم الأصوات أشار إليه . قال ابن النفيس في شرحه لأنواع عضلات الحنجرة : (النوع الرابع : المطبق للحنجرة . وهذا ليس يمكن أن يكون من خارج الحنجرة لأن إطباقها إنما يمكن أن يجذب الطرجهال إلى ملاقاة الدرقي .

فلو كان هذا الجاذب من خارج الحنجرة لكان ليفه إنما يصعد إلى الطرجهال من قدام فم الحنجرة أو من جانبيه إلى قدام ، فكان عند انفتاحها ورفع هذا الطرجهال فإنما يبقى ذلك الليف مضيقاً لمنفذ الهواء إلى الحنجرة ، وموجباً لخلل في الكلام فلا بد وأن يكون من داخل الحنجرة ، فلو كان كبيراً لضيقها فلا بد وأن يكون صغيراً ، ولكن هذا الإطباق لا بد وأن يكون قوياً جداً حتى يكون مقاوماً لجميع عضلات الصدر والحجاب عند إرادة حبس النفس. وإنما يمكن ذلك مع صغر هذا العضل بأن يكون ذلك العضل قوياً جداً. ولم يمكن أيضاً أن يكون عدده كبيراً لئلا يلزم ذلك ضيق الحنجرة فجعل هذا العضل زوجاً واحداً. وكل واحد من فرديه صغير جداً قوي غاية القوة ، ويبتدئ الفردان من داخل الدرقي يمنة ويسرة . ويصعدان آخذين إلى خلف ليتصلا بالطرجهال مثبتين فيه من جانبي طرفه الملاقي للذي لا اسم له، ولا بد وأن يلتحما في ممرهما بالذي لا اسم له. وفائدة ابتدائهما من أصل الدرقي أن يكون تشنجهما مع كونه محدثاً للانطباق موجباً لانضمام الدرقي إلى الذي لا اسم له انضماماً ما، فيكون السد محكماً، وقد يوجد في بعض الناس زوج صغير موضوع في أعلى الذي لا اسم له من داخل يتصل بالدرقي من طرفه يعين الزوج المذكور في الانطباق .) [٣] .

ولو قارن الناظر في هذا النص بين العبارات التي خُطَّ تحتها وما أثبته الباحثون المحدثون من صفة الوترين الصوتيين وتركيبهما لما شكَّ بأنَّ ابن النفيس إنما يقصدهما بهذا الشرح .

---

(١) (١ / ٦٦) .

(٢) ابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ) ، أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم القَرَشي الدمشقي ، **شرح تشريح القانون** ، (تحقيق : الدكتور سلمان قطاية والدكتور بول غليونجي) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٨ م ، (١٩٦ – ١٩٧) .

(٣) المصدر نفسه (١٩٦ – ١٩٧)

فهذا عبد الرحمن أيوب يقرر أن الأوتار الصوتية (هي الجزء العلوي من الفراغ الحنجري . وهي عبارة عن عضلة بارزة تحيط بهذا الفراغ كما تحيط الشفتان بفراغ الفم) (١) كما قرر أن العضلة الصوتية تعدُّ جسم الوتر الصوتي لأنها توجد في الوتر تحت الرباط الصوتي الذي يتكون من طبقات ثلاث ، الغلاف ، والمنطقة الهلامية أو المخاطية والمنطقة المطّاطة (٢) ، كما ذكر علي النعيم أن الوترين الصوتيين يظهران عند رؤيتهما من أعلى (على شكل زوج من الأشرطة العضلية) (٣) وهذا عين ما ذكره ابن النفيس في النص السابق .

وقد ذكر ابن النفيس في النص السابق أنّ هذا الزوج من العضل المطبق للحنجرة يبتدئ كل منهما من أصل الغضروف الدرقي من الداخل ويصعد كل منهما آخذًا إلى خلف ليتصل بطرف الغضروف الطرجهالي الملاقي للغضروف الذي لا اسم له ، وهذا عين ما قرره المحدثون في تحديد موقع الوترين الصوتيين (٤) ، قال الدكتور غانم قدّوري الحمد في حديثه عن تشريح الحنجرة وغضاريفها عند المحدثين : (٣. الغضروفان الهَرَميّان [Arytenoid Cartilages]

ويُسَمّيَان في كتب التّشريح بالغضروفين الطّرْجَهَاليّيْن ، وهما غضروفان صغيران، كل واحد منهما يُشْبِهُ الهَرَمَ المثلث ، وهما يستندان على الجدار الخلفي العريض من الغضروف الحلقي، ويمتدّان في داخل فراغ الحنجرة من الخلف إلى الأمَام، ويتّصل بكل منهما نسيج عضلي يُشَكِّلُ نصف دائرة من كل جانب، وهما يشَكِّلان الوترين الصوتيين اللذين يسميان في كتب التشريح بالطّيّتَيْن الصوتيتين أو الثّنِيّتَيْن الصوتيتين. [Vocal Folds] .) (٥) .

---

(١) أيوب ، عبد الرحمن (١٩٨٤ م) ، **الكلام إنتاجه وتحليله** (١١٠) .

(٢) المرجع نفسه (١١٣) .

(٣) النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٤٩) . وانظر : بركة ، بسام ، د . ت ، **علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية** ، بيروت ، مركز الإنماء القومي ، (٦٢) .

(٤) ويتضح هذا إذا فسِّر الغضروف الذي لا اسم له بالغضروف الحلقي على ما هو الراجح من أقوال الباحثين المحدثين كما سيأتي تفصيله .

(٥) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٩ م) ، وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة ، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** ، العدد السابع والسبعون ، (١٨) .

كما ذكر الدكتور فوزي الشايب أن الأوتار الصوتية تمتد (من النتوءات الصوتية للغضروفين الهرميين[الطرجهاليين] إلى النتوء الداخلي لمقدمة الغضروف الدرقي) [١] .
كما ذكر ابن النفيس أنّ في بعض الحناجر البشرية زوجـًا صغيـرًا آخر من العضلات فـي أعلى الغضروف الذي لا اسم له يتصل بطرف الغضروف الدرقي يعين الزوج المذكور فـي الانطباق ، ويشير ابن النفيس بهذا الزوج إلى الوترين الصوتيين الكاذبين لأن موقع هذا الزوج هو نفسه موقع الوترين الكاذبين عند المحدثين لذلك قد يسميان بالوترين العُلويين [٢] ، وقد ذكر ابن النفيس أن هذا الزوج يعين الوترين الصوتيين في انطباقهما ، وقد ذهب إلى مثل هذا عدد من الباحثين الغربيين [٣] . على أنّ ابن النفيس يذهب إلى أن هذا الزوج العلوي يوجـد في بعض الناس ، وسبب هذا أن (التصاق الوترين الكاذبين غالبـًا ما يكون سريع الـزوال وغير واضح) [٤] ، وقد يُرى هذا الالتصاق عند بعض الناس وقد لا يُرى .

وقد ذكر ابن النفيس في نصه الذي نقلتُه آنفـًا غضروفـًا من غضاريف الحنجرة عُـرف في التراث الطبي العربي بالغضروف الذي لا اسم له ، وقد ذكره ابن سينا فـي قانونـه [٥] وفي رسالته التي عرض فيها لأسباب حدوث الحروف [٦] ، ولم أعرض في حديثي السابق لماهيّة هذا الغضروف ، وما يكون ، وقد اختلف الباحثون المحدثون في ذلك ، فقد ذهب

---

(١) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، **محاضرات في اللسانيات** ، عمّان ، نشر وزارة الثقافة ، (٥٨)
(٢) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، وانظر : النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٦١)
(٣) انظر : المرجع نفسه (٦١- ٦٤)
(٤) المرجع نفسه ، (٦٢)
(٥) (١ / ٦٥) .
(٦) ابن سينا (٤٢٨ هـ) ، **رسالة أسباب حدوث الحروف** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق : محمد حسان الطيّان ويحيى مير علم) ، تقديم ومراجعة : شاكر الفحّام وأحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ، ١٩٨٣م ، ص : (٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١١٠ ، ١١١) . وقد نشر الدكتور منير تيسير الشطناوي بحثـًا له في مجلة أبحاث اليرموك ، سلسلة الآداب واللغويات في المجلد ٢٢ ، العدد : ٢٠٠٤/٢ ، عنوانه : (**مصطلح " ما لا اسم له " في رسالة ابن سينا " أسباب حدوث الحـروف " بين الصياغة والمفهوم** ، ونشره في كتاب (نظرات في علم الأصـوات) (١٠٤-١١٨) فلينظـر ، وإن كنت أخالفه في تفسير هذا المصطلح كما وضّحتُ في المتن .

الدكتور إبراهيم أنيس [١] والدكتور سمير ستيتية [٢] إلى أنّ المقصود به لسان المزمار الذي يدل على الصفيحة الغضروفية التي تغلق مجرى التنفس عند البلع ومجرى البلع عند التنفس ، ويردُّ هذا الرأي ما نصّ عليه ابن النفيس آنفًا من أن "هذا الغضروف الذي لا اسم له متصل بالغضروف الطرجهالي (الهرمي) ، ولسان المزمار بمعناه عند المحدثين لا يتصل قطعًا بالغضروف الهرمي ، كما ذهب الدكتور منير الشطناوي إلى أنّ المقصود بالغضروف الذي لا اسم له لسان المزمار بمعناه عند المتقدمين الذي يدلُّ على فتحة ما بين الوترين الصوتيين التي تعرف بفتحة المزمار [٣] ، ويردُّ هذا الرأي أنّ الأطباء العرب ينصون على أنّ الذي لا اسم له جسم غضروفي من غضاريف الحنجرة ، وفتحة المزمار ليست جسمًا غضروفيًّا كما يلزم من هذا الرأي . وقد ذهب محمد الضالع إلى أنّ المقصود بالغضروف الثاني من غضاريف الحنجرة الذي عرف عند الأطباء العرب بالذي لا اسم له الغضروفُ الحلقي [٤] ، وهو الرأي الذي أرجحه لأنّه جسم غضروفي متصل بالغضروف الهرمي (الطرجهالي) كما ذكره ابن النفيس آنفًا وأشار إليه ابن سينا قبله بقوله :

(... وَالثَّانِي غضروف مَوْضُوع خلفه يَلِي الْعُنُق مربوط بِهِ يعرف بِأَنَّهُ الَّذِي لَا اسْم لَه) [٥]

والغضروف الوحيد الذي يلي العنق من غضاريف الحنجرة هو الغضروف الحلقي ، كما ذكر ابن سينا أنّ الغضروف الطرجهالي (يتصل بالذي لا اسم له ويلاقي الدرقي من غير اتصال) [٦] وهذه صفة الغضروف الحلقي عند المحدثين ، فقد مرّ في النقل عن الدكتور غانم الحمد أنَّ الغضروفين الطرجهاليين (الهرميين) (يستندان على الجدار الخلفي العريض من

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٤٢) .

(٢) ستيتية ، سمير (٢٠٠٣ م) ، **الأصوات اللغوية ، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية** ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار وائل للنشر ، (٥٤) .

(٣) الشطناوي ، منير تيسير (٢٠٠٩ م) ، (١١٧ – ١١٨)

(٤) الضالع ، محمد صالح (١٩٩٠ م) ، (٥٩) .

(٥) القانون (١ / ٦٥)

(٦) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الغضروف الحلقي) [١] . وقد اختصرتُ الحديث في هذا الغضروف اختصارًا شديدًا لعلّي أفصل الحديث فيه في غير هذه الرسالة .

وأول من أطلق على هذا الجسم المعروف الآن بالوترين الصوتيين هذا الاسم أنطوين فرين سنة ١٧٤١ م [٢] فقد شبهه بأوتار القيثارة التي تهتز بفعل الريح محدثة الأصوات الإنسانية بهذا الاهتزاز ، وأكثر ما يكون الاهتزاز واضحًا عند إصدار الصوت المجهور ، فهو بذلك أول من أدرك العلاقة بين مفهوم الجهر والهمس والوترين الصوتيين ، ويخطئ من يعده مكتشفًا للوترين أو مكتشفًا لدورهما في عملية التصويت ، فقد تبين بما سلف معرفة العرب للوترين الصوتيين وإدراكهم لأثرهما في عملية التصويت دون ذكر دورهما في إصدار الصوت المجهور ، فالقدماء من العرب عرفوا الوترين الصوتيين وأدركوا أن لهما أثرًا ما في عملية التصويت وجاء أنطوين فرين فحدد هذا الأثر الصوتي بالجهر والهمس من خلال تجربة أجراها على حنجرة كلب ميت ثم أعاد التجربة نفسها على حنجرة إنسان توفي حديثًا .
وشاعت بعد ذلك هذه التسمية بين الباحثين ، مع شيوع تسميات أخرى للوترين الصوتيين كالحبلين الصوتيين والثنيتين والشفتين والطيتين والحزامين ، ولا أرى وجهًا لاعتراض بعض الباحثين على مصطلح الوترين لأن الشبه بين الأوتار الصوتية الإنسانية والأوتار الموسيقية (شبه وظيفي في المقام الأول) ، فهذا المصطلح أنسب المصطلحات لهذا الجسم باعتبار مهمته الوظيفية وهو الأكثر استعمالاً في المؤلفات الخاصة بهذا الفن [٣] .

وقد سبق ابنُ جني أنطوين فرين في عقد المقارنة بين الحلق والآلات الموسيقية الوترية ، فقد شبَّه الجهاز الصوتي بالعود ، فقال : (... ونظير ذلك أيضًا وتر العود فإنَّ الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتًا ، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدّى صوتًا آخر ، فإن أدناه قليلاً سمعتَ غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ، والخفقة بالمضراب عليه كأول

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٩ م) ، وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة ، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** ، العدد السابع والسبعون ، (١٨) .

(٢) – انظر مثلاً : مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (١٣٢) والنعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٤١ – ٤٢) ، والشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٧) .

(٣) انظر لمزيد التفصيل : النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٤٢ – ٤٧) .

الصوت من أقصى الحلق) ثم قرّر أن علم الأصوات والحروف (له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم) [١] .

ولعلّ في عزو ابن سينا حدوث الصوت إلى اهتزاز الهواء عند ضرب الأجسام (القرع) أو انتزاع جسم من جسم آخر (القلع) ، وفي جعله أنواع الأصوات معتمدة على أنواع الاهتزازات وشدتها وكيفيتها [٢] ، وفيما وصل إليه العلماء العرب من تحديد الوترين الصوتيين وإدراك علاقتهما بالتصويت كما سبق بيانه – مقدمةً لما وصل إليه أنطوين فرين . وقد تُظهر لنا الأيّام علمًا مكنونًا في خزائن الكتب العربية في الكنائس والأديرة والمتاحف ودور الكتب في العالم يُبيّنُ أنّ اكتشاف العلاقة بين مفهوم الجهر والهمس والوترين الصوتيين إنجاز عربي خالص ، وإلا يكن ذلك فلولا العلماء العرب لتأخّر هذا الاكتشاف سنوات وسنوات .

ويسمون الوترين الصوتيين أحيانًا بالوترين الصوتيين الصادقين ، ليفرقوا بينهما وبين الوترين الصوتيين الكاذبين ، وقد مرت الإشارة إليهما عند ابن النفيس كما سلف . وهما وتران يوجدان أعلى الوترين الصادقين ، يختلفان عنهما في التركيب ، ولهما وظائفهما ذات العلاقة بإنتاج الأصوات ، وقد اختلف العلماء الغربيون في وظائف هذين الوترين اختلافًا كبيرًا ليس هذا موضع تفصيله ، على أن التجارب الحديثة أثبتت أن ما يشيع من عدم وجود علاقة بين الوترين الكاذبين وإنتاج الصوت غير صحيح [٣] .

كما يُخطِّئُ بعض الباحثين استعمال الوترين بصيغة الجمع ، ويعدّون هذا الخطأ من آثار الترجمة عن الإنجليزية لأن الإنجليزية لا تعرف التثنية ، ولا وجه لهذه التخطئة لأن استعمال الوترين بصيغة الجمع قد يُقصَدُ به الأوتار الصوتية عند الناس جميعًا لا عند فرد واحد [٤]

---

(١) ابن جني (٣٩٢ هـ) ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، **سر صناعة الإعراب** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، (١ / ٢٢) . ولو تأمّل القارئ ما قرره ابن جني في العبارة التي خطّ تحتها في المتن من أنّ خفق وتر العود بالمضراب يشبه أول الصوت في أقصى الحلق ، وتذكر ما قررته في حديثي عن مصطلح الشوارب من أنّ أقصى الحلق عندهم هو ما بين الوترين الصوتيين لأنه مخرج الهمزة عند القدماء والمحدثين – لعلم أنّ ابن جني كان يشعر بأثر الوترين الصوتيين في عملية التصويت .

(٢) ابن سينا ، **رسالة أسباب حدوث الحروف** (٥٦ – ٥٧) .

(٣) لمزيد التفصيل ، انظر : النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) ، (٦١ – ٦٤) .

(٤) المرجع نفسه (٤٧) .

، أمّا أن يقصد به فرد واحد ، فإن لم يُرَد الوتران الصادقان والوتران الكاذبان فلا وجه لذلك لأن استعمال الجمعِ مُرادًا به التثنية له في العربية أحوال مخصوصة ليس هذا منها (١) .

ولا أريدُ أن آخذ بالحديث عن تركيب الوترين الصوتيين وترددهما الأساسي وما يتعلق بطولهما وكتلتهما وشدتهما واختلاف ذلك عند الرجال والنساء والأطفال وأثر كل ذلك في اختلاف الأصوات لأنّ ذلك يخرج بالقارئ عن المقصود من هذه الرسالة (٢) . على أنّ الحديث في الأوضاع الرئيسة للوترين الصوتيين له تعلُّق شديد الصلة بموضوع هذه الرسالة لأن ذلك لا يخرج عن توضيح حال الوترين في وضع الجهر ووضع الهمس ، وقد آثرتُ اختصار هذه الأوضاع فيما يلي من حديث .

تتخذ الأوتار الصوتية عددًا كبيرًا من الأوضاع بفضل مرونتها وتنوع عضلاتها ، وقد قدّر كاتفورد وجود ثلاثة وعشرين وضعًا أو نوعًا تصويتيًا بناءً على نوع التضييق ومكانه ولو بنى تقديره على طول الأوتار الصوتية وسمكها والانزياح العمودي للحنجرة وغير ذلك من الاعتبارات لقدّر وجود عدد أكبر من الأوضاع التي ذكرها (٣) .

ويكتفي علماء الأصوات بذكر خمسة أوضاع رئيسة للوترين الصوتيين :

١ – وضع التنفس العادي (الزفير) : (تسحب الأوتار الصوتية بعيدًا بعضها عن بعض بحيث لا يمكن أن توضع في حالة تذبذب بفعل تيار الهواء ، ويكون شكل فراغ المزمار في هذه الحالة أشبه بمثلث متساوي الساقين . ومجمل الفراغ بين الوترين يشكل تقريبًا ٦٠– ٩٥ % من الفراغ الكلي بينهما) (٤)

---

(١) انظر : ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي ، **الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** ، (حققه وضبط نصوصه وقدّم له : الدكتور عمر فاروق الطباع) ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م ، (٢١٧)

(٢) انظر تفصيل ذلك كله في : النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) (٤٨ – ٦١) .

(٣) انظر : الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦١) .

(٤) المرجع نفسه ، (٦٢) .

(وتكون العضلات حينئذ في حالة استرخاء) [١] . ويكون وضع الوترين في هـــذه الحالـــة مشابهـــًا لوضعهما في حالة الهمس .

٢ – وضع التنفس العميق (الشهيق) : (تسحب الأوتار الصوتية بعيدًا بعضها عن بعــض بفعل حركة الغضاريف الهرمية التي تتحكم فيها وتسيرها النتوءات العــضلية . فالعــضلات الحلقية الهرمية الخلفية تجذب من خلف الغضروف الحلقي النتوءات العــضلية للغــضاريف الهرمية ، وعليه فإن شدتها تميل إلى إبعاد النتوءات الصوتية للغضاريف الهرمية عن بعضها . وتحدث هذه الحركة عند كل عملية شهيق عادية وعمل هذه العضلات مقاوم ، ويمكــن أن يكون محكومــًا من قبل شد العضلات الحلقية الهرمية الجانبية ، ومن قبــل الــشد المباشــر للعضلات الهرمية الدرقية أيضــًا . والشدُّ غير المقاوم للعضلات الحلقية الهرمية الخلفية من شأنه توسيع الفراغ بين الأوتار الصوتية إلى الحد الأقصى) [٢] .

٣ – وضع الوشوشة : (في حالة الوشوشة تشد العضلات الحلقية الهرمية الجانبيــة علــى النتوءات العضلية للغضاريف الهرمية من الأمام ومن الأسفل . وهذه يقابلها شــدُّ العــضلات الحلقية الهرمية الأمامية التي تميل إلى جذب النتوءات الصوتية للغــضاريف الهرميــة إلــى بعضها ، وهكذا تعمل على تضييق المزمار الغشائي وإقفاله ، بحيث يــصبح الفــراغ بــين الوترين الصوتيين أقلَّ من ٢٥ % من الانفتاح الأقصى . ومع ذلك يكون هذا التضييق مــن الاتساع بحيث لا يؤدي إلى تذبذب الأوتار الصوتية . غير أن هذا التضييق يعرقل تيار الهواء خلال مروره من المزمار ، وفي الوقت الذي تعمل فيه على تضييق الفــراغ بــين الــوترين الصوتيين بتقريب النتوءات الصوتية بعضها من بعض ، فإنها تعمل علــى ســحب قواعــد الغضاريف الهرمية بعيدًا عن بعضها ، عاملة بذلك على فتح المزمار الغضروفي . والصوت الناتج والأوتار الصوتية بهذا الوضع يسمى موشوشــًا . والصوت الهسيسي للوشوشة نــاتج عن احتكاك تيار الهواء بالنتوءات الصوتية للغضاريف الهرمية . وفي حالة الوشوشة تتحول الأصوات المجهورة إلى موشوشة بإسكات الأوتار الصوتية ، أما المهموسة فتبقى على حالها دون تغيير .) [٣] .

---

(١) مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (١٢٦) .
(٢) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٣) .
(٣) المرجع نفسه ، (٦٣ – ٦٤) .

وتنقسم الوشوشة إلى قسمين ، هما الوشوشة العادية والوشوشة الشديدة ، وقد سبق الحديث عنهما .

٤ – وضع القفل التامّ : حيث يقفل المزمار تمام الإقفال في هذا الوضع (وذلك عن طريق سحب الحواف الأمامية للأوتار الصوتية بعضها إلى بعض بشكل محكم وحادّ ، وغالبًا ما يكون أحد الطرفين متداخلاً مع الآخر بحيث إن تدفق الهواء يكبح ويحبس على نحو تامّ أسفل المزمار) [١] وفي هذا الوضع تنطق همزة القطع العربية ، وستضيف هذه الرسالة صوتين عربيين آخرين تتم المرحلة الأولى من نطقهما على هذا الوضع .

٥ – وضع الجهر : (في حالة الجهر يكون المزمار بقسميه : الغشائي والغضروفي مقفلاً عن طريق عمل الغضاريف الهرمية مغلقة المزمار الغضروفي ، وساحبة الحواف الأمامية للأوتار الصوتية بعضها إلى بعض على طول المزمار الغشائي ، وذلك عن طريق عمل مجموعتين من الألياف : الألياف المستعرضة ، وهذه تعمل على ربط السطوح الخلفية للغضروفين الهرميين . وانقباضها يؤدي إلى انزلاق أجسام الغضاريف على بعضها . والألياف المائلة للعضلة الهرمية تمتد من قاعدة أحد الغضروفين الهرميين إلى قمة الآخر . وانقباض هذه الألياف يميل إلى سحب قمتي الغضروفين الهرميين إحداهما إلى الأخرى) [٢]

ويفسر العلماء المحدثون حدوث الصوت المجهور بإحدى نظريات ثلاث : أولها نظرية ديناميكية الهواء التي تنسب ذبذبة الوترين للهواء وحده ، وتنسب هذه النظرية إلى أنطوين فرين حيث أثبت ذلك بتجربة عملية قام بها أمام أكاديمية العلوم بباريس سنة ١٧٤١ م استخدم فيها قصبة هوائية لكلب مذبوح ثم أعاد التجربة نفسها مستخدمًا قصبة هوائية لإنسان ميت

---

(١) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٧٠) .

(٢) المرجع نفسه ، (٦٤) . وانظر تفصيل هذه الأوضاع في : ستيتية ، سمير (١٩٨٧ م) ، ميكانيكية النطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية ، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** ، المجلد الثاني والستون ، (٣ / ٥١٧ – ٥٢٢) وعمر ، أحمد مختار (١٩٨١ م) ، **دراسة الصوت اللغوي** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار عالم الكتب ، (١٠٦ – ١٠٨) .

وشبه الوترين الصوتيين بوتر الكمان الذي يتحرك بتعرضه لتيار الهواء فحسب وحـــدد دور العضلات بأنها القوة التي تقوم بضبط التوتر (١) .

وثاني هذه النظريات النظرية العصبية العضلية التي تنسب إلى العالم الفرنسي راول هاســون جارد عام ١٩٥١ م ، وهي على النقيض من النظرية السابقة حيث تنفي دور الهواء وفاعليته في تذبذب الأوتار الصوتية ، وتثبت ذلك الدور للدماغ نتيجة إثارة عصبية عضلية منتظمـــة ، وانقباض للعضلات في الأوتار الصوتية ، لذلك عرفت بالنظرية العصبية العضلية .

وثالث هذه النظريات جمعت بين النظريتين السابقتين (إذ ترى أنَّ علة حدوث الجهر هي حركة تيار الهواء الصادر من الرئتين بالإضافة إلى المرونة العضلية للــوترين الــصوتيين ، ومن ثمَّ تسمى نظرية المرونة العضلية وديناميكية الهواء ، وتفسر هــذه النظريـــة حــدوث الاهتزاز بأنَّه مجرد انطلاق دفعة من هواء الزفير خلال فــراغ المزمــار الــضيق فيرتــد الوتران الصوتيان إلى وضع القفل في حركة شفطية سريعة ، وحينئذ يقــوم ضـــغط الهــواء بحملهما على الانفصال مرة أخرى ثم تنطلق دفعة جديدة من الهواء فيرتد الوتران إلى وضع القفل ، وهكذا) (٢) . ويرتضي هذه النظريةَ أغلبُ الباحثين في علم الأصوات .

ولا بدَّ لي من أختصر الحديث أيضــًا في خصائص الصوت المجهور والمهموس عنــد المحدثين ليتسنَّى لي أن أحيل إليها في ثنايا الرسالة عند المقارنة بينها وبين ما ذكره ســيبويه وتبعه عليه القدماء ، وقد رأيتُ بعض الباحثين لخَّص هذه الخصائص تلخيصــًا حسنــًا فذكر من خصائص الصوت المجهور عند المحدثين أنه يعتمد في مصدر إنتاجه على ذبذبة الوترين الصوتيين وموضع النطق كما ذكر أنه يتميز بخاصية الرنين التي جعلت كل صوت مجهــور أوضح سماعــًا من كل صوت مهموس كما أشار إلى أن ضغط الحجرة الفموية عند إنتاجــه أدنى منه مع المهموس كما أنّ شدته الصوتية تكون أدنى من المهمــوس أيــضًا ، لأن تيــار الهواء يفقد معه قدرًا من قوته وحجمه وسرعته في أثناء مقاومته لذبذبة الوترين الــصوتيين .

---

(١) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٧) ومصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (١٣٢) .

(٢) مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (١٣٤) ، ولمزيد شرح هذه النظرية : الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٨ – ٦٩) . وانظر كذلك تفصيلاً عن هذه النظريات في : ستيتية ، سمير (١٩٨٧ م) ، ميكانيكيـــة النطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية ، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمـــشق** ، المجلــد الثــاني والستون ، (٥٢٢ – ٥٢٣) .

كما ذكر من خصائص الصوت المهموس أنه يعتمد في مصدر إنتاجه على موضـــع النطـــق فحسب كما يتميز بأنه أدنى في درجة الوضوح السمعي من المجهور لغياب رنين الجهر كمـــا أن ضغط الحجرة الفموية عند إنتاج الصوت المهموس أكبر منه مع المجهور كمـــا أن شـــدته الصوتية تكون أعلى من المجهور أيضـــًا ، لأن تيار الهواء لا يفقد معه قدرًا كبيرًا من قوتـــه وحجمه وسرعته (١) .

وقد ذكر علماء الأصوات عددًا من الطرق التي يمكن أن يُميَّز بها بين الصوت المجهـــور والصوت المهموس ، منها أن يُوضع الإصبع فوق تفاحة آدم ، فإن أُحسَّ بذبذبة واهتزاز في الوترين الصوتيين فالصوت مجهور ، وإلا كان مهموسـًا . ومنها أن تُسدَّ الأذنان بالأصابع أو توضع الكف فوق الجبهة فإن شُعر بطنين أو رنين فالصوت مجهور وإلا كان مهموسـًا أيضـًا (٢) . ويستخدم علماء الأصوات عددًا من الآلات الحديثة لتمييـــز المجهـــور عـــن المهموس كالمجهر الحنجري أو المرآة الحنجرية وجهاز الرسم الحنجري (٣) .

وبناءً على ما تقدم فقد قسّم الباحثون أصوات العربية إلى قـــسمين : أصـــوات مجهـــورة وأصوات مهموسة ، وكثير منهم أضاف قسمـًا ثالثـًا يختصُّ بهمزة القطـــع ، لأنهـــم لـــم يعدّوها في القسمين الأولين . وجعلوا صوائت العربية وأشباهها من حروف اللين في القـــسم المجهور ولم يختلفوا في ذلك مع القدماء . أمّا الصوامت فالمجهور منها عند المحدثين البـــاء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والظاء والعين والغين واللام والمـــيم والنـــون ، والمهموس منها التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والطـــاء والفـــاء والقـــاف والكاف والهاء . وبعض المحدثين جعل الهمزة في القسم المهموس وأكثرهم على جعلها في قسم مختص بنفسه لأنهم لا يعدونها مجهورة أو مهموسة كما تقدّم .

وقد اتفق المحدثون مع القدماء في تصنيف أغلب هذه الأصوات بحسب الجهر والهمس غير أنهم اختلفوا معهم في ثلاثة أصوات هي الطاء والقاف والهمزة ، فقد عدّ المحـــدثون الطـــاء

---

(١) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، **الخصائص النطقية والفيزيائية للـصوامت الاحتكاكيـة فـي العربية** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، ٢٠٠٣ م ، (٣٢٦ - ٣٢٧) .

(٢) عمر ، أحمد مختار (١٩٨١ م) ، (٢٧٨) والشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٧٠) .

(٣) عمر ، أحمد مختار (١٩٨١ م) ، (٣٥ ، ٣٧) .

والقاف من الأصوات المهموسة ، وعدّها القدماء من المجهورة . أما الهمزة فإنها مجهورة عند القدماء ، مختلفٌ فيها عند المحدثين ذلك الاختلافَ الذي سلف .

وقد اضطرب المحدثون اضطرابًا شديدًا في تفسير اختلافهم مع القدماء في هذه الأصوات الثلاثة ، فبعضهم يُرجع ذلك إلى اختلاف معنى الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين ، و يعرض بعض أصحاب هذا الرأي لتفسير المراد بالجهر والهمس عند القدماء ، ويختلفون فيما بينهم اختلافًا كبيرًا . وبعض المحدثين يرى أن المراد بالجهر والهمس عند القدماء هو عين ما وصل إليه المحدثون . ومنهم من يرجع هذا الاختلاف إلى خطأ القدماء في الحكم على هذه الأصوات الثلاثة ، ومنهم من يرجع ذلك إلى أن القدماء أصابوا في حكمهم لأنهم وصفوا صورة لهجية لهذه الأصوات الثلاثة تختلف عن تلك الصورة التي وصفها المحدثون وينطق بها العرب الآن ، ومنهم من يرى صواب القدماء في حكمهم على هذه الأصوات أيضًا ويرجع الاختلاف بين القدماء والمحدثين إلى تطور أصاب هذه الأصوات على مرِّ الزمن . وأصحاب هذا الرأي الأخير يختلفون كذلك في الصورة التراثية لهذه الأصوات الثلاثة التي وصفها القدماء ، وتبلغ الجرأة ببعضهم أن يطلق حكمًا يلزم منه إبطال الحقيقة التاريخية الثابتة التي اعترف بها عدد من أساطين الباحثين في الأديان من غير المسلمين ، حقيقة التواتر اللفظي للقرآن الكريم .

ومرجع هذا الاضطراب الذي وقع فيه كثيرٌ من الباحثين إلى أنّ أغلب القدماء الذين عرّفوا الجهر والهمس نقلوا في كتبهم تعريف سيبويه في كتابه ورددوا ألفاظه كما هي ، وسيبويه لم يذكر الوترين الصوتيين في تعريف المجهور والمهموس من الأصوات ، وإنما قال : (فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري َمعه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت . فهذه حال المجهورة في الحلق والفم ، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثمّ تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلّ بهما .

وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس . ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه فإذا

أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت) .

فهل هذا الذي قاله سيبويه يوافق ما ذهب إليه المحدثون في تعريف الجهر والهمس ؟ وكيف عرض المحدثون لتفسير هذا التعريف ؟ وما هي مذاهبهم في هذا التفسير ؟ وما هي أوجه الخطأ والصواب التي وقعوا فيها ؟ وما هو الرأي الذي يرجحه الباحث من هذه الآراء ؟

هذا ما سيجيب عنه الفصل الأول من هذه الرسالة ، أمّا الفصل الثاني فستعرض فيه الرسالة للأصوات المجهورة والمهموسة عند سيبويه ، وآراء المحدثين في ذلك ، ووجه الصواب في كل صوت من الأصوات الثلاثة التي اختلف فيها الفريقان .

الفصلُ الأوَّلُ

معنى الجَهْر والهَمْس عند سيبوَيْهِ

نشأ الدرس الصوتي عند العرب نشأة عربية خالصة ، ولم يستطع أحد من الباحثين المحدثين أن يثبت بالدليل القاطع تأثر العرب بمن سبقهم من أمم الهند واليونان في نشأة علم الأصوات التي ترجع إلى حفظ الأداء الصوتي الصحيح لألفاظ كتاب الله – عز وجل – كما أنزله على نبيه – صلى الله عليه وسلم – بعد أن كثر دخول الأعاجم في الإسلام وبدأ اللحن يجري على ألسنة العرب الذين اختلطوا بهؤلاء الأعاجم في الأمصار المفتوحة ، مما دفع عددًا من العلماء إلى أن يعملوا على حفظ اللغة التي نزل بها القرآن الكريم في صوتها ونحوها وصرفها ومعجمها ، وتيسير ذلك بالتقعيد والتصنيف في عدد من أبواب العلم . (١)

على أن إقرار بعض الباحثين بأن الهنود وفقوا إلى تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة (٢) لا يعني أن العرب أخذوا ذلك عنهم ، إذ لا دليل على ذلك إلا الظن والرجم بالغيب الذي ذهب ببعض الباحثين إلى نفي أصالة علم الأصوات عند العرب ، ويكفي في رد هذا الزعم خلوُ البحث الصوتي عند العرب من أي مصطلح دخيل أو معرب (فالعلوم التي تُتلقَّى عن طريق الترجمة تكون عادة حافلة بالمصطلحات الدخيلة) كما قاله الدكتور أحمد قدّور (٣).

وسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) هو أول من قسّم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة في مقدمته الصوتية التي مهّد بها لباب الإدغام في العربية ، وعرّف المجهور والمهموس تعريفًا تابعه عليه أغلب العلماء من بعده ، فأعادوا نص هذا التعريف بألفاظه على نحو ما فعله الزجاجي (٤) وابن جني (٥)

---

(١) انظر : قدّور ، أحمد محمد (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م) ، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، دار الفكر ، (١٩) .

(٢) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٥) .

(٣) قدّور ، أحمد محمد (١٩٩٨ م) ، (١٨) .

(٤) الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، **الجمل** ، (تحقيق الشيخ ابن أبي شنب) ، الجزائر ، مطبعة جول كربونل ، ١٩٢٦ م ، (٣٧٧)

(٥) ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، **سر صناعة الإعراب** (١ / ٧٥)

والباقلاني [١] وابن سنان الخفاجي [٢] والزمخشري [٣] وأبـو البركـات الأنبـاري [٤] وابـن يعـيش [٥] ورضـي الـدين الأسـتراباذي [٦] وابـن عقيـل [٧] والـسيوطي [٨] ، أو غيروا النص مبقـين علـى الألفـاظ التـي ينبنـي عليهـا تعريـف المجهـور

---

(١) الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ، أبو بكر محمد بن الطيب ، **إعجاز القرآن** ، (تحقيق السيد أحمد صقر) ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٧ م ، (٤٤)

(٢) ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفـاجي الحلبي ، **سرُّ الفصاحة** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ، (٣٠)

(٣) الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد ، **المفصَّل في صـنعة الإعراب** ، (تحقيق الدكتور علي بو ملحم) ، بيروت ، مكتبة الهلال ، ١٩٩٣ م ، (٥٤٧)

(٤) أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنـصاري ، **أسرار العربية** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ، (٢٩٠)

(٥) ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بـن يعـيش الموصـلي ، **شـرح المفصَّل للزمخـشري** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م ، (٥ / ٥٢٣)

(٦) الأستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) رضي الدين محمد بن الحسن ، **شرح شافية ابن الحاجـب** ، الجـزء الثالث ، (تحقيق : الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ، (٢٥٧ – ٢٥٨)

(٧) ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) ، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بـن محمـد القرشـي الهاشمي الهمذاني المصري من نسل عقيل بن أبي طالب ، **المساعد على تسهيل الفوائد** ، الجزء الرابـع ، (تحقيق الدكتور محمد كامل بركات) ، مكة المكرَّمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسـلامي فـي جامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ، (٢٤٦)

(٨) السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، الجـزء الـسادس ، (تحقيـق الدكتور عبد العال سالم مكرم) ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م ، (٢٩٧)

والمهموس عند سيبويه على نحو ما فعله مكي بن أبي طالب [١] وابن الجزري [٢] وابن الطحّان [٣] .

وقد خرج عن التزام ألفاظ سيبويه في تعريف الأصوات المجهورة كلٌ من المبرّد وابن دريد والسكاكي ، فعرّفها المبرد (بأنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها) [٤] وعرّفها ابن دريد بأنّ (مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتًا) [٥] ، وعرّف السكاكي الجهر بأنه (انحصار النفس في مخرج الحرف) [٦] . ولم يتابَع هؤلاء العلماء في تعريفاتهم كما توبع سيبويه لأن تعريف المبرد وصفٌ لحال المجهور عند الاختبار والترديد فحسب وليس فيه بيان سبب ارتداع الصوت عند الاختبار والترديد كما في تعريف سيبويه . وتعريف ابن دريد ملتبس بتعريف الشدة بل هو تعريف الشدة نفسها ، وقد رجّح الدكتور منير الشطناوي أن المراد بالمخرج في تعريف ابن دريد (ليس موضع نطق الصوت ومخرجه لأن من الأصوات المهموسة ما هو غاية في ضيق المخرج بل هو استشعاره لفتحة ما بين الوترين الصوتيين لأن الأصوات المهموسة كما يجمع الدارسون المحدثون تتسع فيها فتحة المزمار من غير تذبذب الوترين ، على نقيض الأصوات المجهورة التي تقترب معها الأوتار الصوتية ،

---

(١) مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، أبو محمد القيسي ، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها** ، الطبعة الثالثة ، (تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات) ، عمّان ، دار عمّار للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ، (١١٧)

(٢) ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، (٨٧)

(٣) ابن الطحّان (ت ٥٥٩ هـ) عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة بن عبد العزيز ، ابن الحاج السماتي الأندلسي الإشبيلي ، **مخارج الحروف وصفاتها** ، (تحقيق محمد بن يعقوب التركستاني) ، بيروت ، مركز الصف الإلكتروني براج وخطيب ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، (٩٣)

(٤) المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) ، أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، **المقتضب** ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، (تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة) ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف المصرية ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م (٣٣٠)

(٥) ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، (١ / ٤٦)

(٦) السكاكي (٦٢٦ هـ) ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي ، **مفتاح العلوم** ، (تحقيق نعيم زرزور) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، (١١) .

وبهذا الاقتراب تضيق فتحة المزمار بين الوترين فيحف الهواء جوانبهما فيتذبذبان) (١) وقد أخذ الدكتور منير الشطناوي بالجزء الأول من تعريف المجهور عند ابن دريد وهو ضيق المخرج ولم يأخذ بالجزء الثاني من التعريف وهو عدم سماع الصوت مع ضيق المخرج ، والمجهور أوضح سمعًا من نظيره المهموس ولو كان ابن دريد يقصد الأصوات المجهورة بتعريفه هذا لما قرر بأن (مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتًا) (٢) لأن عدم جريان الصوت واستمرار سماعه مختص بالأصوات الشديدة التي التبست عنده بالمجهورة . أما السكاكي فقد أشار إلى منع النفس وانحصاره فحسب عند نطق الصوت المجهور ، وقد سبقه سيبويه بالإشارة إلى ذلك وزاد عليه في بيان سبب هذا المنع وفصّل فيه .

وقد ذهب الدكتور غانم قدّوري الحمد إلى أن تعريفات بعض علماء التجويد للمجهور من الأصوات كطاش كبري زاده (ت ٩٦٨ هـ) والمرعشي (ت ١١٥٠ هـ) تمثل مرحلةً بين ما قاله سيبويه وعلماء العربية وما توصل إليه المحدثون من دور الوترين الصوتيين في ذلك (٣) والذي أراه أن طاش كبري زاده أخذ جزءًا من تعريف سيبويه وشرحه شرحًا مختصرًا لا غير ، ونقله عنه المرعشي ، وعقب عليه تعقيبًا ليس فيه إضافة جديدة تجعل منه مرحلة بين ما قاله سيبويه وعلماء العربية وما توصل إليه المحدثون على ما يراه الدكتور غانم الحمد . قال طاش كبري زاده :

(إن النفس الخارج ، الذي هو وظيفته حرف ، إن تكيَّف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهورًا ، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموسًا) (٤) . فطاش كبري زاده يقرر أن المجهور لا يخرج معه نفس ، لأن النفس كله (وهو الهواء الخارج من الرئتين بدافع الطبع دون أن يتعرض له تموج حتى يخرج من الفم) أو (هواء الزفير) يتكيف بكيفية المخرج فيتحول النفس كله إلى صوت (هواء زفير متموج في حيز المخرج) وأن المهموس يخرج معه نفس عند نطقه لأن بعض النفس يخرج من الفم

---

(١) الشطناوي ، منير تيسير (٢٠٠٩ م) ، (١٥٩)

(٢) ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، (١ / ٤٦)

(٣) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، الطبعة الثانية ، عمّان ، دار عمّار للنشر والتوزيع (١٢١)

(٤) المرجع نفسه (١١٩) ، وقد نقل ذلك عن مخطوط شرح المقدمة الجزرية لطاش كبري زاده المحفوظ في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (٣/٦٢١) ، ١١ ظ .

دون أن يتكيف بكيفية المخرج ، وهذا عين ما قرره سيبويه حين قال في تعريف المجهور : (ومنع النفس أن يجري معه) [١] ، وفي تعريف المهموس : (حتى جرى النفس معه) [٢] . فأين هي الإضافة التي قدّمها طاش كبري زاده ؟ ! .

وقد نقل المرعشي هذا التعريف وعقب عليه بأن هذا الفرق الذي ذكره طاش كبري زاده بين المجهور والمهموس (يتحقق في القراءة جهرًا ... وأما في القراءة إسرارًا فلا يتحقق هذا الفرق) . وقد أشار سيبويه إلى ذلك في حديثه عن الحروف المهموسة في النص الذي نقله عنه السيرافي في شرحه للكتاب ، حين قال : (... والدليل على ذلك أنك إذا أخفيتَ همستَ بهذه الحروف ، ولا تصل إلى ذلك في المجهور) [٣] . وقد نقل الدكتور غانم الحمد هذا النص وأقرَّ سيبويه على ذلك ، فما الذي يجعل من تعقيب المرعشي مرحلة جديدة بين سيبويه وعلماء العربية وما توصل إليه المحدثون ؟ ! . على أن المرعشي فسَّر الصوت في تعقيبه على طاش كبري زاده بالصوت الجهري وخلص إلى أن الحرف المهموس بعض صوته مجهور وبعضه مهموس وأن الاصطلاح وقع على أنه مهموس ، وهذا خلط بيِّن مردّه إلى طريقة اختباره وذوقه لصوت الصاد الذي استنتج منه هذا الاستنتاج إذ أثَّر جهر حركة الهمزة على الصاد نفسها : (وإذا قلتَ : إص بالمهملة ، ومددتَها تجد مبدأ نَفَسها متكيفًا بصوت جهري وآخره خاليًا عن ذلك الجهر) [٤] ، ومبدأ نَفَس الصاد من منتهى صوت الكسرة المجهورة . وقد جعل الدكتور غانم الحمد هذا الصوت الجهري الذي ذكره المرعشي في شرح تعريف طاش كبري زاده إضافةً جديدة فسّرها بأنها نغمة صوت

---

(١) سيبويه (٤ / ٤٣٤)

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) انظر : أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢١) ، حيث نقل هذا النص عن مخطوط شرح السيرافي المحفوظ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ولم يذكر الدكتور إبراهيم أنيس رقم هذا المخطوط ، كما لم يرد هذا النص في الجزئين الأولين المطبوعين من شرح السيرافي اللذين نشرتهما الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التوّاب والدكتور محمود فهمي حجازي ، عام ١٩٨٦ م . وقد ورد في مقدمة التحقيق أنَّ هذا الشرح محفوظ برقم (١٣٧ نحو) كما في الصفحة (٣٧) .

(٤) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، نقلاً عن مخطوط جهد المقل للمرعشي ، المحفوظ في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٦٨ / ٤) . (١١ ظ)

الجهر [١] مع أن المرعشي جعل هذه النغمة جزءًا من الصوت المهموس والتبس عليه الأمر التباسًا بيِّنًا ، فكيف يصير هذا الالتباس والخلط إضافة جديدة تمثل مرحلة بين القدماء والمحدثين في تفسير الجهر على ما يراه الدكتور غانم الحمد ؟ ! .

فيتلخص مما سلف أن تعريف سيبويه للمجهور والمهموس من الأصوات هو أجمع تعريف ذكره القدماء لذلك تابعه عليه أغلب العلماء من بعده ، ولم يضيفوا إلى تعريفه شيئًا غير الشرح الذي لا يخرج عن التعريف نفسه ، وعني بدراسته عدد من الباحثين المحدثين حين شرعوا في الحديث عن الجهر والهمس عند القدماء جاعلين منه التعريف الذي يدور عليه كلام القدماء أجمعين ، ويظهر لي أن تعريف المجهور الوارد في الكتاب من وضع سيبويه ، وليس من وضع أستاذه الخليل كما ذهب إليه بعض الباحثين إذ لم يرد ما يدل على ذلك في كتاب (العين) ولا في غيره . أمّا المصطلح فأرجّح أنه من وضع الخليل الذي كان يعرف فرق ما بين المجهور والمهموس ، فقد نقل السيرافي في شرحه للكتاب عن أبي الحسن الأخفش بعد أن أجابه سيبويه عن سؤاله في الفصل بين المجهور والمهموس : (وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل) [٢] . وسيأتي سياق هذا النص كاملاً عند إثبات النصوص التي فسّر فيها سيبويه مراده بالجهر والهمس .

وسبق أن أشرتُ في التمهيد إلى أن الباحثين المحدثين اختلفوا اختلافًا بيِّنًا في تفسير تعريف المجهور والمهموس عند سيبويه حتى ظنّ كثيرٌ منهم أن هذا الاضطراب مردّه إلى اضطراب سيبويه نفسه وأن ألفاظه (تتسم بالصعوبة والتعقيد) أو (غامضة عسيرة الفهم) [٣] .

وقد تشعبت آراء المحدثين في تفسير المراد من كلام سيبويه ، إلا أنها على تشعبها تُصنَّف في قسمين : قسمٍ يرى فيه الباحثون المحدثون أن سيبويه عنى ما عناه المحدثون في معنى الجهر والهمس ، وقد اختلف هؤلاء فيما بينهم اختلافًا يبلغ حدّ التناقض في دلالة تعريف

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** (١١٩ – ١٢٠) .

(٢) انظر : أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٠)

(٣) انظر : عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، **الأصوات اللغوية** ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، (١١٩)

سيبويه وألفاظه على مراد المحدثين . وقسم ٍ يرى فيه الباحثون المحدثون أن معنى الجهر عند سيبويه مختلف تمام الاختلاف عن معناه عند المحدثين ، ويختلف أصحاب هذا الرأي فيما بينهم في تفسير معنى الجهر عند سيبويه ، وبعضهم لم يعرض لتفسير معناه الذي أقرّ بمخالفته لمفهوم المحدثين .

وقبل أن أعرض هذه الآراء المتشعبة بقسميها السالفين سأثبت النصوص التي جاء فيها تفسير المجهور والمهموس عند سيبويه ، وهي نصوص ثلاثة ستكثر الإحالة إليها فيما يلي من حديث ، وسأثبتُ بعدُ آراءَ القسم الأول من الباحثين الذين يرون أن سيبويه عنى ما عناه المحدثون في معنى الجهر والهمس تبعًا لنصوص سيبويه الثلاثة والمآخذ التي أُخذت على كل باحث في تفسيره لكل نص من هذه النصوص ثم أتبعها بآراء القسم الثاني من الباحثين الذين يرون أن معنى الجهر عند سيبويه مختلف تمام الاختلاف عن معناه عند المحدثين والمآخذ التي أُخذت عليهم . وهؤلاء لم يقفوا إلا على النص الأول مع أن بعضهم أشار إشارة إلى مصطلح صوت الصدر الوارد في النص الثالث . ثم أتبع ذلك كله بتفصيلٍ فيه ترجيحُ أحد القسمين على الآخر ووجه دلالة ألفاظ هذه النصوص على ما اخترتُه ورجّحتُه . وسيظهر بعدُ أنَّ بعض الباحثين الذين لم يبنوا آراءهم في تفسير الجهر والهمس عند سيبويه إلا على نص واحد أو نصين من هذه النصوص الثلاثة وقعوا في اضطراب كانوا في غنى عنه لو تكلفوا مؤونة البحث والتقصي الذي يفضي بهم إلى رأي يصلون به إلى الصواب أو يقاربون .

النص الأول :

(فالمجهورة حرفٌ أشبع الاعتمادُ في موضعه ، ومنع النفس أن يجري َمعه حتى ينقضيَ الاعتماد عليه ويجريَ الصوت . فهذه حال المجهورة في الحلق والفم ، إلا أنَّ النونَ والميمَ قد يُعتمَد لهما في الفم والخياشيم فتصيرُ فيهما غنةٌ . والدليل على ذلك أنك لو أمسكتَ بأنفك ثمَّ تكلمتَ بهما لرأيتَ ذلك قد أخلَّ بهما .

وأمّا المهموس فحرفٌ أضعِف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفسُ معه . وأنت تعرفُ ذلك إذا اعتبرتَ فرددتَ الحرفَ مع جري النفس . ولو أردتَ ذلك في المجهورة لم تقدرْ عليه

فإذا أردتَ إجراءَ الحروف فأنت ترفعُ صوتك إن شئت بحروف اللين والمد ، أو بما فيها منها ، وإن شئتَ أخفيتَ .) (١)

النص الثاني :

(واعلم أنَّ من الحروف حروفـًا مُشربة ضُغطتْ من مواضعها ، فإذا وقفتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونبا اللسانُ عن موضعِه ، وهي حروفُ القلقلة ، وستبيَّنُ أيضـًا في الإدغام – إن شاء الله – . وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء . والدليل على ذلك أنَّك تقول : الحذق ، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدَّة ضغط الحرف. وبعضُ العرب أشد صوتـًا ، كأنهم الذين يرومون الحركة .

ومن المشربة حروفٌ إذا وقفتَ عندها خرج معها نحو النفخة ، ولم تُضغط ضغطَ الأولى ، وهي الزاي، والظاء، والذال، والضاد ؛ لأنَّ هذه الحروف إذا خرجتْ بصوت الصدر انسلَّ آخرُه – وقد فترَ – من بين الثنايا لأنه يجد منفذًا ، فتُسمعُ نحوُ النفخة . وبعض العرب أشدُّ صوتـًا ، وهم كأنهم الذين يرومون الحركة . والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس ، وستُبيـَّنُ هذه الحروف أيضـًا في باب الإدغام – إن شاء الله – . وذلك قولك : هذا نشز ، وهذا خفض .

وأمّا الحروف المهموسة فكلُّها تقف عندها معَ نفخ ، لأنهنَّ يخرجْن مع التنفس لا صوتِ الصدر ؛ وإنـَّما تنسلُّ معه. وبعض العرب أشد نفخـًا ؛ كأنهم الذين يرومون الحركة ، فلا بد من النفخ ؛ لأنَّ النفسَ تسمعُه كالنفخ .

ومنها حروفٌ مُشربة لا تـَسمع بعدها في الوقف شيئـًا مما ذكرنا ؛ لأنها لم تُضغط ضغطَ القاف ولا تجد منفذاً كما وُجد في الحروف الأربعة . وذلك اللام والنون ؛ لأنهما ارتفعتا عن الثنايا فلم تجدا منفذاً . وكذلك الميم ؛ لأنـَّك تضمُّ شفتيك ولا تـُجافيهما كما جافيتَ لسانك في الأربعة حيث وجدْنَ المنفذ . وكذلك العين والغين والهمزة ، لأنك لو أردتَ النفخ من مواضعها لم يكن كما لا يكون من مواضع اللام والميم وما ذكرتُ لك من نحوهما . ولو وضعتَ لسانك في مواضع الأربعة لاستطعتَ النفخ فكان آخر الصوت حين يفتر نفخـًا . والراء نحو الضاد .

---

(١) سيبويه (٤ / ٤٣٤)

واعلم أن هذه الحروف التي يُسمع معها الصوتُ والنفخةُ في الوقف ، لا يكونان فيهنَّ في الوصل إذا سَكَنَّ ؛ لأنك لا تنتظر أن ينبوَ لسانُك ؛ ولا يفتر الصوت حتى تبتدئَ صوتًا . وكذلك المهموس ، لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئَ صوتًا .
وذلك قولك: أيقظ عميرًا ، وأخرج حاتمًا وأحرز مالاً ، وأفرش خالدًا ، وحرك عامرًا ، وإذا وقفتَ في المهموس والأربعة قلتَ : أفرش ، وأحبس ؛ فمددتَ وسمعتَ النفخ ، فتفطَّن .
وكذلك: الفظ وخ ، فنفختَ فتفطَّن ؛ فإنك ستجده كذلك – إن شاء الله – .
ولا يكون شيءٌ من هذه الأشياء في الوصل ؛ نحو أذهب زيدًا ؛ وخذهما واحرسهما ؛ كما لا يكون في المضاعف في الحرف الأول إذا قلت: أحدٌ ؛ ودق ؛ ورش .) (١)

النص الثالث :

(عن أبي الحسن الأخفش أنّه قال : سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال : المهموس إذا أخفيتَه ثم كررتَه أمكنَك ذلك . وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه . ثم كرَّرَ سيبويه التاءَ بلسانه وأخفى ، فقال : ألا ترى كيف يُمكن ؟ وكرَّرَ الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكنْه ، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل .
قال سيبويه : وإنّ ما فرَّقَ بين المجهور والمهموس أنّك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أنْ تُدخله الصوتَ الذي يخرج من الصدر ، فالمجهورة كلُّها هكذا يخرج صوتهنَّ من الصدر ويجري في الحلق ، غير أنَّ الميم والنون تخرج أصواتها من الصدر ، ويجري في الحلق والخيشوم فيصيرُ ما جرى في الخيشوم غنةً تخالط ما جرى في الحلق ، والدليل على ذلك أنك لو أمسكتَ بأنفك ثم تكلمتَ بهما رأيتَ ذلك أخلَّ بهما .
وأما المهموسة فتخرج أصواتُها من مخارجها ، وذلك مما يُزجي الصوتَ ولم يُعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة فأُخرجَ الصوتُ من الفم ضعيفًا . والدليل على ذلك أنك إذا أخفيتَ همستَ بهذه الحروف ، ولا تصلُ إلى ذلك في المجهور ، فإذا قلتَ : (شخص) فإن الذي أزجى هذه الحروفَ صوتُ الفم ، ولكنك تُتْبِعُ صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجيها صوتُ الفم ليُبْلَغَ ويُفهَمَ الصوت ، فالصوت الذي من الصدر ههنا نظير ذلك الصوت الذي ترفعه بعدما يزجي صوت الصدر ألا ترى أنك تقول : (قام) فإن

---

(١) سيبويه (٤ / ١٧٤ – ١٧٥)

شئتَ أخفيتَ ، وإن شئتَ رفعتَ صوتك ، فإذا رفعـتَ صوتـك فقـد أحـدثتَ صوتـًا آخر) [١] .

تحليل النص الأول عند القسم الأول من الباحثين :

وقد وقف الباحثون المحدثون – الذين يجمع بينهم أن سيبويه قصد في تعريفه للمجهـور والمهموس ما قصده المحدثون – عند النص الأول وكثير منهم لم يقف إلا على هذا الـنص فجاء تحليله ناقصـًا غير تامّ أو أداه ذلك إلى الوقوع في أخطاء ما كان له أن يقع فيها لـو نظر في النصين الآخرين .

ويتصدّر هؤلاء الباحثين الدكتور إبراهيم أنيس الذي وقف عند النص الأول لسيبويه ، وعقّـب عليه بحكم جائر أطلقه على القدماء الذين نقلوا هذا التعريف ، فقال :

(هذا هو التعريف الذي وقف أمامه علماؤنا القدماء حائرين ، قانعين بترديد ألفاظـه بنـصها دون شرح واضح أو تعليق ذي قيمة ، لا يكادون يقربون منه حتى ينقلبوا عنه ، كأنما تخيلوا في ألفاظه قدسية تحول دون أي تغيير فيها أو تبديل ، ولو بكلمات مرادفة) [٢] . ونقلُ كثير من القدماء تعريفَ سيبويه بألفاظه يحتمل احتمالين اثنين ، أولهما ما ذكره الدكتور إبـراهيم أنيس وثانيهما أن يكون هذا التعريف واضحـًا في أذهانهم وضوحـًا لا يحوج إلى الـشرح والتفسير ، فهو كالقاعدة التي تـُحفظ أو المثل الذي يروى بألفاظه ، فما الذي يجعل الاحتمال الأول راجحـًا والثاني مرجوحـًا في رأي الدكتور إبراهيم أنيس ؟!

وقد بدأ الدكتور إبراهيم أنيس بشرح العبارة الأخيرة في النص الأول : (فإذا أردتَ إجـراء الحروف فأنت ترفعُ صوتك – إنْ شئتَ – بحروف اللين والمد ، أو بما فيهـا منهـا ، وإن شئتَ أخفيت) . ووصل إلى نتيجة مهمة في تفسيره لها حيث نصَّ على أن سـيبويه إنمـا

---

(١) انظر : أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢١) ، حيث نقل هذا النص عن مخطوط شرح الـسيرافي المحفوظ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ولم يذكر الدكتور إبراهيم أنيس رقم هذا المخطوط ، كما لـم يرد هذا النص في الجزئين الأولين المطبوعين من شرح السيرافي اللذين نشرتهما الهيئة المـصرية العامـة للكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التوّاب والدكتور محمود فهمي حجازي ، عام ١٩٨٦ م . وقد ورد في مقدمة التحقيق أنّ هذا الشرح محفوظ برقم (١٣٧ نحو) كما في الصفحة (٣٧) .

(٢) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٣)

أشار بها (إلى ما يلاحظه المحدثون الآن من أن الحركة بعد الحرف أو قبله تساعد على التعرف عليه وتوضيح معالمه ، ولكنّ سيبويه قصر الأمر على جَعْل الحركة بعد الحرف) [١] ولم ينتبه الدكتور إبراهيم أنيس إلى شيء آخر في هذه العبارة ، وهو رفعُ الصوت وإخفاؤه عند اختبار الحروف لمعرفة مجهورها من مهموسها ، وإن كان قد انتبه للإخفاء في تحليله للنص الثاني ، وعدّه وسيلةً لتمييز المجهور عن المهموس معناها (إسكاتُ الذبذبات التي تحدث مع المجهور في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، ومتى سكتت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس) [٢] ولم يتنبه تبعًا لذلك إلى تقديم رفع الصوت على إخفائه في هذه العبارة بعد أن قدم سيبويه المجهور على المهموس في التعريف ، على طريقة اللف والنشر المرتب فرفعُ الصوت قرينُ المجهور من الأصوات ، وإخفاؤه قرين المهموس منها .

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنّ سيبويه أراد بعبارة (إشباع الاعتماد) (أنْ يصف المجهور بأنّه صوتٌ متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة ، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوروبيون بقولهم " sonority " فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس ، لا نزاع في هذا) [٣] كما فسّر الدكتور إبراهيم أنيس (الاعتماد) بأنّه (العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت ، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي .) [٤] وقد استدلّ الدكتور إبراهيم أنيس على تفسيره هذا بأمرين ، أولهما (أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهما يكون في الفم والخياشيم ، بمعنى أنه تتم في الفم عملية عضوية في حالة هذين الصوتين ، وفي نفس الوقت تتم في الخيشوم عملية عضوية أخرى . فالنون تتكون بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكمًا ، ويلتزم الناطق بها هذا الوضع ، غير أنه في نفس الوقت يهبط أقصى الحنك فيفتح طريق الأنف لتسرُّب الهواء منه) . وثانيهما (أنّ سيبويه اعتبر أنّ في المهموس اعتمادًا أيضًا ، ولكنه اعتمادٌ ضعيف) [٥] وتفسير الاعتماد بذلك تفسير واسع يشمل كل

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٠)

(٢) المرجع نفسه (١٢١)

(٣) المرجع نفسه (١٢٣ - ١٢٤)

(٤) المرجع نفسه (١٢٤)

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

حركة عضوية تتم عند نطق الصوت ، لذلك رأى الدكتور فيصل العمري أنَّ الدكتور إبراهيم أنيس توسّع في تفسيره لتعريف المجهور والمهموس عند سيبويه (حتى أبدل الألفاظ معانيهـا والمصطلحات دلالاتها) (١) كما يرى أن تفسير الدكتور إبراهيم أنـيس الـسابق لإشـباع الاعتماد تفسير متناقض ، ووجه التناقض عنده أنَّ إشباع الاعتماد مرحلة أولى من مراحـل إنتاج الصوت المجهور ، وجَعَلَـه إبراهيم أنيس بمعنى وضوح الصوت المجهور وتمكنـه وقوته منذ خروج نفسه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي ، وإشباعُ الاعتماد سبب من أسباب وضوح الصوت المجهور وتمكنه وقوته ، وليس هو الوضوح والقوة (٢) كما يراه الدكتور فيصل العمري . على أنَّ النتيجة المهمة التي توصل إليها الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره السابق للاعتماد وإشباعه إشارتـُه إلى الوضوح السمعي الذي يسببه إشباع الاعتمـاد مع المجهور .

وقد فسَّر الدكتور إبراهيم أنيس (الموضع) في تعريف سيبويه بمجرى الـصوت منـذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج (٣) ، وتبعه على ذلك الدكتور عـلاء الـدين الغرايبة كما تبعه في تفسيره للاعتماد (٤) . ويردُّ هذا التفسيرَ أنَّ سيبويه جعل الاعتمـاد يتم في موضع الحرف ثم نصَّ على أنَّ الاعتماد مع الميم والنون يتم في الفـم والخياشـيم فحسب ، لا في مجرى الصوت كلـّه ، كما أنّ استعمال سيبويه لكلمة الموضع فـي كتابـه يردّ هذا التفسير على ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين (٥) ، قال سيبويه في حديثه عن حروف الإطباق الأربعة : (... وهذه الحروف الأربعة إذا وضعتَ لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان) (٦) .

---

(١) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، **أثر الجهر والهمس والمخرج في المبنى والمعنى للغة** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردنّ ، (١٩)

(٢) المرجع نفسه (٢٠)

(٣) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤)

(٤) الغرايبة ، علاء الدين أحمد محمد (٢٠٠٣ م) ، **التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر** ، الجامعة الأردنيّة ، عمّان ، (١٠٢)

(٥) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، **في التطور اللغوي** ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، (٢٣١)

(٦) (٤ / ٤٣٦)

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس – من قول سيبويه في تعريف المجهور : (ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه) – إلى أن سيبويه كان يشعر بحسه المرهف باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس ، وهو يطابق ما ذهب إليه المحدثون في وصفهم ما يحدث في الأصوات المجهورة [١] . وقد ردّ الدكتور فيصل العمري ما فهمه الدكتور إبراهيم أنيس من عبارة سيبويه السابقة ، ورأى أن سيبويه يشير بهذه العبارة إلى (عملية حجز الهواء وتوقفه وانحصاره بشكل مضغوط عند نقطة الاعتماد في موضع الصوت ، إضافةً إلى ما يحدث من نقطة الاعتماد إلى الرئتين من تغير وتضييق في مجرى الهواء ، مرورًا بالوترين الصوتيين اللذين لم يكن يعرف بهما أو عنهما شيئًا ، ولكن الذي كان يشعر به ، كما نشعر به نحن عند التهيؤ لنطق الصوت المجهور ، ألا وهو إضافة إلى إشباع الاعتماد ومنع النفس تلك الانقباضات التي تحصل في الحلق والحنجرة والصدر) [٢] . وقد غاب عن الدكتور فيصل العمري أن ينبه في تعقيبه على إبراهيم أنيس عند هذه العبارة على الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح القدماء قبل أن ينازعه بالذي كان يشعر به سيبويه عند نطق الصوت المجهور .

والعجب من عبد الحميد زاهيد حين ردّ على ما قرره إبراهيم أنيس من إحساس سيبويه بدور الوترين بقوله : (فليس فقط سيبويه هو الذي يجهل هذين الوترين ودورهما ، بل القدماء عمومًا . فإننا لا نعثر على ما يشير لهذين عند الشيخ الرئيس في كتابه القانون في الطب ، ورسالته أسباب حدوث الحروف رغم درايته بالجانب التشريحي للجهاز الصوتي) [٣] . وقد أثبتُّ خطأ مثل هذا القول في التمهيد .

ويفسر الدكتور إبراهيم أنيس ضعف الاعتماد في تعريف المهموس بعدم تمكن الصوت في أثناء جريانه في مجراه مما يترتب عليه قلة وضوحه [٤] . كما فسّر جري النفس مع المهموس بابتعاد الوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر لينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤)

(٢) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٢٢ – ٢٣)

(٣) في مدونته الإلكترونية (http://zahid٦٦.arabblogs.com/archive/٢٠٠٨/٧/٦٢٥٢٣٩.html)

(٤) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٥)

تحريكهما وإحداث ذبذبات بهما [١] . كما يرى إبراهيم أنيس أن منع النفس مع المجهور يتم في الحنجرة وأن الانحباس المؤقت في الأصوات الشديدة يتم في مخرج الصوت وأن بعض الباحثين التبس عليهم ذلك وزعموا أن تعريف المجهور والمهموس عند سيبويه ملتبس بتعريف الشديد والرخو ، لأنهم ظنوا أن منع النفس مع المجهور في الحنجرة هو ذلك الانحباس المؤقت الذي يتم في مخرج الصوت الشديد [٢] . وقد تعقبه الدكتور فيصل العمري بأنَّ (منع النفس مع المجهور يتم عند موقع الصوت الجغرافي أي في موضع إشباع الاعتماد ، والذي يكون في الحنجرة هو تضييق وليس منعًا ، بمعنى أن ضغط الهواء قبل الحنجرة مساو لضغطه بعدها وإلا لما أمكن السيطرة على ذلك لأنه خلاف قوانين الطبيعة ، إذن فالمنع ليس في الحنجرة وإنما هو في موضع الاعتماد) [٣] وكان حريًّا بالدكتور فيصل أن يشير أيضًا إلى الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح القدماء في تعقبه هذا ، لأنَّ هذا الفرقَ هو الذي يزيل اللبس بين المجهور والشديد خلافًا لما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس .

على أنَّ الدكتور فيصل العمري يتعجب من كون منع النفس مع الصوت المجهور الشديد يكون في الحنجرة وفي مخرج الصوت معًا على التفسير الذي ذكره الدكتور إبراهيم أنيس لمنع النفس . مع أنَّه وقع في خطأ أشد عجبًا مما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس حين أخذ عليه تفريقه بين المجهور والشديد بمنع النفس مع المجهور وعدم انطلاقه حرا طليقًا مع استمرار سماع الصوت ، وبحبس الصوت مع الشديد . ولو فهم الدكتور فيصل العمري الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء لما وقع في هذا الخطأ ولما فسَّر إعراض سيبويه عن وصف النفس في الحروف الشديدة بأنه يعرض عن التكرار لأنه تحدث عن النفس في وصفه للأصوات المجهورة والمهموسة [٤] .

وقد وصل الدكتور إبراهيم أنيس إلى نتائج مهمة أيضًا في تفسير النصين الآخرين لسيبويه سيأتي تفصيلها في موضعها اللائق بها من هذه الرسالة .

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٥)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٢٥)

(٤) المرجع نفسه (٢٧ – ٢٨)

ولم يفسر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من الألفاظ التي وردت في النص الأول سوى لفظ الاعتماد حيث نقل عن الرمّاني قوله : (قوة الاعتماد كقوة النقر) . وهذا النقر حاصل عنده (بفضل تمدد الجلدة المخاطية في موضع الحرف) وقد قاس ذلك بآلة خاصة ، وبين أيضًا (أن التوتر زائد في المجهورة على المهموسة) [١] .

وممن ذهب إلى أن مقصود سيبويه بالجهر والهمس هو عين ما قصده المحدثون الدكتور عبد الحميد محمد أبو سكين ، فقد نقل النص الأول في تعريف المجهور والمهموس عند سيبويه ، ولم يتعرض لتفسير ألفاظه ووجه دلالتها على ما ذهب إليه ، ولم يقف كذلك على النصين الآخرين ، وقرر أنه لا خلاف (بين علاج سيبويه وعلاج المحدثين رغم ما وجد من آلات عن طريقها استطاعوا أن يصلوا لهذه الحقيقة التي وصل إليها سيبويه نفسه ودون الاستعانة بأي آلاتٍ يومَها) [٢] .

وقد وقف الدكتور خليل العطية عند النص الأول والنص الثالث ، وذهب إلى أن (العلماء العرب – مع ما بدا من جهلهم بالوترين الصوتيين ودورهما المعروف في تحديد صفتي الجهر والهمس – لم يكونوا على جهل بأهم ظاهرة في الصوت المجهور ، وهي صفة (التمكن والقوة) التي تأتي من (توترهما) عند التقائهما ، واستشعارهم هذا دليل واضح على معرفتهم بالظاهرة) [٣] . وتأتي صفة التمكن والقوة في المجهور عند الدكتور خليل العطية من (إشباع الاعتماد) عند النطق به [٤] ، ولم يفسر الدكتور خليل العطية وجه دلالة التعريف على ما ذهب إليه ، وقد وقف عند النص الثالث وعلق عليه تعليقًا مهمًا سيأتي في موضعه .

---

(١) انظر : الحاج صالح ، عبد الرحمن (١٩٨٥ م) ، تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل ، **الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني** ، الطبعة الأولى ، مجمع اللغة العربية الأردني ، عمّان ، (١٢٣) .

(٢) أبو سكين ، عبد الحميد محمد (١٩٨٣ م) ، **دراسات في التجويد والأصوات اللغوية** ، شبرا ، مصر ، مطبعة الأمانة ، (٥٠)

(٣) العطية ، خليل إبراهيم (د . ت) ، **في البحث الصوتي عند العرب** ، بغداد ، دار الجاحظ للنشر ، (٤٢)

(٤) المرجع نفسه ، (٤١)

كما يذهب المهدي بوروبه إلى (أن القدماء أدركوا كالمحدثين دور الوترين الصوتيين في تحديد الجهر والهمس . غير أن الأوائل قد انتهى علمهم عند وعي الأثر ووظيفته في فرز الظاهرتين ، ولم يبلغ بهم إلى تسمية مصدر الأثر ، في حين استقام الأمران عند الآخرين) [١] ولم يشر هذا الباحث إلا إلى جزء من النص الأول وجزء من النص الثالث وذكر بعض ضوابط الجهر والهمس عند القدماء وعدَّ منها بعض الضوابط التي ذكرها سيبويه في النص الأول ، وهو يقر بأن هذه الضوابط معتمدة مقررة لدى المحدثين .

ومن هذه الضوابط الواردة في النص الأول التي عرض لها المهدي بوروبه ضابط إشباع الاعتماد وضابط حصر النفس مع المجهور اللذان يُنبئان (بإحساس هؤلاء القوم بذلك الاقتراب الذي يتم بين الوترين الصوتيين عند إصدار هذه الأصوات ، وهو اقتراب يكاد ينسد معه مجرى النفس في الحنجرة مما يؤدي إلى اندفاع الهواء بين الوترين مضغوطًا فيهزهما ثم يستمران على تلك الوضعية إلى أن تنتهي العملية العضوية بميلاد الصوت المجهور المراد لفظه) [٢] كما عرض لضابط ضعف الاعتماد وضابط جري النفس مع المهموس اللذين يتفقان مع ما أكده المحدثون (من أن الوترين الصوتيين مع المهموسة يبتعد كل منهما عن الأخر ، فاسحين بذلك المجال للهواء المندفع من الرئتين بالمرور من بينهما حرًّا طليقًا دون أنْ يهتزّا) . ويترتب على هذا ضعف الصوت المهموس وقلة وضوحه السمعي ، وهو يقترب بهذا من تفسير الدكتور إبراهيم أنيس السالف الذي أُخذ عليه ما أُخذ . وقد أشار المهدي بوروبه إلى إمكانية جري النفس مع الصوت المهموس عند ترديده ساكنًا أو مُحركًا على نحو ما ذكره سيبويه في النص الأول وجعل ذلك من المعايير التي فطن إليها أئمة اللغة [٣] . كما عرض لتفسير جزء من النص الثالث سيأتي في موضعه .

وقد رأى الدكتور عبد القادر مرعي أن سيبويه كان يحس بدور الوترين الصوتيين والرنين الذي يحدثانه مع الأصوات المجهورة دون أن يعرفهما [٤] كما فسّر الاعتماد بأنه (التقاء

---

(١) بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، **المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة حلب ، سورية ، (١٦٣) .

(٢) المرجع نفسه ، (١٦١)

(٣) المرجع نفسه ، (١٦٢)

(٤) الخليل ، عبد القادر مرعي العلي (١٩٨٩ م) ، (١٠٨)

عضوين أو جزأين من عضو واحد التقاءً تامًا أو غير تام ينتج عنه صوت لغوي) كما فسر الموضع بالمخرج (أو النقطة التي يتم فيها الالتقاء المشار إليـــه) وقـد فـرق تفريقـــًا صحيحـــًا بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء معرفــًا النفس بأنه (الهــواء الخارج من الرئتين ولا يحمل ذبذبة صوتية) ، والصوت بأنه (الهواء الذي يحمل الذبذبات الصوتية) (١) .

أمَّـــا الدكتور عبد الصبور شاهين فقد عرض النص الأول وحـــاول أن يفـسر المقـــصود ببعض ألفاظه كالموضع وإشباع الاعتماد ثم قـــرّر أن محاولـــة ســـيبويه تفـسير المجهـــور والمهموس من الأصوات قد ظلّت قانونـــًا (سار عليه جميع من جاء بعده من النحاة والقراء إلى أن جاءت بحوث المحدثين فصدقت كثيرًا مما قاله في هذا الباب مـــع إضـــافتها لحقيقـــة ارتباط الجهر والهمس بدور الحنجرة أي : ذبذبة الأوتار الصوتية في حالـــة الجهـــر وعـــدم ذبذبتها في حالة الهمس) (٢) وقد فسّر الدكتور عبد الصبور شاهين الموضـــع بـــالمخرج مستدلاً على ذلك بنص آخر لسيبويه تحدث فيه عن الحروف المطبقة سبق أن أشرتُ إليـــه عند التعقيب على تفسير الدكتور إبراهيم أنيس للمقصود بالموضع في تعريف سيبويه .
وقصدُ سيبويه بإشباع الاعتماد في المجهور عند عبد الصبور شاهين (أنَّ للمجهور موضعين موضعـــًا في الفم هو مخرج الحرف ، وموضعـــًا في الصدر هو مخرج الجهر ، ولذا كـــان المجهور مشبعـــًا لقوة اعتماده بازدواجه ، على حين كان المهموس ضعيفـــًا ، لِما أنَّه معتمد على موضع واحد هو مخرج الفم ، والنفس جارٍ معه دون احتباس) (٣) ويأخذ الـــدكتور فيصل العمري على الدكتور عبد الصبور شاهين أنه جعل هذا تفسيرًا لإشـــباع الاعتمـــاد ، وإشباع الاعتماد عنده هو (التهيؤ لنطق مثل هذا الصوت مع ما يرافقه من عمليات عضوية) ، كما يرى أنه لم يوظف عبارة سيبويه توظيفـــًا دقيقـــًا ولم يفسرها تفسيرًا صحيحـــًا (٤) .
وقد استشهد الدكتور عبد الصبور شاهين بتفسير الدكتور إبراهيم أنـــيس لمنـــع الـــنفس مـــع المجهور حيث يرى أنه (ناشئ عن اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان

---

(١) الخليل ، عبد القادر مرعي العلي (١٩٨٩ م) ، (١٠٧)

(٢) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٧)

(٣) المرجع نفسه (٢٣٣)

(٤) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٣٢)

يسدان طريق التنفس) [١] وعلق على ذلك بأن (المنع في الحقيقة جزئي ، إذ يحول الجهر بين كمية الهواء المحتبسة في الصدر وبين أن تنطلق على طبيعتها كما في حالة التنفس العادي ، فيتسرب الهواء بين الوترين الصوتيين ضاغطـًا عليهما ليحركهما ، فيجري الصوت فـإذا تمّ الصوت وانقضى الاعتماد جرى النفس على طبيعته) [٢] . وهذا الـذي ذهـب إليـه الدكتور عبد الصبور شاهين يشير إلى أنه لا يفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والعلماء الذين جاؤوا من بعده ، وقد رد الدكتور فيصل العمري هذا التفسير بثلاثة أمـور : أولها أن الذي يمنع الهواء المحتبس في الصدر عن الخروج هو الاعتماد الذي يعنـي عنـده التهيؤ لنطق الصوت المجهور ، وليس الصوت المجهور نفسَه ، وثانيها أنَّ الذي يمنع تـدفق الهواء ليس اقتراب الوترين الصوتيين ، وإنما هو إشباع الاعتماد (أي إغلاق اللسان لمجرى الهواء من نقطة موضع الحرف إلى أطراف الحنك الأعلى مع التحام إطاره بجـانبي الفـم ، فيختصر بذلك حجم حجرة الفم إلى نسبة صغيرة قياسـًا مع حجمها قبل الاعتمـاد ، فيـشتد ضغط الهواء في هذه الحجرة الصغيرة جدا حتى يوازي بقوته ضغط الهواء في الصدر ، فمع انقضاء الاعتماد تتسع حجرة الفم ، ويتدفق الهواء بسرعة شديدة محرّكـًا الوترين في طريقه وحاملاً صوت ذبذبتهما ، وبهذا كلـّه ومعه يجري الصوت ، وبعد ذلك أي بعـد انقـضاء الاعتماد وجري الصوت تتهيأ الفرصة لجريان النفس الجريانَ الطبيعيَّ) [٣] . وثالثها أنَّ قول الدكتور عبد الصبور شاهين السابق : (فإذا تمّ الصوت وانقضى الاعتمـاد جـرى النفس على طبيعته) ليس دقيقـًا في رأي الدكتور فيصل العمري لأن انقضاء الاعتمـاد أو انقضاء التهيؤ لنطق الصوت المجهور يكون قبل تمام الصوت ، واعتراضُ الدكتور فيـصل العمري ليس له وجه لأنه فهم من الواو في قول الدكتور عبد الصبور شاهين الـذي أثبتـُّه آنفـًا أنها للترتيب وأنَّ تمام الصوت يكون قبل انقضاء الاعتماد ، والواو لا تفيـد الترتيـب بنفسها عند جمهور النحويين [٤] .

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤)

(٢) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٢)

(٣) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٣١)

(٤) انظر : ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، الجزء الثاني ، (تحقيق محمد محي الـدين عبد الحميد) ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، (٣٥٤)

ويلخص الدكتور عبد الصبور شاهين رأيه في تفسير النص الأول بأن سيبويه جعل للمجهور صفات ثلاثة ، هي : إشباع الاعتماد في الصدر والفم ، ومنع النفس من الجريان منعًا تامًا ، وهو منع جزئي في رأيه كما سلف ، وجريان الصوت الذي فسّره بنشاط الأوتار الصوتية الذي يسمح في نهايته للنفس بالانطلاق . وبأن سيبويه جعل للمهموس صفتين ، هما ضعف الاعتماد لأن له موضعًا واحدًا في الفم ، وجريان النفس على طبيعته (١) .

ويذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى أن مفهوم الجهر والهمس عند سيبويه لا يختلف عن مفهوم المحدثين ، وقد فسّر الاعتماد بأنه ارتكاز عضو على عضو آخر ، كما هو معناه في اللغة ، كما فسّر الموضع بأنه المخرج ، ويُفهم من كلامه أن النفس قرين الهمس والصوت قرين الجهر على ما قرره سيبويه في نصه الأول (٢) .

ويضطرب الدكتور عبد العزيز الصيّغ في ترجيح المقصود بالجهر والهمس عند سيبويه فبعد أن لخص آراء كبار الباحثين المحدثين في ذلك وقرر أن مصطلح الجهر لدى القدماء لا يختلف كثيرًا عنه لدى المحدثين بل هو نفسه إذا سُلِّمَ بتغير لحق بالأصوات التي وقع فيها الخلاف - ذهب إلى أن (أدلة القول في اختلاف مفهوم الجهر بين القدماء والمحدثين أقوى من الأدلة التي تشير إلى اختلاف النطق لهذه الأصوات قديمًا وحديثًا) (٣)

ويشير الدكتور عبد القادر عبد الجليل إلى أن سيبويه والقدماء اكتفوا ببيان مرور التيار الهوائي عبر جهاز النطق في تعريفهم للمجهور والمهموس من الأصوات ، ولم يعتمدوا على دور الأوتار الصوتية وبيان كيفياتها وأوضاعها في تحديد صفتي الجهر والهمس (٤) . كما يقرُّ أن سيبويه أحسَّ بوجود صوت يخرج من الصدر في أثناء نطق الأصوات المجهورة دون معرفة بمصدره الناتج عن ذبذبة الأوتار الصوتية (٥) مع أنّه يذهب إلى أن تعريفات

---

(١) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٤)

(٢) انظر : الصيّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار الفكر ، (١٠٣) .

(٣) المرجع نفسه (١٠٧)

(٤) انظر : عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، (١١٨ - ١١٩)

(٥) المرجع نفسه ، (١٢٠)

سيبويه والقدماء اتسمت بالصعوبة والتعقيد إلى الحدّ الذي يصعب معه التعرف على مقاصدهم الغرضية ! [١] . ولم يشرح الدكتور عبد القادر عبد الجليل من مفـردات الـنص الأول إلا إشباع الاعتماد ، وضعفه ، ومنع النفس مع المجهور . فقد فسّر إشباعَ الاعتمـاد بالتقـاء عضوين أو جزئين ، وضعفَـه بالتباعد بين هذين العضوين ، والمقصودُ بالعـضوين عنـده الوتران الصوتيان ، وهذا تناقض واضح منه لأنه قرر أن القدماء لم يشيروا إلى دور الأوتار الصوتية كما سلف . ولعله يريد أن سيبويه والقدماء أحسّوا بتقارب عضوين وتباعدهما مـع المجهور والمهموس دون أن يدركوا ماهيتهما ، وأن شرحه لإشباع الاعتماد وضعفِـه تفسير منه لما أحسَّ به سيبويه والقدماء فحسب .

كما يؤكد الدكتور عبد القادر عبد الجليل صحة ما ذهب إليه سيبويه مـن منـع الـنفس مـع المجهور ، بقوله : (وهذا ما أثبتته البحوث الصوتية الحديثة وأثبتتـه التجربـة أن انحبـاس الهواء مع الأصوات المجهورة هو انحباس كلي) [٢] ولعله يرد بذلك على الـدكتور عبـد الصبور شاهين الذي يخطئ سيبويه في ذلك ويرى أن منع النفس مع المجهور منع جزئـي ، ومردُّ هذا إلى أنّ الدكتور عبد الصبور شاهين لا يفرق تفريقـًا صحيحـًا بـين الـصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء كما أسلفت .

ويرى الدكتور فوزي الشايب أنّ تعريف سيبويه والقدماء للجهر تعريف غـامض لأنهـم (توصلوا بذكائهم وفطنتهم ، وحسهم الطبيعي إلى معرفة طابع الجهر دون أن يقفـوا علـى العامل الأساسي الذي يحدثه) [٣] ، كما عدّ نص سيبويه الأول في تعريف الجهر مطاطـًا مضللاً لأنه يلتبس عنده بتعريف الشدة (إذ قد يُفهم من قوة الاعتمـاد أن النـاطق بـصوت مجهور كالدال أو الضاد على سبيل المثال يضع لسانه على اللثة بقوة تفوق القوة العاملة فـي النطق بالتاء أو الطاء . وهذا في الحقيقة ما يفهم من ظاهر اللفظ وإن كان المستشرق أ . شاده يستبعد أن يكون هذا قصد سيبويه ، ونحن في الحقيقة لا نستبعده فكـلام سـيبويه والقـدماء يرجحه) [٤] . وسيبويه لم يذكر أن في الصوت الشديد قوة اعتماد أو إشباع اعتماد ، وإن

---

(١) عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨م) ، (١١٩)

(٢) المرجع نفسه (١٢٠)

(٣) الشايب ، فوزي (١٩٩٩م) ، (٦٥)

(٤) المرجع نفسه ، (٦٥)

ذكر ذلك بعض المتأخرين في تعريفهم لمجهور الأصوات وشديدها كابن الجزري وغيره ، لذلك حاول بعض القدماء أن يوضح الفرق بين قوة الاعتماد في المجهور وقوة الاعتماد في الشديد ، قال أحمد بن أبي عمر في كتابه (الإيضاح في القراءات) :

(الفرق بين المجهور والشديد أن المجهور يقوى الاعتماد فيه بشدة الوقع ، والشديد يشتد الاعتماد فيه بلزوم موضعه لا بشدة الوقع .) [١] فشدة الوقع هي معنى إشباع الاعتماد في المجهور عند أحمد بن أبي عمر ، ولكن ما هو المقصود بشدة الوقع ؟ الشدة معروفة في اللغة ، أما الوقع فهو عندهم صوت ارتطام شيء متحرك له صوت معروف بشيء ثابت ساكن كالأرض أو غيرها فلا بد للوقـْع من صوت مسموع ، من ذلك قولهم : سمعتُ وقعَ المطر ، وهو شدة ضربه الأرضَ إذا وَبَـلَ ، وسمعتُ لحوافر الدوابِّ وقعًا ووقوعًا [٢] . ومعنى ذلك في المجهور من الأصوات أنَّ النفس يخرج من الرئتين فيستحيل صوتًا مسموعًا عند تموجه بذبذبة الوترين الصوتيين ، وهذا الصوت هو نغمة الجهر ، وعندما تبلغ هذه النغمة إلى موضع الصوت فإنها ترتطم به لتشكل الصوت المجهور ، وهذه الشدة التي ذكرها أحمد بن أبي عمر تنشأ عن التقاء نغمة الجهر بموضع الصوت وارتدادها وانحصارها فيه ، والصوت يرتد كما ترتد الأجسام وينحصر عند الموضع ، وينسلُّ شيء منه بسبب شدة هذا الوقع إلى الداخل ليحدث صوتًا أشبه بالصدى الذي يحس به المرء إذا وضع يده على جبهته أو في أذنيه كما يحس به في الصدر كما أشار إليه سيبويه في النص الثالث . وتقريب هذا الأمر بالمثال الذي ذكره ابن منظور عن وقع المطر أن المطر له صوت معروف فإذا وقع على الأرض ارتدَّ قليلاً إلى فوق ليصدر صوتَ وقعه ، ولو وقعَ المطر على موضع منحصر من الأرض كموضع الصوت في الفم أو ثقبٍ صغير منها لملأ هذا الثقبَ ثم سال الزائد منه على الأرض تمامًا كما هي نغمة الجهر مع موضع الصوت المنحصر في جزء من الفم .

وسلف أن سيبويه لم يشر إلى قوة اعتماد أو إشباع اعتماد مع الشديد ، وأشار إلى ذلك بعض المتأخرين مما حدا بابن أبي عمر أن يفرق بين قوة الاعتماد في المجهور وقوته في الشديد ، وقد ذكر أن لزوم الموضع هو معنى قوة الاعتماد في الشديد ، وتفسير ذلك على ما أراه أن الصوت الشديد شديد الملازمة لموضعه صعبٌ انفكاكه عنه حيث يلجأ المتكلم إلى طريقة لفك

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١٢٩)

(٢) ابن منظور (١٥ / ٢٦٠)

المخرج والهروب منه ، إما بفك المخرج بقوة واضطراب وهذا الفك اصطلح عليه باسم القلقلة كما في الشديدة المجهورة إلا الهمزة (١) التي يجب أن يراعى فك مخرجها بيسر دون تكلف كما سيتبيَّن في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، وإما بإخراج النفس دفعة واحدة بعد النطق بالصوت كما في الأصوات الشديدة المهموسة وهي الكاف والتاء .

كما فهم الدكتور فوزي الشايب من تعريف سيبويه والقدماء للجهر أن المجهور عندهم يتطلب جهدًا عضليًّا أكثرَ من المهموس ، وهذا خلاف ما ثبت عند كثير من المحدثين ، وهو وجه من وجوه غموض الجهر والتباسه عند سيبويه والقدماء على ما ذهب إليه الدكتور فوزي الشايب ، لأنَّ نطق الصوت المجهور (أيسر من نطق الصوت المهموس ، وذلك لأنه مع نفس قوة هواء الزفير فإن تذبذب الأوتار الصوتية في حالة الجهر يضعف ضغط الهواء فوق المزمار ، ومن ثَمَّ يضعف قوة نطق الصوت فوق الحنجري) (٢) . ولذلك يوافق الدكتور كمال بشر في وسمه تعريفات القدماء للمجهور من الأصوات بالصعوبة والتعقيد وغموض المقصد . وقد استدلَّ الدكتور فوزي الشايب على فهمه هذا بقول سيبويه : (والمهموس أخفُّ من المجهور) (٣) ، وبقول الأزهري : (والمهموس حرف لان في مخرجه دون المجهور ، وجرى معه النفس) (٤) ، وبقول الرضي : (والهمس والرخاوة أسهل على الناطق من الشدة والجهر) (٥) .

وفهمُ الدكتور فوزي الشايب فهم صحيح ، فواضح من هذه النصوص السابقة (أن المجهور عندهم يتطلب جهدً عضليًّا أكثر من المهموس) (٦) ، ولكنَّ تعقيب الدكتور على هذا الفهم وجعلَه إياه وجهًا من وجوه غموض الجهر والتباسه عند سيبويه والقدماء غيرُ صحيح فهو يرى أن المهموس هو الذي يتطلب جهدًا عضليًّا أكثر من المجهور تبعًا لكثير من الباحثين المحدثين . وقد رجّح الدكتور فيصل العمري ما ذهب إليه سيبويه والقدماء ورأى أن القول بأن الأصوات المهموسة تتطلب جهدًا عضليًّا أكبر مما تتطلبه المجهورة قولٌ لا

---

(١) لأنها مجهورة شديدة عند القدماء

(٢) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٥)

(٣) سيبويه (٤ / ٤٥٠)

(٤) ابن منظور (١٣ / ٥)

(٥) الأستراباذي (٣ / ٢٧٥)

(٦) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (٦٥)

قرار له [١] واختار أنه (في حالة نطق الأصوات المجهورة فإن طاقة تبذل إضافة ً إلى ما يبذل في إنتاج الأصوات المهموسة) [٢] (ذلك أن نطق الأصوات المهموسة لا يتطلب إلا أمرين ، الأمر الأول اعتيادي ، وهو عملية النفس الطبيعي أو شبه الطبيعي وما يرافقها من تمدد وانقباض ، والأمر الثاني هو الاعتراض لهذا الهواء في مواضع الحروف ثم النطق به) [٣] وتزيد الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة (بانشداد الوترين الصوتيين وتوترهما الطارئين استعدادًا للنطق مع ما يرافقهما من تحجمات وتشكلات في حجر الرنين إضافة ً إلى إغلاق مجرى الهواء في مواقع الحروف الجغرافية (الأحياز) بإحكام مع اتخاذ اللسان الوضع المناسب لنطق صوت من الأصوات وما ينجم عنه من تشكيل للحجرة الفموية وضغط للهواء فيها استمرارًا لضغطه في كل أعضاء الجهاز التنفسي) [٤] .

ويرى الدكتور غانم قدّوري الحمد صعوبة إدراك المقصود بالمجهور والمهموس في كلام سيبويه ، ويُرجع ذلك إلى عدم معرفة سيبويه بالوترين الصوتيين ، كما رأى أن الباحثين المحدثين لم يصلوا بعد ُ إلى نتيجة حاسمة في معنى الجهر والهمس عند سيبويه [٥] .

على أنه يذهب إلى أن سيبويه تمكن من إدراك آثار اهتزاز الوترين الصوتيين على الأصوات اللغوية مستدلا ً على ذلك بثلاثة أدلة ، أولها أن سيبويه (استطاع أن يصنف الأصوات تصنيفًا صحيحًا إلى مجهورة ومهموسة ، ويمكن أن نجد تفسيرًا لوصف القاف والطاء والهمزة بالجهر) [٦] ، وثانيها أنه نبّه على صوت الصدر في إصدار الصوت المجهور ، وسيأتي الحديث عن صوت الصدر عند الحديث عن نص سيبويه الثالث . وثالثها إدراك

---

(١) العمري ، فيصل حسن ابراهيم (٢٠٠٤) ، (٥٨)

(٢) المرجع نفسه (٥٩)

(٣) المرجع نفسه (٥٨)

(٤) المرجع نفسه (٦٠)

(٥) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٤ م) ، **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار عمّار للنشر والتوزيع ، (١٠٣)

(٦) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

سيبويه لدور الجهر والهمس في التفريق بين الأصوات المشتركة في مخرج واحد كالزاي والسين ، والذال والثاء ، والتاء والدال ، والخاء والغين [١] .

ويمتاز الدكتور غانم قدوري الحمد بسعة اطلاعه على التراث الصوتي العربي مخطوطه ومطبوعه ، مما أتاح له أن يستفيد من هذا التراث في تفسير معنى الجهر والهمس عند سيبويه بصورة مقاربة لما فهمه من جاء بعده من القدماء ، وكان تحليله لمعنى الجهر والهمس عند سيبويه منصبًا على النص الثالث كما سيأتي في موضعه من هذه الرسالة .

وقد استطاع الدكتور غانم الحمد أن يقف على الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح القدماء ، وهذا يعين الدارس على معرفة الفرق بين الجهر والشدة في اصطلاحهم ، فقد نقل عن مخطوط شرح المقدمة الجزرية لطاش كبري زاده (أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفسًا ، بفتح الفاء ، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتًا) [٢] . وهذا عين ما قصده سيبويه في تعريفه للجهر وتعريفه للشدة ، فالجهر مختص بمنع جريان النفس أي الهواء الخارج من الرئتين بدفع الطبع (هواء الزفير) ، والشدة مختصة بمنع جريان الصوت ، أي النفس بعد تموجه وتشكله في مخرج الحرف . وقد أشرتُ آنفًا إلى أن الدكتور الحمد لم يفسر مفردات النص الأول ، ووقف عند النص الثالث كما سيأتي في موضعه . وقد أثبتَ كذلك نصوصًا لبعض علماء التجويد رأى فيها بعض الإضافات الصحيحة على تعريف سيبويه للمجهور من الأصوات كطاش كبري زاده ومحمد المرعشي ، وقد سلف أن هذه النصوص لا تحتوي إلا على شرح لكلام سيبويه ، وقد بينتُ ذلك في مستهلِّ هذا الفصل . على أن هذه النصوص تعين الباحثين إعانة جيدة في فهم كلام سيبويه ، ولو رجع إليها الباحثون المحدثون لما وقعوا في اللبس والغموض الذي ادّعوْه في كلام سيبويه . ولا يفوت الدكتور الحمد أنَّ كلام سيبويه والقدماء في شرح المجهور والمهموس من الأصوات يتركز (على الأثر السمعي لا على توضيح مصدر الجهر) [٣] كما سلف .

وهذه النصوص التي عُني بها الدكتور غانم الحمد دلته على أن القدماء ومنهم سيبويه أشاروا إلى حقائق أيدها البحث الصوتي الحديث سيأتي تفصيلها في موضعها لأنه لم يعرض لتفسيرها

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٤ م) ، **المدخل إلى علم أصوات العربية** (١٠٤)

(٢) الحمد ، غانم (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١٠٤)

(٣) المرجع نفسه (١١٧)

بعد نص سيبويه الأول الذي هو موضع البحث . وخلاصة رأي الدكتور غانم الحمد أن القدماء نجحوا في وصف الأثر السمعي للمجهور والمهموس دون أن يعرفوا مصدره في الحنجرة وأنهم أدركوا (كلّ خصائص الصوت المجهور والصوت المهموس) (١) بما يدل (على عمق النظرة والمواظبة على البحث من أجل اكتشاف أسرار الصوت الإنساني) (٢) .

وقد وقفت الدكتورة ابتسام جميل على نصوص سيبويه الثلاثة ، واجتهدت في تفسير العبارات المشكلة في هذه النصوص ، وقابلت بين مفهوم الجهر وخصائصه ، ومفهوم الهمس وخصائصه بعبارات سيبويه نفسها حيث يتميز الجهر كما في النص الأول بإشباع الاعتماد في الموضع ، والهمس بضعف هذا الاعتماد ، كما يتميز الجهر بمنع النفس من الجريان ، والهمس بجريان هذا النفس ، كما يتميز الجهر بقضاء الاعتماد وجريان الصوت .

والاعتماد – كما فسرته الدكتورة ابتسام جميل – (الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين اثنين من أعضاء النطق في لحظة إنتاج الصوت المجهور) (٣) وإسناد الإشباع إلى الاعتماد (إشارة إلى علو درجة الضغط الكامنة في ذلك " الموضع " عند نطق الصوت المجهور) (٤) . وواضح من تفسيرها لإشباع الاعتماد أنها تفسر الموضع بالوترين الصوتيين كما نصت على ذلك في صفحات لاحقة (٥) .

كما تأخذ الدكتورة ابتسام جميل على أكثر الدارسين أنهم صرفوا نظرهم إلى إشباع الاعتماد وحده في تعريف الصوت المجهور عند سيبويه دون النظر إلى قضاء الاعتماد الذي يعد مرحلة تالية لإشباع الاعتماد لا يجري الصوت إلا بهما معًا ، وقد فسّرت قضاء الاعتماد بتجاوز جزيئات الهواء المتسارعة – التي تجمعت بفعل الضغط الذي أحدثه إشباع الاعتماد – لنقطة العائق التي تشكلت أيضًا بفعل إشباع الاعتماد وهو (الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين اثنين من أعضاء النطق في لحظة إنتاج الصوت المجهور) كما سبق .

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١٢١)

(٢) المرجع نفسه (١٢٢)

(٣) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (١٩)

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) انظر : المرجع نفسه ، (٣٣ - ٣٥)

فدون هذه المرحلة لا يسمع الصوت ، فإشباع الاعتماد الذي يعقبه قضاء الاعتماد مرحلتـــان متتابعتان لا يجري الصوت إلا بهما معــًا [١] .

وقد فسرت الدكتورة ابتسام جميل (منع النفس من الجريان) بإخماد سرعة تدفق الهواء فـــي أثناء مروره من منطقة الاعتماد ، وليس توقفه توقفــًا تامــًا ، وهي توافق بذلك الدكتور عبد الصبور شاهين الذي ذهب إلى أن منع النفس مع المجهور منع جزئـــي [٢] ، وقـــد عـــدت الدكتورة ابتسام جميل منع النفس من الجريان مُسبــَّبــًا عن مرحلة إشباع الاعتماد التي تعقبها مرحلة قضاء الاعتماد ثم جريان الصوت وحدوث الأثر السمعي [٣] . وواضح أنها تفسِّر جريان الصوت بحدوثه ونشوئه لا بانسيابه وذهاب أثره وإن لم تنص ّ على ذلك لأنها قررت أن سماع الصوت المجهور لا يتم إلا بعد قضاء الاعتماد [٤] .

وتتمة القول في تفسير الدكتورة ابتسام جميل للنصين الثاني والثالث ستأتي في موضعها .

ويذهب الدكتور فيصل العمري إلى أن المعنى الاصطلاحي للجهر في التراث العربي فيـــه بعض الغموض خاصة ً عند سيبويه [٥] ، كما يرى أن غموض هذا التعريف الذي احتـــواه نص سيبويه الأول الذي أثبتــُّه يحتمل وجهين من التفسير ، أولهما أن فهم سيبويه لظـــاهرتي الجهر والهمس فهم صحيح دقيق ، والغموض في الصياغة لا غير . وثانيهما أن السبب فـــي غموض هذا التعريف هو عدم استيعاب سيبويه لهاتين الظاهرتين ، فكان يحوم حول المعنـــى ولا يخوض فيه فجاء تعبيره غامضــًا . ويرجح الدكتور فيصل العمري التفـــسير الأول لأنَّ وصفَ سيبويه للأصوات وتحديدَه مخارجها ينمُّ عن وعي تام ٍ بهذه القضية ، غير أنـــه لـــم يعرف الوترين الصوتيين ليربط الجهر والهمس بهما [٦] .

---

(١) انظر : جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (١٩)

(٢) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٢)

(٣) انظر : جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٢٠)

(٤) انظر : المرجع نفسه (٢٣)

(٥) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (١٠)

(٦) انظر : المرجع نفسه ، (١٠ – ١١)

وقد حللَّ نصَّ سيبويه الأول إلى ألفاظ ومصطلحات وجمل ثم شرع في تفسيرها . أما الألفاظ فهي على الترتيب الذي ذكره الدكتور فيصل العمري (حرف ، إشباع ، اعتماد ، موضع ، إضعاف ، المنع ، الانقضاء) وقد كان أغلب شرحه لهذه الألفاظ لغويًّا صرفًا .

أما المصطلحات فهي على الترتيب الذي ذكره (أشبع الاعتماد ، أضعف الاعتماد ، منع النفس ، جري النفس ، جري الصوت) . وقد فسر الإشباع والإضعاف المسندين إلى الاعتماد تفسيرًا لغويًّا ، فالإشباع (يتضمن التكثير والتكثيف والتضعيف والقوة ... وهو كله مضاف إلى الاعتماد الذي يقوم على التوكؤ والاتكاء على الشيء وبالتالي التحمل والضغط عليه ، فيكون عمودَه الذي يعتمد عليه ، وسندَه الذي يستند عليه ، وسدّادته التي تسدُّ نوافذه ، فيجتمع ما سُدَّ عليه خلفه) [١] . و أضعِفَ : (خُفِّفَ ، أو جُعل ضعيفًا لا يُقاوم ، وكلُّ ذلك أسنِدَ إلى الاعتماد) [٢] .

وقد سلك الدكتور فيصل العمري مسلكًا جديدًا في تفسيره لمصطلح الاعتماد عند سيبويه ، حيث فسّره بمصطلح آخر سمّاه (الافتراش) وهو مصطلح (له شديد الأثر في صفات الأصوات وإنتاجها ، وهو شديد الصلة بالاعتماد بل هو منتج من منتجاته) [٣] وقد عنى بهذا المصطلح (المساحة المخصوصة من اللسان بالتأرّض لما يعلوها من الحنك الأعلى استجابةً للاعتماد بشقيه المشبع والضعيف) [٤] .

وقد أجرى الدكتور فيصل العمري تجربة قارن فيها <u>مساحة الافتراش</u> من اللسان <u>بالاعتماد</u> لحرفي الدال والتاء لأنهما من مخرج واحد ، وأحدهما مجهور والآخر مهموس ، حيث قام بطلاء الحنك الأعلى بمادّة صبغية ثم اعتمد لنطق صوت التاء ونطقَه ، وبعد نُطقه ألزمَ اللسان قطعةً من الورق فانتسخ الجزءَ المفترَشَ من اللسان والذي اكتسب لون الصبغ من الحنك الأعلى عند الافتراش على قطعة من الورق . ثم أعاد التجربة على صوت الدال ، وقارن مساحة افتراش كلٍّ من الدال والتاء بالآخر ، فوجد أنَّ مساحة الافتراش في حالة إشباع الاعتماد (مع الدال) تساوي ضعفيْ مساحته في حالة إضعاف الاعتماد (مع التاء) تقريبًا

---

(١) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (١٤)

(٢) المرجع نفسه ، (١٥)

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

. [١] واستنتج أن مساحة الافتراش ترتبط بالاعتماد ارتباطـًا طرديـًّا فكلما زاد الاعتماد زادت مساحة الافتراش ، وكلما زادت مساحة الافتراش زاد ضغط الهواء في الحجرة الفموية ، وكلما زاد ضغط الهواء في الحجرة الفموية زادت حدة القرع ، وكلما زادت حدة القرع زاد الصوت حدة ووضوحـًا وبيانـًا وغلظةً . كما تؤدي زيادة مساحة الافتراش نتيجة لإشباع الاعتماد إلى زيادة مساحة مخرج الصوت ، وكلما زادت مساحة حدَّيْ مخرج الصوت زاد تفخيمـًا وغلظةً . كما أن إضعاف الاعتماد يؤدي إلى قلة مساحة الافتراش ، وكلما قلت مساحة الافتراش قلَّ ضغط الهواء في الحجرة الفموية ، وكلما قل ضغط الهواء في الحجرة الفموية قلت حدة القرع ، وكلما قلت حدة القرع قلت حدة الصوت وقل بيانه ووضوحه وغلظته كما أن نقص مساحة الافتراش نتيجة لإضعاف الاعتماد يؤدي إلى نقص مساحة مخرج الصوت ، وكلما نقصت مساحة حدَّيْ مخرج الصوت نقص تفخيمه وغِلَظُه .

وقد فسّر الدكتور فيصل العمري منع النفس بإيقاف هواء الزفير الخارج من الإنسان وإمساكه وحجزه في عملية التنفس المعروفة ، كما فسّر جري النفس بانسياب هواء الزفير ومضيه واستمراره . أمّا جري الصوت ففسّره بالحدوث [٢] ونفى أن يكون معناه التسيح والانسياب ورأى أن حدوث الصوت المجهور إنما يتمُّ بعد عملية انقضاء الاعتماد [٣] .

أمّا الجمل فهي جمل سيبويه عينها ذكرها الدكتور فيصل العمري على الترتيب نفسه : (فالمجهورة : حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت) ، وقد فسّر الدكتور فيصل العمري الموضع بموضع الحرف الجغرافي وهو المساحة التي يعتمد عليها أو يفترشها اللسان في الجهاز النطقي ، والمخرج يقع ما بين موضع الحرف الجغرافي في الجهاز النطقي وبين النقطة التي يرجع إليها جزء اللسان الذي أنشأ الاعتماد [٤] ، فاللسان معتمِد على موضع الحرف ، وموضع الحرف مُعتمَدٌ عليه ، وما بينهما هو المخرج . فالدكتور فيصل العمري ينفي الترادف بين مصطلحي الموضع والمخرج ، وقد استنتج الدكتور عبد الصبور شاهين هذا الترادف من قول سيبويه : (فأمّا المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء ، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف لأنك

---

(١) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (١٥)

(٢) انظر : المرجع نفسه (١٨)

(٣) انظر : المرجع نفسه (٢٤)

(٤) انظر : المرجع نفسه (٢٢)

لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى ، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعتَ لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعتَ لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف . وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعتَ لسانك في موضعهن ، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان ، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت) [١]

وهو استنتاج خاطئ في رأي الدكتور فيصل العمري (ذلك أن عبارة سيبويه ذاتها تحمل تفريقـًا بين المخرج والموضع ، فالموضع للحرف ، والمخرج مكان حدوث الصوت ، فالحروف المطبقة يُرفع لها اللسان إلى الحنك الأعلى ، فإذا استقرَّ اللسان في موضعهن التحمت جوانب اللسان بإطار الحنك الأعلى وجوانب الحجرة الفموية ، وتقعَّر عند الوسط ، فيكون الصوت محصورًا في هذا الفراغ بين مقدمة اللسان وموضع الحرف وجزء اللسان المتقعر وما يقابله من الحنك الأعلى ، وهذا دليل واضح في أن موضع الحرف غير مخرج صوته ، فموضع الحرف حد من حدود موقع الصوت الذي هو المخرج ، فالمخرج ينحصر بين موضع الحرف وبين جزء اللسان بعد تجافيه عن موضع الحرف لإنتاج الصوت ، هذا فيما عدا المطبقة ، أما في المطبقة فهو كما بينه سيبويه ... فقول سيبويه : " فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت " هو تحديد لمخرج الصوت لا لموضع الحرف ، وقد قال ذلك صراحة في بداية عبارته : " فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف " وإلا فبإمكاننا أن نستخدم موضعـًا من موضعين ونكتفي به لكل واحد منهما) [٢] .

ويرى الدكتور فيصل العمري أن إنتاج الصوت المجهور له ثلاث مراحل ، كل مرحلة تمثلها جملة من جمل سيبويه السابقة ، الأولى إشباع الاعتماد في الموضع ، والثانية منع النفس من الجريان مع إشباع الاعتماد ، والثالثة انقضاء الاعتماد وجريان الصوت . وقد فسر الدكتور فيصل العمري إشباع الاعتماد في الموضع بمصطلح الافتراش الذي مرّ شرحه آنفـًا ، كما ردّ تفسير كلٍّ من الدكتور تمام حسان والدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الصبور شاهين للاعتماد وإشباعه ، كما ردّ تفسير كلٍّ منهم كلمة الموضع بالمجرى أو المخرج .

---

(١) سيبويه (٤ / ٤٣٦)

(٢) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٢٩ – ٣٠)

كما رأى الدكتور فيصل العمري أن سيبويه أشار بعبارة (ومنع النفس أن يجري معه) – وهي مرحلة ثانية من إنتاج الصوت المجهور – إلى (عملية حجز الهواء وتوقفه وانحصاره بشكل مضغوط عند نقطة الاعتماد في موضع الصوت ، إضافةً إلى ما يحدث من نقطة الاعتماد إلى الرئتين من تغير وتضييق في مجرى الهواء ، مرورًا بالوترين الصوتيين اللذين لم يكن يعرف بهما أو عنهما شيئًا ، ولكن الذي كان يشعر به ، كما نشعر به نحن عند التهيؤ لنطق الصوت المجهور ، ألا وهو إضافة إلى إشباع الاعتماد ومنع النفس تلك الانقباضات التي تحصل في الحلق والحنجرة والصدر) [١] وقد سلف أنه يرى أن منع النفس يتم في موضع الاعتماد لا في الحنجرة كما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس .

ولا يتفق الدكتور فيصل العمري مع الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره لجري النفس على أنه ابتعاد الوترين الصوتيين من بعضهما في حالة الصوت المهموس ، وانطلاق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما أو إحداث ذبذبات بهما إذ يرى الدكتور فيصل العمري أن جري النفس مع المهموس (هو استطاعته اعتياديًا ، ومن غير عنت أو نصب مع التهيؤ لنطق الصوت المهموس ، وذلك باتخاذ أوضاع النطق كل ما يلزم لنطق الصوت ، وليس النطقَ به ، وفي حالة التهيؤ الكاملة لنطق الصوت المهموس يجري النفس طبيعيًا واعتياديًا ، مع ما يرافقه من استعداد للنطق ، ولو استمرَّ هذا التهيؤ والاستعداد طويلاً ، ألا ترى أنك لو تهيأتَ لنطق صوت التاء التهيؤَ الكامل ومكثتَ طويلاً على هذه الحالة قبل نطقه فإنك تستطيع النفس فيجري النفسُ اعتياديًا . هذا هو جري النفس في قول سيبويه ، أما جري النفس مع تكرار الصوت المهموس فأمر صحيح لا غبار عليه ولكن ليس من دون تحريكٍ للوترين ، ومن دون إحداث الذبذبات بهما فهذا لا بد منه ، ولكن بصورة قليلة لا يُشعَر بها قياسًا على ما يحدث مع الأصوات المجهورة) [٢] .

ويرى الدكتور فيصل العمري أن منع النفس مع المجهور عند سيبويه يكون في حالة إشباع الاعتماد أي قبل النطق بالصوت ، وأن منع النفس في حالة إشباع الاعتماد يستمر حتى ينقضي الاعتماد ويتكونَ الصوت ، لذلك يفسر جريان الصوت بالحدوث لا الانسياب

(١) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٢٢ – ٢٣)
(٢) المرجع نفسه (٢٤ – ٢٥)

والتسيُّحِ كما سلف ، فمنع النفس يستمر حتى يتم الاعتماد بابتعاد جزء اللسان الذي به الاعتماد ، ورجوعِه عن وضعه إلى حالة أخرى تسمح بخروج النفس ، وعند هذا الانقضاء للاعتماد يجري الصوت أي يحدث (١) . لذلك لا يرى الدكتور فيصل العمري صحة التفريق بين المجهور والشديد بامتناع النفس مع نطق الصوت المجهور وامتناع استمرار الصوت مع الشديد ويرى أن إعراض سيبويه عن وصف النفس في الشديد كان لتجنب التكرار لا غير ! (٢) .

وقد قرر الأستاذ كمال بخوش أن سيبويه يستعمل مصطلح الموضع بمعنى المخرج ، واستدلّ على ذلك بحديث سيبويه السابق عن الحروف المطبقة . كما يرى أن عملية الجهر عند سيبويه تحدث وفق مراحل ثلاثة متتالية ، إشباع الاعتماد في الحنجرة ثم منع النفس من الجريان ثم جريان الصوت . كما يرى أن عملية الهمس تحدث وفق مرحلتين متتاليتين ، ضعف الاعتماد ثم جريان النفس على طبيعته . وواضح أنه استنتج هذه المراحل من نص سيبويه الأول في تعريف المجهور والمهموس حيث لم يعرض في تحليله هذا لغير هذا النص . أما المرحلة الأولى من مراحل الجهر فقد وقع فيها الأستاذ كمال بخوش في تناقض حين جعل إشباع الاعتماد يتم في الحنجرة ، وإشباعُ الاعتماد عند سيبويه يتم في موضع الحرف الذي فسّره الأستاذ بالمخرج في مستهل بحثه ودلل عليه بنص سيبويه الذي تحدث فيه عن الحروف المطبقة كما أشرتُ آنفـًا . ولعل الأستاذ يرى أن الضمير في (موضعه) يعود على الاعتماد ، وأن موضع الاعتماد هو الحنجرة ولكنّه لم ينبه على ذلك . وقد فسّر الأستاذ كمال بخوش إشباع الاعتماد بأنه (العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت ، فهو يكون عند إنتاج صفة الجهر للصوت وليس عند إنتاج الحرف) (٣) . ويُلاحَظ أنّه قد فسر إشباع الاعتماد بمثل ما فسَّر به الدكتور إبراهيم أنيس الاعتمادَ نفسَه ، وهو تفسير ملبِس مبهَم لأنه لم يوضح هذه العملية العضوية التي تُنتج الصوت المجهور .

---

(١) انظر : العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، (٢٧)

(٢) انظر : المرجع نفسه (٢٧ – ٢٨)

(٣) بخوش ، كمال (٢٠٠٨ م) ، الدرس الصوتي عند سيبويه من خلال : الكتاب (مخارج وصفات حروف العربية) ، **الصوتيات** ، حولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة ، جامعة سعد دحلب – البليدة ، الجزائر ، العدد الخامس ، (٧٩)

أما المرحلة الثانية لعملية الجهر (منع النفس من الجريان) فهي لا تحـدث إلا بعـد تمـام المرحلة الأولى حيث (يؤدي اقتراب الوترين الصوتيين إلى سد مجرى الهواء المنـدفع مـن الرئتين ، حتى يكاد يكون ذلك بشكل تامّ (منع النفس من الجريان) ومن هنا يبدأ الضغط في الداخل بالارتفاع حتى إذا وصل إلى درجة معينة ، اندفع الهواء المحتبس بقوة إلى الخـارج ، محاولاً تعديل الضغط بين طرفي الوترين الصوتيين وفقـًا لقانون الطبيعة العامّ (الضغط الداخلي > الضغط الخارجي) ، فيتسرب الهواء بين الوترين ضاغطـًا عليهما ليحركهما (فيجري الصوت) . فإذا تمّ الاعتماد صار النفس يجري على طبيعته) [١] . وعلى هذا فإن المرحلة الثالثة وهي جريان الصوت تعني (نشاط الأوتار الصوتية الذي يسمح في النهاية للنفس بالانطلاق) [٢] .

كما يرى الأستاذ كمال بخوش (أنّ هناك تشابهـًا كبيرًا بين الآليات العضوية التي تؤدي إلى حدوث الجهر والتي تؤدي إلى حدوث الشدة ، فكلاهما قائم على مبدأ الحبس أو المنع نتيجة قوة الاعتماد في الموضع . فالجهر يساوي حبس الهواء (مستوى الحنجرة) ، والشدة تساوي حبس الصوت (في مستويات مختلفة من الجهاز الصوتي)) [٣] . كما يرى أنّ (الرخاوة تنتج وفق نفس المبدأ العضوي الذي تنتج عنه صفة الهمس ، فإذا كانت هذه الأخيرة قائمـة على مبدأ جريان الهواء فإن صفة الرخاوة قائمة على مبدأ جريان الصوت) [٤] .

كما يفرق الأستاذ كمال بخوش تفريقـًا صحيحـًا بين الـصوت والـنفس وبـين الإطبـاق والاستعلاء على ما هو مستقرٌ في اصطلاح القدماء [٥] .

ويرى الدكتور عبد الغفار هلال أن المحدثين يكادون يتفقون مع القـدماء فـي المقـصود بصفتي الجهر والهمس وأن ذوق العلماء القدماء أمثال سيبويه وابن جني وإحساسهم المرهف

---

(١) بخوش ، كمال (٢٠٠٨ م) ، (٧٩)

(٢) المرجع نفسه ، (٨٠)

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٥) المرجع نفسه (٨١)

كان أكثر دقة من الآلات التي استخدمها المحدثون من علماء اللغة . كما يرى أن تأمّل تعريف المجهور والمهموس عند سيبويه يفضي إلى هذه النتيجة التي أقرّها [١] .
ويذهب الدكتور عبد الغفار هلال إلى أن المقصود بإشباع الاعتماد في النص الأول (قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على أعضاء النطق في أثناء مروره في مجراه في الحنجرة حتى مخرج الصوت ، وهذا يؤكد أنَّ الحرف المجهور حرف واضح لِما يصحبه من عملية صوتية قوية ، والحرف المهموس بالعكس يصحبه هواء ضعيف الضغط لا يؤثر تأثيرًا قويًا في أثناء سيره في مجراه منذ خروجه من الرئتين) [٢] . وهو يرى في كلامه السابق شرحًا لرأي الدكتور إبراهيم أنيس في معنى الاعتماد حين قال : (وليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت ، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي) [٣] . كما يرى أن كلام الدكتور تمام حسان يتفق مع كلام الدكتور إبراهيم أنيس في تفسير إشباع الاعتماد وإن كان يختلف معه في تفسير الموضع بالمخرج .

ويوافق الدكتور عبد الغفار هلال الدكتور تمّام حسان في ربطه بين هذا المعنى لإشباع الاعتماد في الموضع الذي يبدأ بضغط الحجاب الحاجز على الرئتين وبين عمل الأوتار الصوتية كما يراها المحدثون ، وهذا الربط واضح في قول الدكتور تمام : (إن مرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر ، فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء ، ولكنها تتقارب دون التصاق في حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر ، وتكون حركة الحجاب الحاجز من ثمَّ أقلَّ عنفًا) [٤] . ويرى أن كلام الدكتور تمام السابق يؤكد فهمه لعبارة سيبويه : (ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت) (فكأن الأوتار الصوتية [على ما يراه الدكتور عبد الغفار هلال] حين يتقارب بعضها من بعض تكاد تمنع الهواء من المرور ، وهذا يجعل الهواء يؤثر عليها بالاهتزاز المستمر حتى ينتهي الصوت إلى مخرجه ويبرز إلى الوجود ،

---

(١) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، **الصوتيات اللغوية ، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الكتاب الحديث ، (١٨٧)

(٢) المرجع نفسه (١٨٨)

(٣) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤)

(٤) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٨٩)

وأما المهموس فإن سيبويه وابن جني قد صرّحا بأنه حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس ، وجري النفس مع الصوت معناه أن الهواء وجد الطريق متسعًا لخروجه ، وهذا فيما يبدو نتيجة ابتعاد الوترين الصوتيين بعضهما عن بعض فلا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز ، ومن ثمّ تضعف قوة بروز الحرف مما يجعله مهموسًا) [١] . ويستنتج من ذلك (أنّ سيبويه وابن جني وغيرهما من علماء الأصوات العرب كانوا يفهمون سير الصوت اللغوي بطريقة دقيقة ، ويدركون هذا الجهد الذي ينشأ عنه اهتزاز الأوتار وعدم اهتزازها) [٢] ، وسيأتي أن الدكتور عبد الغفار هلال يرى في حديث سيبويه عن خروج الصوت المجهور بصوت الصدر ، والمهموس بصوت الفم كما في النص الثالث تأكيدًا لهذا الذي ذهب إليه .

تحليل النص الثاني عند القسم الأول من الباحثين :

بيَّنَ هذا النص بعض خصائص المجهور والمهموس عند الوقف عليه في باب (الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيُحَرَّكُ ، لكراهيتهم التقاء الساكنين) . وقد نقل سيبويه في هذا الباب لغة بعض العرب الذين يقفون بنقل حركة الحرف الأخير من الكلمة إلى الساكن الذي قبله ، كقولهم : (هذا بَكُرْ ، ومِنْ بَكِرْ) ثم شرح ضوابط هذا النقل وما يمتنع فيه وما يجوز .

وقد سمّى سيبويه الصوامت المجهورة في هذا النص بالحروف المُشربة أي التي خالطَ صوتَها صوتُ الصدر ، فالإشراب في اللغة خلط شيء بشيء . وقد عرّف بعض القدماء الهمس بنفي هذه الصفة عن الحرف المهموس ، ففي كتاب العين : (الهمس : حِسُّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر) [٣] .

ولم يذكر سيبويه في تقسيمه للحروف المشربة سوى الصوامت المجهورة ، أما الصوائت فلا تدخل في الحروف المشربة لأن سيبويه في تقسيمه لهذه الحروف لم يشر إليها لأنها (عين

---

(١) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٩٠)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) الفراهيدي (٤ / ١٠) .

صوت الصدر فلا يُحتاج إلى وصفها بالمشربة) (١) كما نص على ذلك في النص الثالث ، فقال : (فإذا قلتَ : " شخص " فإن الذي أزجى هذه الحروف صوتُ الفم ، ولكنك تُتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يُزجيها صوت الفم لـيُبلغ ويـُفهمَ الصوت) . فواضح أن سيبويه يقصد بصوت الصدر في هذا النص الحركـات التـي تتبـع كـل حـرف مـن حـروف كلمة " شخص " .

وصوت الصدر الذي ذكرتـُه آنفـًا أشار إليه سيبويه في النص الثالث وعنى بـه (صـدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين) (٢) كما سيأتي تفصيله .

على أن علاقة هذا التقسيم الذي ذكره سيبويه بباب (الساكن الذي يكون قبل آخر الحـروف فيـُحَـرَّكُ ، لكراهيتهم التقاء الساكنين) قد تَـستَـبِـهُمُ على بعض الباحثين لأن سـيبويه انتقل ليتحدثَ عن خصائص الحروف عند الوقف عليها بعد أن أثبت لغة بعض العـرب فـي الوقف بنقل الحركة إلى الساكن الذي قبلها . والذي أراه أن سيبويه أراد بهذا التقسيم أن يبين السبب الذي جعل أكثر العرب لا تقف بنقل الحركة وتستسيغ التقاء الساكنين عند الوقف .

والذي جعل أكثر العرب تستسيغ مثل ذلك في الوقف أنَّ الساكن الذي يوقـف عليـه يكـون متبوعـًا بما يغني عن تحركه ، ويجعله أقربَ إلى المتحرك منه إلى الساكن . وهـذا الـذي يغني عن حركة الحرف عند الوقف عليه إمّا أن يكون استمرارًا لصوت الـصدر كمـا فـي الصوامت التي أشْرِبـَتـْه ، وإمّا أن يكون استمرارًا لجريان النفس أو النفخ كما في الحروف المهموسة (لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر) . والصوامت المجهورة التي يوقف عليها بما يغني عن الحركة ويكونُ استمرارًا لصوت الصدر إمّا أن يوقف عليهـا بـصويت القلقلة كما في القاف والطاء والباء والجيم والدال بسبب شدتها وإما أنْ يوقف عليها بـصوت الصدر الذي يخرج دون اعتراض بسبب رخاوتها فيُسمع صوت الصدر حينئذ قريبـًا مـن النفخ (نحو النفخة) كما في الزاي والظاء والذال والضاد ، وأضاف معها الراء حين قال : (والراء نحو الضاد) . أما اللام والنون والميم والعين والغين والهمزة فلا يُسمع بعـدها فـي الوقف شيءٌ كما قرر سيبويه ، وهذا يدل على أن أغلب الصوامت العربية يوقف عليها بمـا يـُغني بعضَ الغَناء عن تحركها ، لذلك كان عامّة العرب يستسيغون التقاء الـساكنين عنـد

---

(١) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٦)

(٢) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٢)

الوقف ولا يقفون بنقل الحركة إلى الساكن الذي قبلها كما هي اللغة التي حكاها سيبويه عن بعض العرب في أول الباب وشرح ضوابطها وما يجوز فيها وما يمتنع عند أهلها .
وقد سمّى سيبويه الصوامت المجهورة في هذا النص بالحروف المشربة لينبِّه على أهمية صوت الصدر المختلط بصوت هذه الحروف وقيامه مقام الحركة المختلسة في تسويغ التقاء الساكنين عند الوقف عليها ، لا أنه استعمل هذا المصطلح لتعيين صفة الجهر التي لاحظها أول الأمر ثم التفت في نهاية الكتاب إلى أن الأليق مقابلة المهموسة بمصطلح المجهورة لا المشربة كما ذهب إليه بعض الباحثين [١] .

وقد عدَّ الدكتور عادل أبو شعر (القلقلة) و(نحو النفخة) و(النفخ) استنتاجاً من هذا النص متمِّماتٍ طبيعيةً للأصوات عند الوقف ، فنبّه بذلك على أمر غَفَل عنه كثيرٌ من الباحثين المحدثين الذين درسوا اختلاف القدماء والمحدثين في جهر بعض الأصوات أو همسها كما سيأتي ، فإن هذه (المتممات للحروف أعني : القلقلة وشبه النفخ والنفخ تُعدّ من مشخِّصات الصوت اللغوي ولوازمه عند المتقدمين لا أمرًا خارجاً عنه) [٢] .

وقد استدلَّ الدكتور عادل أبو شعر على صحة ما استنتجه من نص سيبويه بقول ابن جني :
(فإن قلتَ: فقد نَجِدُ من الحروف ما يَتْبَعُهُ في الوقف صوتٌ ، وهو مع ذلك ساكنٌ... قيلَ: <u>هذا القدْرُ من الصَّوتِ إنَّما هو مُتَمِّمٌ للحرفِ ومُوَفٍّ له في الوقفِ</u>، فإذا وصَلْتَ ذَهَبَ أو كادَ... ومع ذلك فإن هذا الصَّوتَ اللاّحِقَ... إنَّما هو بمنزلةِ الإطباقِ في الطاء، والتكريرِ في الرَّاء، والتفشّي في الشين، وقوَّةِ الاعتماد في اللاّم .
فكما أنَّ سواكنَ هذه الأحرُفِ إنَّما تُكالُ في ميزان العَروض الذي هو عيارُ الحسِّ وحاكمُ القِسمةِ والوضْعِ بما تُكالُ به الحروف السواكنُ غيرُها ، فكذلك هي أيضاً سواكن . بل إذا كانت الراءُ ــ لما فيها من التكرير ــ تجري مجرى الحرفين في الإمالة ، ثمَّ لا تُعَدُّ في وزن

---

(١) انظر : السامرائي ، إبراهيم عبود ياسين (١٩٩٣ م) ، **المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، الجامعة الأردنيّة ، عمّان ، (حاشية ٢ / ص : ١١٨) .

(٢) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٦)

الشّعر إلاّ حرفاً واحداً، كانت هذه الأحرفُ التي إنّما فيها تَمامٌ وتوفيةٌ لهذا أحْجَى بأن تُعَدَّ حرفاً لا غيرَ) [١] .

فلو كانت هذه المتممات (القلقلة وشبه النفخ والنفخ) أمرًا خارجـًا عن الصوت اللغوي لعُدّت كذلك في الميزان العروضي كما ذكره ابن جني .

وقد استنتجت الدكتورة ابتسام جميل من هذا النص أنّ من خصائص الصوت المجهور ضعفَ النفخة النفسية المصاحبة له في حالة الوقف ، وقد عللتْ ذلك بفقدان تيار الهواء قدرًا من طاقته بسبب تتابع عملية الاعتماد والانقضاء ليفتر في أثناء مروره بالقناة الصوتية العليا (وهذا الفتور أدّى إلى سماع نحو النفخة بسبب ضعف الهواء ، في حين أنك تسمع عند الوقوف على المهموسات نفخـًا) [٢] وتؤكد أيضـًا أن منع النفس من الجريان مع المجهور (ليس هو الوقوفَ التامَّ لتيار الهواء ، وإنما إخماد سرعة جريان الهواء ، بسبب ما فقده من قوة وسرعة في أثناء مقاومته لمنطقة الاعتماد . ولما قلّ حجم الهواء وفقد جزءًا من طاقته ، كانت النفخة الهوائية المصاحبة لنطقه في حالة الوقوف عليه ضعيفة) [٣] .

وهذا الاستنتاج مبني كما هو ظاهر على فهم خاطئ لمقصود سيبويه بمنع النفس من الجريان مع المجهور ومقصوده بإشباع الاعتماد ، وعدم التفريق الصحيح بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه .

على أن اللافت في هذا الاستنتاج أنه يفترض أن (نحو النفخة) التي ذكرها سيبويه في النص الثاني لازمة مع الوقف على كل حرف مجهور ، وقد نص سيبويه صراحةً على أنّ (نحو النفخة) لا تكون إلا عند الوقف على الزاي والظاء والذال والضاد والراء ، وبقيةُ الصوامت المجهورة إمّا أن يوقف عليها بالقلقلة أو لا يُسمع بعدها في الوقف شيء كما قال سيبويه .

وقد التبس على الدكتورة ابتسام جميل الفرق بين (النفخة) و(نحو النفخة) في عبارة سيبويه ، فظنّت أن الحروف التي يسمع بعدها في الوقف نحو النفخة وهي الصوامت

---

(١) ابن جني (٣٩٢ هـ) ، أبو الفتح عثمان بن جني ، **الخصائص** ، الطبعة الرابعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ت ، القاهرة ، (٢ / ٣٣١) ، وقد نقل هذا النص عنه (أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ)) ، (٣٨٦ – ٣٨٧) .

(٢) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٣٠)

(٣) المرجع نفسه (٣١)

المجهورة التي ذكرتها آنفـًا يخرج معها نفس قليل وتأولت المراد بمنع النفس من الجريـان عند سيبويه على أنه منع جزئي غير تام ، مع أن سيبويه نصّ صراحة على أن الحـروف التي إذا وقفتَ عندها خرج معها نحوُ النفخة (إذا خرجت بصوت الصدر انسلَّ آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذًا فتـُسمع نحو النفخة) ، وصوت الصدر هذا نفس حاملٌ لرنين الجهر فهو نفس مسموع وهو المُسمّى صوتـًا في اصطلاحهم ، فالنفس إذن لا يخرج مجرّدًا وإنمّا يخرج حاملاً لرنين الجهر لكي يُسمَع ، ولو كانت (نحو النفخة) نـَفَسـًا مجرّدًا لما سُمعت في الوقف كما نصَّ عليه سيبويه .

وتظل محاولة الدكتورة ابتسام جميل محاولة رائدة لأنها أرادت أن تربط هذا النص بتعريف سيبويه للمجهور والمهموس من الأصوات لتصل إلى حقيقة الجهر والهمس عنده ، وهذا ما لم أره مُفصَّلاً إلا عندها وعند الدكتور عادل أبو شعر كما بينتُ آنفـًا .

تحليل النص الثالث عند القسم الأول من الباحثين :

يعرض سيبويه في هذا النص كيفية التمييز بين المهموس والمجهور ، فالنص (يتـضمن وسيلة جديدة إلى جانب صوت الصدر لتمييز المجهور من المهموس ، وذلك عن طريق إخفاء الصوت مع المحافظة على الهمس ، فيظل الصوت المهموس محافظـًا على جَرْسه حين الإخفاء كما هو حين رفع الصوت . أما إخفاء الصوت مع المجهورات فغير ممكن لأنه يترتب عليه زوال صفة الجهر واختلال جرس الصوت لأنَّ ذلك يفضي به إلى نظيره المهموس) [١] .

أما الأمر الثاني الذي ذكره سيبويه فهو صوت الصدر الذي هو قرين المجهور [٢] ، يقول سيبويه : (إنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أنْ تـُدخلـَه الصوتَ الذي يخرج من الصدر فالمجهورة كلـُّها هكذا يخرج صوتهنَّ من الصدر) .

وعليه فإن الصوت المجهور لا يتبين إلا بذلك الرنين الذي يـُسمع في منطقة الصدر ، فالمجهورة عند سيبويه ينضاف إلى صوتها المعتاد من مخرجها صوتٌ آخر يُشعر به في

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١١٤)

(٢) بخلاف المهموس الذي ليس معه صوت آخر يقويه ويساوقه غير صوت مخرجه من الفم .

الصدر ، وهذا الصوت الآخر يندثر عند إخفاء الصوت بالحرف المجهور ، فصوت الصدر لا يظهر إلا عند رفع الصوت وإعلائه ، لذلك فقد عد سيبويه الصوت المهموس ضعيفـًا لأنـه صوت يدفعه المخرج الذي في الفم فحسب . أما المجهور فهو أشد عُلوًّا ووضوحـًا لأنـه ينضاف إليه صوت الصدر ، وضرب على ذلك مثالاً عمليـًّا وهو أنك لو رفعـتَ صـوتك بكلمة كل حروفها مهموسة مثل كلمة شخص فإنك تتبع هذه الكلمة صوتَ الصدر حتى يرتفع الصوت ويُسمع ، وصوتُ الصدر هذا لا يظهر إلا مع حروف مدية أخرى تنطلق مع رفـع الصوت بالأصوات المهموسة ، ولعل ذلك هو المراد بما أشار إليه سيبويه في الـنص الأول عند حديثه عن الحروف المهموسة (فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بمـا فيها منها) لذلك عرّف بعض علماء التجويد الجهر والهمس من خلال مفهومهما اللغوي الذي هو القوة والإعلان أو الضعف والإخفاء [١] ، وتتلخص طريقة التمييـز بـين المهمـوس والمجهور وفقـًا لهذا النص بثلاثةِ أمور :

١- إخفاء الصوت مع التكرير وهو ممكن مع المهموس متعذر مع المجهور .

٢- صوت الصدر وهو خاصية من خواص المجهور تساوق صوت الفم وتقويه وتوضحه ولا تكون مع المهموس .

٣- قوة الصوت المجهور نتيجة لصوت الصدر وضعف الصوت المهمـوس . وإذا أردت أن ترفع صوتك بحرف مهموس فإنك ترفعه بصوت مجهور مدي أو لين ، ولذلك سمي المجهور مجهوراً لأن الجهر في اللغة : القوة والإعلان . ولعلَّ هذا سببُ التواضع على الاصـطلاح الإنجليزي (voiced) .

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن هذا النص يتـضمن (آراءً قيمـة فـي الدراسـة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حدٍّ كبير) [٢] كما ذهب إلى أن الإخفاء مـع المهموس معناه (إسكات النبذبات التي تحدث مع كل مجهور في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، ومتى سكتت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس) [٣] . وقـد وافقه على ذلك أغلب الباحثين المحدثين الذين عرضوا لهذا النص .

---

(١) انظر : الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١١٧)

(٢) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢١)

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

والمعنى الحديث لصوت الصدر الذي عدّه سيبويه ميزة للصوت المجهور على ما يراه الدكتور إبراهيم أنيس (صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، وهذا الصدى نحس به ولا شكّ في الصدر كما نحس به حين نسدُّ الأذنين بالأصابع أو حين نضع الكفَّ على الجبهة فهو الرنين الذي نشعر به مع المجهورات ، وسببه تلك الذبذبات التي في الحنجرة) (١) وقد وافقه على ذلك أيضًا أغلب الباحثين المحدثين الذين عرضوا لهذا النص .

ويفسر الدكتور إبراهيم أنيس قوة المجهور بسبب صوت الصدر وضعف المهموس عند سيبويه بأنَّ كلاًّ منهما له ذبذبات صوتية (غير أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة ، على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم ، وتضخمها الفراغات الرنانة ، ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوي في السمع ، ومن هنا جاء خفاؤها أو همسها ، ومن هنا أيضًا نميز المجهور من المهموس) (٢) . وواضح أن المقصود بقوة الصوت المجهور عند سيبويه ما يعرف بظاهرة الوضوح السمعي (sonority) ، لا ما يعرف بالشدة الصوتية أو الجهد العضلي كما فهمه بعض الباحثين .

كما استنبط الدكتور إبراهيم أنيس أن سيبويه يعدُّ الحركات مجهورة من قوله في هذا النص : (فإذا قلتَ : (شخص) فإن الذي أزجى هذه الحروفَ صوتُ الفم ، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجيها صوت الفم ليُبْلَغَ ويُفْهَمَ الصوت) ووجه هذا الاستنباط أن سيبويه عنى بصوت الصدر في كلمة (شخص) حركات الكلمة وقد أرشد بذلك إلى أنَّ الحركات في الكلمات المشتملة على حروف مهموسة فقط تساعد على وضوح مثل هذه الكلمات في السمع (٣) . وهو استنباط صحيح فقد نصَّ سيبويه

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٢)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٣)

صراحة على جهر الحركات حين قال عن حروف المد واللين : (وهذه الحروف غير مهموسات) (١) .

وقد نقل الدكتور خليل العطية تفسير الدكتور إبراهيم أنيس لصوت الصدر وتابعه عليه ثم قرر أن ابن جني طوّر ملاحظة سيبويه لصوت الصدر مع المجهور (بالإشارة إلى الصدى الذي لا يخرج عن كونه إحساس المرء بذبذبات الوترين) (٢) . على أنَّ الناظر في سياق كلام ابن جني يجد أنه يقصد بالصدى جرْسَ الحرف الناشئ عن رجع الصوت وارتدادِه في الحلق والفم ، سواءٌ كان مجهورًا أو مهموسًا ، قال ابن جني : (وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحروف أن تأتي به ساكنًا لا متحركًا ... فتقول : إك . إق. إج) (٣) والكاف حرف مهموس بإجماع القدماء والمحدثين ، وسيبويه يقصد بصوت الصدر صدى ذبذبات الحروف المجهورة لا المهموسة كما بينتُ آنفًا .

وقد ذكر المهدي بوروبه الضوابط التي وضعها القدماء لتمييز المجهور عن المهموس ، ورأى أنها معتمدة مقررة لدى المحدثين (٤) ، وذكر منها الضوابط التي أوردها سيبويه في هذا النص ، وقد تابع الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره لضابط صوت الصدر (٥) ، كما أشار إلى ضابط الإخفاء وتابعه في تفسيره له بعد أن أشار إلى (أنَّ المهموس لا تتغير طبيعته الصوتية ، ولا يفقد جوهره سواء نُطق به خفيًّا أم مجهورًا . وهذا بخلاف المجهور الذي إذا أخفي خرج عن جوهره ، وضيَّع معالمه) (٦) .

---

(١) سيبويه (٤ / ١٧٦)

(٢) العطية ، خليل إبراهيم (د . ت) ، (٤٤)

(٣) ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، أبو الفتح عثمان بن جني ، **سر صناعة الإعراب** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١ / ٢٠) .

(٤) بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، (١٦٣)

(٥) المرجع نفسه (١٦٢)

(٦) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

كما أيد الدكتور عبد الصبور شاهين الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره لصوت الصدر وخلص إلى أن سيبويه أدرك صدى الصوت لا الصوت ذاته ، لعدم معرفته بمصدر الذبذبة الصوتية [١] .

وفي حديث سيبويه عن صوت الصدر مع المجهور وصوت الفم مع المهموس دليل على أنه أحسَّ بمفهوم الموجات والذبذبات وإن لم يعرفهما (فموجات الهواء التي تخرج من الصدر – على حد تعبيره – تضخمها الفراغات الرنانة في الحلق والفم فتسمعها الأذن ، إلا أن الفرق بين المجهور والمهموس أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم وتضخمها الفراغات الرنانة ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوي في السمع ، وهذا معنى قوله : إن المجهورة يزجيها صوت الصدر أما المهموسة مثل : شخص فإن الذي يزجيها صوت الفم) [٢] على ما يراه الدكتور عبد الغفار هلال الذي وافق الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره لصوت الصدر وزاد عليه بما قرره سابقًا من إحساس سيبويه بمفهوم الموجات والذبذبات . ووجهُ موافقته للدكتور إبراهيم أنيس أنه يرى أنً صوت الصدر هو الرنين الناتج عن ذبذبة الوترين في الحنجرة لأن هذه الذبذبة تزيد الصوت تضخمًا وعمقًا ، وتجعله يسير بقوة تضخمه أيضًا في فراغات الحلق والفم لذلك يشترك في المجهور صوتُ الصدر وصوتُ الفم . أما المهموس فيقتصر التضخم فيه على فراغات الحلق والفم [٣] ، وهذا معنى ما ذهب إليه الدكتور غانم الحمد حين قرر (أن للأصوات المجهورة مصدرين للتصويت ، الأول صوت الحنجرة الناتج عن ذبذبة الوترين ، والثاني مخرج الصوت حيث يضيق مجرى النفس أو ينغلق . أما الصوت المهموس فليس له إلا مصدر واحد للتصويت هو مخرج الصوت فقط وهو ما سمّاه سيبويه بصوت الفم أي الصوت الحاصل في مخرج الحرف دون أن يصاحبه صوت آخر منبعث من الصدر أي الحنجرة) [٤] .

---

(١) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٤)

(٢) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٩٢)

(٣) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١١٥)

وقد نقل الدكتور غانم الحمد نصوصـــًا عن عدد من علماء العربية والتجويد تؤيـــد فكـــرة صوت الصدر وصوت الفم ، أوضحها دلالةً على المقصود قول الرضي في شرح الشافية : (قيل : والمجهورة تخرج أصواتها من الصدر ، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم) [١] والظاهر أن الرضيَّ نقل ذلك عن سيبويه مُلخَّصـــًا .

وسبق أن الدكتور غانم الحمد يرى أن بعض علماء العربية والتجويد قدموا إضافات صحيحة على تعريف سيبويه للمجهور والمهموس ، ومن هذه الإضافات أن المجهور أوضح في السمع من المهموس كما فهمه من وصف مكي بن أبي طالب للصوت المجهور بأنـــه أقـــوى مـــن المهموس وأن المهموس أضعف من المجهور [٢] . والذي أراه أن هذه التي عدّها الدكتور غانم الحمد (إضافة) على تعريف سيبويه إنما استنبطت من قول سيبويه : (ولكنـــك تتبـــع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجيها صوت الفم ليـبُـبْــلــغَ ويـُفــهــمَ الــصوت) . فصوت الصدر هو الذي يجعل الكلمة التي تحتوى على حروف مهموسة فقط ككلمة (شخص) أبلغَ وأفهمَ وأوضحَ سمعـــًا . وقد سبق أيضـــًا أن المقصود بقوة الصوت المجهور عنـــد سيبويه ما يعرف بظاهرة الوضوح السمعي (sonority) كما أشار إليه الدكتور إبـــراهيم أنيس في تحليله لنص سيبويه الثالث . كما ذهبت الدكتورة ابتسام جميل إلى أن صوت الصدر الذي أشار إليه سيبويه هو الذي يعطي للمجهور القوة والعلو والوضوح السمعي [٣] .

ومن هذه (الإضافات) أيضـــًا ما قرره المرعشي من أن التفريق بين المجهور والمهموس لا يتم إلا في القراءة الجهرية المرتفعة ولا يتم ذلك إسرارًا [٤] ، وقد نص سيبويه على ذلك صراحةً حين قال : (المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك . وأما المجهور فلا يمكنـــك ذلك فيه) . فأين هي الإضافة التي قدّمها المرعشي ؟ .

أمّا الباحثون المحدثون الذين يرون أن معنى الجهر عند سيبويه مختلف تمام الاختلاف عن معناه عند المحدثين فقد اختلفوا في تفسير معنى الجهر عند سيبويه ، وإن توافقوا فـــي هـــذا

---

(١) انظر : الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١١٦)

(٢) المرجع نفسه (١١٧)

(٣) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٢٨)

(٤) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١١٩)

التفسير على أن يقفوا على نص سيبويه الأول دون النصين الآخرين اللذين عُني بهما بعض مخالفيهم . على أن بعض هؤلاء الباحثين لم يعرض لتفسير المقصود بالجهر عند سيبويه ليبين وجه الاختلاف الذي زعمه .

و يتصدر أصحابَ هذا الرأي من المحدثين الدكتور تمام حسّان الذي يزعم أن سيبويه لم يحدد معنى الجهر والهمس تحديدًا شافيـًا [١] كما يرى أن شرحه هو لمعنى الجهر عند سيبويه ما هو إلا محاولة لاستشفاف ما يقصده سيبويه بهذا المصطلح [٢] .

ويرى الدكتور تمام حسان أن معنى الإشباع الوارد في تعريف سيبويه التقوية ، وأنّ معنى الإضعاف إزالة القوة ، كما فسّر الاعتماد بالضغط . أمّا الموضع فهو مخالف للمخرج ، فالمخرج عنده للحرف والموضع للاعتماد ، فالضمير في (موضعه) راجع – على هذا التفسير – إلى كلمة الاعتماد .

وموضع الاعتماد ومنشؤه عند الدكتور تمّام حسّان (الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لإفراغ ما فيهما من هواء ، وهو (أي الاعتماد أو الضغط) واقع على مخرج الحرف أي المكان الذي يتم نطقه فيه) [٣] .

وقد واجهت الدكتور تمّام حسّان مشكلة معنى حرف الجر (في) في قول سيبويه : (أشبع الاعتماد في موضعه) ، فمعنى (في) معنى (على) وليس الظرفية إذا كان الموضع بمعنى المخرج ، أمّا إذا كان الموضع للاعتماد لا للحرف فلا إشكال عنده (فإعادة الضمير في كلمة (موضعه) على الاعتماد أولى بأن تجعل المعنى مستقيمـًا) [٤] . ولذلك ردّ الدكتور تمّام حسّان على من يجعل قول سيبويه عن الميم والنون : (قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة) دليلاً على أن الموضع يُراد به المخرج – بعدِّه (في) بمعنى على (أو يكون الاعتماد واقعـًا " من " الحجاب الحاجز " على " المخرج الذي يوجد " في " الفم والخياشيم) [٥] .

---

(١) حسّان ، تمّام (١٩٨٥ م) ، **اللغة العربية ، معناها ومبناها** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، (٦٠)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) المرجع نفسه ، (٦١)

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

وقد حاول الدكتور تمّام حسّان أنْ يفرق بين الصوت والنفس فجعل النفس مرتبطـًا بـالهمس والصوت مرتبطـًا بالجهر ، فلم يزد شيئـًا على ما قاله سيبويه .

وقد قرّر أنّ سيبويه لم يكن يعرف دور الأوتار الصوتية في الجهر والهمس فـضلاً عـن تركيب الحنجرة ، وأنّ الجهر عنده نتيجة لتقوية الضغط والهمس نتيجة لإضـعاف الـضغط الذي لا يعرف مصدره ، ومصدر هذا الضغط عند الدكتور تمام حسان الحجـاب الحـاجز ، وهذا تفسيره هو للجهر لا تفسير سيبويه لأنه لم يكن يعرف الحجاب الحاجز معرفـة علميـة تشريحية .

فالصوت المجهور عند سيبويه – على ما يراه الدكتور تمّام حسّان – (صوتٌ شُدِّد الضغط في الحجاب الحاجز معه ولم يسمح للهواء المهموس أن يجري معه حتى ينتهي الضغط عليـه ولكن يجري الصوت أثناء نطقه ، فهذه حال الأصوات المجهورة في الحلق والفم إلا النـون والميم فقد يتم الاعتماد فيهما على مخرجهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنـة أي أثـر صوتي أنفي مجهور . وأما المهموس فهو صوت أضعف الضغط في موضع الضغط أثنـاء نطقه حتى جرى الهواء المهموس معه ، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت بنطقه مع جري النفس فإنك لا تسمع له جهرًا) (١) . وبهذا يختلف فهم سيبويه للجهر عـن فهـم المحدثين كما يراه الدكتور تمّام حسّان .

وقد تعقـّب الدكتور فيصل العمري الدكتور تمّام حسّان ، ورأى أنه (قد أدرك جـزءًا مـن حقيقة الأمر ، وفاتته أجزاء منه ، أدرك أن الإشباع هو التقوية ، والإضعاف هو إزالة القوة ، وأن الاعتماد هو الضغط ، كما أنه أدرك أن كلمة (موضع) تختلف عند سيبويه عن كلمـة (مخرج) إلا أنه أخفق في توظيف هذه المعاني في فهمه لنص سيبويه) (٢) .

وقد وفق الدكتور فيصل العمري حين أخذ على الدكتور تمام حسّان خطأه في مرجع الضمير الذي في كلمة " موضعه " فقد (غاب عنه أن " أشبع الاعتماد في موضعه " جملـة خبريـة للمبتدأ " حرف " ، أو أن الجملة " حرف أشبع الاعتماد في موضعه " كلها جملة خبرية للمبتدأ " المجهورة " . وإذا فصلنا جملة " أشبع الاعتماد في موضعه " عن بداية الجملـة تـصبح لا معنى لها ولا فائدة ، كما أن إعادة الضمير تجعل معنى الجملة فاسدًا) (٣) . وهذا المأخـذ

---

(١) حسّان ، تمّام (١٩٨٥ م) ، **اللغة العربية ، معناها ومبناها** ، (٦٢)

(٢) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (٣٣)

(٣) المرجع نفسه (٣٣ – ٣٤)

وحده كافٍ في نقض مذهب الدكتور تمام حسان في تفسير النص الأول . أمّا ما أخذه الدكتور فيصل العمري على الدكتور تمام حسّان من إشارته للهواء المهموس ، وأنَّ هذا يستدعي وجود هواء مجهور (١) فهو مأخذ مبني على أن كلمة المهموس صفة مقيدة للهواء ، وسياق كلام الدكتور تمّام حسّان يدل على أنها صفة كاشفة لا مقيِّدة .

وقد قرّر الدكتور حسام النعيمي في حديثه عن الجهاز النطقي أن سبب اختلاف القدماء والمحدثين في الجهر والهمس إغفال القدماء لدور الوترين الصوتيين أو أنهم لم يعرفوهما (٢) . كما يرى أن مصطلح الجهر والهمس مشترك لفظي ، لفظهما واحد عند القدماء والمحدثين ومعناهما مختلف ، فضابط الجهر والهمس عند المحدثين اهتزاز الوترين أو عدم اهتزازهما (٣) ، وعند القدماء توقف النفس مع الصوت أو جريانه . وقرر أيضًا أنهم لم يكونوا يملكون غير هذا الضابط في تمييز المجهور عن المهموس الذي يعتمد على الاستمرار في دفع الهواء من الرئتين ومحاولة النطق بالحرف بصورة خافتة (٤) ، ولو نظر الدكتور النعيمي في نص سيبويه الثالث لعلم أن للقدماء ضابطًا آخر ميزوا به المجهور عن المهموس هو ضابط صوت الصدر . غير أن الدكتور حسام النعيمي أقرَّ بأن جريان النفس يؤدي إلى تباعد الوترين وأن جري النفس وإخفاء الصوت أمكنه في كل الحروف المهموسة فاستقام له ذلك فيها عدا الطاء والقاف والهمزة (٥) .

وقد وافق الدكتور عادل أبو شعر الدكتور النعيمي في الاشتراك اللفظي لمصطلح الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين ، وذهب إلى أنَّ تعريف سيبويه للجهر إنّما يتعيّنُ في حال

---

(١) انظر : العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (٣٥)

(٢) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، (٢٩٧)

(٣) وقد أثبتُّ في التمهيد أن لفظ الذبذبة أدق من لفظ الاهتزاز في تعريف المجهور والمهموس .

(٤) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٣) ، وانظر : النعيمي ، حسام (د . ت) ، **أصوات العربية بين التحول والثبات** ، بغداد ، سلسلة بيت الحكمة (٤) ، جامعة بغداد ، (٢٨٧)

(٥) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٣)

تحريك الحرف المجهور ، وليس في صوته مجرَّدًا من الحركة لأن العربية لغة مقطعية لذلك كانت طريقة اختبار الحرف لمعرفة جهره من همسه بتكريره مع الحركة (وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددتَ الحرف مع جري النفس ولو أردتَ ذلك في المجهورة لم تقدر عليه) وهذا الترديد لا يكون إلا مع الحركة (بَ بَ بَ) لذلك قال القرطبي : (وأنت تعتبر ذلك بأن تردد كل واحد من المهموس والمجهور ، ولا يتأتى ذلك إلا متحرِّكًا) [١] . أمّا المحدثون فيرون أن الصوت عند تصنيفه إلى مجهور ومهموس يجب أن يكون مجرَّدًا عن كل ما يسبقه ويلحقه .

وقد وُفِّق الدكتور عادل أبو شعر أيما توفيق حين قرّر أن المحدثين لحظوا في التفريق بين المجهور والمهموس عند سيبويه والقدماء شيئين ، صوت الصدر وعدمه ، وجريان النفس وعدمه . وأن المحدثين لم يلتفتوا إلى جانب جريان النفس أو عدمه بقدر ما التفتوا إلى صوت الصدر الذي هو الأثر الرنيني لاهتزاز الأوتار الصوتية لذلك اختلفوا مع القدماء في الطاء والقاف والهمزة ، وكأنه يرى أن القدماء حكموا بجهرها لأن النفس لا يجري معها بسبب الانحباس ، ولأن فيها صوت الصدر الذي يأتي من صويت القلقلة مع الطاء والقاف وصوت الحركة مع الهمزة . وبما أن المحدثين لا يعتدون بالحركة أو القلقلة في الحكم على الصوت فهم لا يعتدون بصوت الصدر الناشئ عن القلقلة والحركة معها لذلك حكموا عليها بالهمس [٢] كما سيأتي تفصيله في الفصل الثاني من هذه الرسالة . على أن تفسير الدكتور عادل أبو شعر لصوت الصدر كما سلف يعني أنه يرى أن القدماء أدركوا أثر اهتزاز الوترين في حدوث الصوت المجهور ، وهذا مناقض لما قرره قبلاً من أنَّ الجهر مشترك لفظي بين سيبويه والمحدثين .

كما يرى الدكتور عادل أبو شعر أن معنى الاعتماد الوارد في تعريف سيبويه هو ارتكاز عضو النطق على موضع الحرف أي مخرجه في أثناء تحريكه ، ويرى أن سبب تعبير سيبويه عن المخرج بلفظ الموضع (التنبيه على وضع العضو ورفعه عن مخرجه لا مكان

---

(١) انظر : أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٢)

(٢) المرجع نفسه (٣٨٣)

خروج الصوت) [١] ويرى أن سيبويه يستعمل الموضع والمخــرج والمعتمَــد اســتعمالاً مترادفــًا ، وأن لهذه الألفاظ معانيَ متقاربةً يجمعها معنى واحد هو مكان النطق .

ويذهب إلى أن إشباع الاعتماد وضعفه (لفظان متعلقان بوجود الحــرف مــع الحركــة أي بالمقطع الصوتي ، فإذا كرّرنا حرف الباء ، وذلك بتحريكه عدة مرات ، نحو (بَبَبَ) ، لــم نحس بأثر واضح لهواء النفس في الباء ، فحينئذ يحكم على المقطــع الــصوتي أنــه مــشبع الاعتماد لمنع هواء النفس بالجري معه . أما انقضاء الاعتماد فيه فمعناه انتهاء عملية وضــع العضو في المخرج ورفعُه عنه أكثر من مرة ، أي انقضاء تحريك الحرف ، وانتهاء العمليــة العضوية المطلوبة لإصدار الصوت المجهور ، ليجري بعد ذلك هواء التنفس ، ولاحِظْ أنــه استعمل الفعل المضارع (ينقضي) الذي يدل على الاستمرار . وإذا كرّرنا حرف الثاء مــع الحركة ، نحو : (ثَثَثَ) ، أحسسنا بخروج هواء الثاء معها ، وحينئذ يحكــم علــى المقطــع الصوتي أنه أضعف الاعتماد فيه للسماح لهواء النفس بالجري معه) [٢] .

كما أشار إلى أن بعض القدماء استخدم قوة الاعتماد بدلاً من إشباع الاعتماد للدلالــة علــى المعنى نفسه [٣] .

وقد عدَّ عبد الحميد زاهيد ماهية الجهر والهمس عند القدماء مــضطربة ورأى أنــه (لا ضير أن نحتفظ بمصطلحي الجهر والهمس في تراثنا الصوتي الحديث مؤكدين أن المقــصود بهما عند القدماء يخالف ما يقصد بهما عند المحدثين) [٤] .

وقد عرض عبد الحميد زاهيد النص الأول ورأى أن سيبويه يقــصد بــالحروف المجهــورة الحروفَ المضغوطة أو المخنوقة كما يقصد بالمهموسة الحروفَ المتنفِّسةَ غيرَ المضغوطة ، ووجه دلالة النص الأول على ما ذهب إليه عبد الحميد زاهيد أن مصطلح الجهر والهمس عند سيبويه يتضمن صفتين :

---

(١) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٢٦٧)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) انظر : المرجع نفسه (٢٦٨ – ٢٦٩) .

(٤) في مدونته الإلكترونية (http://zahid٦٦.arabblogs.com/archive/٢٠٠٨/٧/٦٢٥٢٣٩.html)

١ – إشباع الاعتماد الذي فسّره بقوة الضغط على مخرج الحرف حال كونه مكرّرًا متحرّكًا بفتح أو ضمٍّ أو كسر وينتج عنه منع النفس ، وضعف الاعتماد الذي فسره بضعف الضغط على مخرج الحرف وينتج عنه جري النفس .

٢ – منع النفس الذي يدل عنده على عدم تسرب الهواء نتيجة إشباع الاعتماد ، وجري النفس الذي يدل عنده على تسرب الهواء نتيجة ضعف الاعتماد .

وقد فرّق بذلك تفريقًا صحيحًا بين الصوت والنفس كما عرض لطريقة اختبار الحروف لمعرفة جهرها من همسها عند سيبويه بتكرارها محرّكةً ليلاحظ بذلك خروجَ الصوت بلا نفس مع المجهور لشدة الاعتماد في مخرج الحرف ، وجريَ النفس مع الصوت في المهموس لضعف الاعتماد في مخرج الحرف . وقد تنبّه إلى ما تنبّه إليه قبلُ الدكتور عادل أبو شعر من أن التكرير يلزم منه التحريك لأن التكرير من دون الحركة مُحال ، وقد وافق ما قرره الرضي في شرح الشافية من سبب اختبار الحرف مكرّرًا محرّكًا (لأنك لو نطقتَ بواحد من المجهورة غيرَ مكرَّر ، فعقيب فراغك منه يجري النفس بلا فصل ، فيظن أن النفس إنما خرج مع المجهورة لا بعده ، فإذا تكرَّر وطال زمان الحرف ولم يخرج مع تلك الحروف المكررة نفس عرفتَ أنَّ النطق بالحروف هو الحابس للنفس ، وإنما حُرِّكت الحروف لأن التكرير من دون الحركة مُحال) [١] .

وقد وقف عبد الحميد زاهيد على مصطلح صوت الصدر وذهب إلى (أنّ شدة الاعتماد على مخرج الحرف توحي بأن الصوت خارج من الصدر ، وذلك للضغط الذي نشعر به نتيجة توتر الأعضاء المنتجة للصوت ، أمّا في المهموسة فنتيجةٌ لضعف الاعتماد بضعف الضغط وذلك لعدم توتر الأعضاء المنتجة للصوت . فنتخيل أن الصوت قد خرج من مخرجه دون أن يكون مصدره من الصدر) [٢] فكل الأصوات مصدرها من الصدر بمعنى الرئة كما صرّح به عبد الحميد زاهيد في موضع آخر من بحثه [٣] .

وقد استدلّ على تفسيره لصوت الصدر بعدِّ سيبويه الهمزة (نبرة تخرج من الصدر) و (الصدرُ ليس مخرجًا للهمزة ولكن من شدة الضغط على مخرجها من فتحة المزمار نحسُّ وكأنها نبرة من الصدر كما قال سيبويه) [٤] . وقد ردّ على من فسّر صوت الصدر بصدى

(١) في مدونته الإلكترونية (http://zahid٦٦.arabblogs.com/archive/٢٠٠٨/٧/٦٢٥٢٣٩.html)

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

ذبذبات الوترين بأنه لا توجد إشارة على ذلك في كلام سيبويه وأن صدى الذبذبات لا يُشعر به في الصدر بل بوضع الإصبع في الأذن أو الكف على الجبهة .

ويذهب الدكتور يحيى مباركي إلى (أن مفهوم القدماء لمصطلح الجهر في الأصوات العربية قد اختلف شيئًا ما عمّا فهمه المحدثون من المصطلح نفسه للأصوات ذاتها) [١] ويميل إلى تفسير الجهر عند سيبويه والقدماء بالمعنى اللغوي ، فالجهر عنده رفع الصوت ، والهمس إخفاؤه . وقد جاء شرحه لما ذهب إليه مُلبِسًا حيث خلط بين الجهر والشدة ولم يلتفت إلى الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاحهم ، فقال : (ومعنى ذلك أن الذي يميز بين صفتي الهمس والجهر في الأصوات العربية عند القدماء هو انحباس النطق بالحرف (الصوت) في مكان التقاء أعضاء النطق التي يخرج منها الصوت في الصدر والفم ، فيمنع من أن يجري مع الصوت عند النطق منعًا كليًا أو جزئيًا ، مما يؤدي إلى احتباس كمية من الهواء في الصدر مسببًا ارتفاعًا ملحوظًا في طريقة النطق بالصوت عند السماح بجريان هذا الصوت . فالصوت المجهور – عندهم – يحتاج للنطق به إلى رفع الصوت الذي يسببه تسرب النفس في التجويف الصدري ، وهذا بخلاف الصوت المهموس الذي تقترب فيه حركة مرور الهواء عند النطق به في سهولتها من حركة التنفس العادي ولا تتطلب رفع الصوت البتة) [٢] .

وقد نقل الأستاذ الدكتور صبري المتولي تعريف ابن الجزري للجهر ورأى أنه عوّل فيه على عامل جريان النفس وعدمه بسبب عدم المعرفة بالوترين الصوتيين في النتوء الصوتي الحنجري . وقد عدّ هذا التعريف خاطئًا لأن الحركات (الصوائت) تخرج مع تيّار نفسيٍّ طليق مع أنّ ابن الجزري عدّها مجهورة [٣] . وتعليله لخطأ هذا التعريف يدلّ على أنه لا يفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء ، ومنهم ابن الجزري .

---

(١) مباركي ، يحيى علي يحيى (١٩٩٦ م) ، صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين ، **مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة** ، العدد الثاني عشر ، (١٥٦)

(٢) المرجع نفسه (١٥٧)

(٣) المتولي ، صبري (٢٠٠٦ م) ، (٥٦)

وبعد : فهذه آراء الباحثين المحدثين في معنى الجهر والهمس عند سيبويه ، قد فصّلتُها بقسميها مع بعض ما أُخذ عليها من مأخذ ، والذي أرجحه أن يكون سيبويه عنى بالجهر والهمس ما عناه المحدثون وإن لم يشر إلى دور الوترين الصوتيين في ذلك على ما ذهب إليه القسم الأول من الباحثين . على أنّ بعض الباحثين من القسم الثاني قد تنبّه إلى ما لم يتنبه له بعض الباحثين من القسم الأول وإن كان رأيهم مرجوحًا كالدكتور عادل أبو شعر الذي تنبّه إلى أن صويت القلقلة والنفخة وشبه النفخة تعد متممات طبيعية للحروف لا أمرًا خارجًا عنها كما تنبّه هو وعبد الحميد زاهيد إلى أنّ اختبار الحرف بترديده عند سيبويه والقدماء لا يكون إلا في حال تحرّكه .

والذي يدل على أنّ سيبويه عنى بالجهر والهمس ما عناه المحدثون على ما ذهب إليه القسم الأول من الباحثين أنه تمكن من إدراك آثار اهتزاز الوترين الصوتيين على الأصوات اللغوية فقد استطاع أن يصنف الأصوات تصنيفًا صحيحًا إلى مجهورة ومهموسة ، ويمكن إيجاد تفسيرٍ لوصف القاف والطاء والهمزة بالجهر ، كما أنه نبّه على صوت الصدر في إصدار الصوت المجهور . وأوضحُ من هذا إدراكه لدور الجهر والهمس في التفريق بين الأصوات المشتركة في مخرج واحد كالزاي والسين والذال والثاء والتاء والدال والخاء والغين (١) .

على أن المقارنة الصحيحة بين خصائص المجهور والمهموس عند سيبويه والمحدثين تظهر أن الرأي الذي يقرر مخالفة مفهوم سيبويه للجهر والهمس لمفهوم المحدثين رأي لا قرار له ، ذلك أن هذه المقارنة تظهر أنّ هذه الخصائص متفقة مؤتلفة وأنّ الفريقين متفقان في المفهوم وإن اختلفت العبارات في الحدّ أو التعريف .

وبإنعام النظر في نصوص سيبويه الثلاثة ، يمكنُ إيجاز خصائص المجهور والمهموس عنده بما يلي :

١ – امتناع النفس الذي هو هواء الزفير من الخروج مع الصوت المجهور فلا يخرج مع الصوت المجهور إلا صوت مسموع بلا هواء زفير ، والصوت عبارة عن نفس مسموع عند القدماء كما سيأتي وهذا يقود إلى أن النفس كله (هواء الزفير) يُعترض في طريقه إلى الفم بتموجات و تقلبات فيستحيل كله صوتًا مسموعًا ، تأمل مثلاً في قول طاش كبرى زاده

(١) انظر : الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٤ م) ، **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، (١٠٤)

أحد شراح الجزرية : (إن النفس الخارج الذي هو وظيفته حرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً وإن بقي بعضه [بعض النفس الخارج] بلا صوت يجري مع الحرف [فخرج على شكل هواء زفير] كان الحرف مهموسًا .) (١)

وينبني على ذلك :

٢ – المهموس يحتاج إلى نفس أكثر من المجهور .

٣ – إمكانية إخفاء الصوت مع المهموس وعدم إمكانية ذلك في المجهور ، فالمهموس يظل محافظاً على جرسه حين إخفاء الصوت .

٤ – إمكانية ترديد الحرف المهموس مع إخراج النفس ، وعدم إمكانية ذلك في المجهور ، وإذا افتعلتَ إخراج النفس فإنه يتحول إلى نظيره المهموس .

٥– الصوت المهموس يوقف عليه بنفخ لأن النفس يخرج معه حرًّا طليقًا ، والمجهور بعضه يخرج بصوت يشبه النفخة ، وبعضه يوقف عليه بشبه حركة مختلسة هي القلقلة .

٦ – الصوت المجهور يخرج من مخرجه وعند التصويت به يُشعر بصوت آخر يندمج معه هو (صوت الصدر) فالحروف المجهورة حروف أشربت هذا الصوت لذلك سماها سيبويه في باب الوقف الحروف المشربة ، وصوت الصدر خاصية من خواص المجهور تساوق صوت الفم وتقويه وتوضحه ، لذلك فإنه :

٧ – أوضح سمعاً من المهموس ، وضرب سيبويه مثالا على ذلك بكلمة شخص التي إذا أردت أن ترفع صوتك بها فإنك تصرخ بأصوات مدية ، والأصوات المدية مجهورة حتى تتضح الكلمة ويسمعها من يبعد عنك ، ولذلك السبب كانت هذه التسمية للجهر والهمس مشتقة من المعنى اللغوي وهو القوة والإعلان من جهة والهمس والإخفاء من جهة أخرى .

وهذه الخصائص التي ذكرها سيبويه للمجهور والمهموس لا يوجد ما يدفعها عند المحدثين فهم يقررونها ويؤكدونها بعبارات أخرى . فالمتأمل في أوضاع الأوتار الصوتية عند النطق يلحظ أن الهواء الخارج من الرئتين منتقلاً للمرور بالحلق والوترين الصوتيين يُعترض بشدة من قبل الوترين في الصوت المجهور فيَحدث فيهما اضطراب وذبذبة فيخرج هذا الهواء من خلال هذه الذبذبات ، وهذا الهواء إذا تعدى الوترين فإنه قد أصيب بالتموج على حد عبارة القدماء فهو عندهم صوت لا نفس (فالصوت عندهم هو خروج الهواء بإرادة الإنسان ويحدث له تموج [اعتراض في طريقه] بتصادم جسمين) أو هو (نفس مسموع) وهذا الصوت

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١١٩)

ينتقل إلى مخرج الحرف فيعترضه معترض آخر فيتشكل بصوت هذا المخرج الخاص فتسمع هذا الحرف مشوبـًا ومُشرَبـًا بصوت الصدر الذي هو صدى ذبذبة الوترين .

وأيضـًا فإن النفس يمتنع من الخروج مع الصوت المجهور الـذي يتذبـذب معـه الـوتران الصوتيان ، لأن هذا النفس أو هواء الزفير تعترضه ذبذبة الوترين فيصير حينئذ صوتـًا لا نفسـًا لأنه تعرض للتموج بحسب ذبذبات الوترين .

فنظرية عدم خروج النفس مع المجهور نظرية صحيحة لا تخالف مفهـوم المجهـور عنـد المحدثين ، وإذا قرنتَ ذلك بالتجربة العملية في أصواتٍ أجمع القدماء والمحدثون على وصفها بالجهر ولم يعرُها أي تطور صوتي فإنك ستجد هذا صحيحاً لا تشوبه شائبة .

وأما وضعية الوترين مع الصوت المهموس فتكون غير متذبذبة أو مضطربة عنـد النطـق بالمهموس فيخرج الهواء من الرئتين دون أن يُعترض بتضام الوترين وذبذبتهما حتى وصوله مخرجَ الحرف ، فيستحيل قسم منه إلى صوت لأنه قد تموج وتكيف بكيفية المخرج ، ويخرج قسم آخر من هذا الهواء إلى خارج الفم ، فهواء الزفير أو النفس يخرج مع الصوت المهموس لأنه قد تعرض لمعترض واحد يستطيع جزء منه أن يخرج من تجويـف الفـم لأن مخـرج الصوت المهموس لا يغلق مجرى الصوت تمامـًا ، وإن أغلقه فسرعان ما يضغط الهـواء على المخرج ليفتحه كما في الشديدة المهموسة (الكاف والتاء) . وأما المجهور فيُعتـرض بمعترضين الأول يستحيل النفاذ منه (لأنه في مرحلة انقباض الوترين يغلق مجرى الهـواء تمامـًا) إلا في مرحلة انفراج الوترين التي تستغرق أقل من أجزاء الثانية في أثناء انقباضها وانفتاحها عند الذبذبة فيكون قد تحول كل الهواء أو النفس إلى صـوت لأنـه قـد تعـرض لمعترض فهو نفس مسموع يصل إلى مخرج الحرف على هذه الشاكلة ، ولذلك لا يخرج من الفم شيء من هذا النفس أو هواء الزفير .

وقد قرر المحدثون أيضاً أن المجهور أوضح سمعـًا من المهموس ، وأنه حرف مُصوِّت كما يشير إليه المعنى الحرفي اللغوي للمصطلح الإنجليزي (voiced) و (voiceless) وهذا ما أشار إليه سيبويه في نصه الثالث الذي نقله السيرافي في شرحه للكتاب (.... ولكنك تتبـع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجيها صوت الفم ليبلغ ويفهم الصوت) .

وأيضـًا فإن إمكانية إخفاء الصوت مع المهموس وعدم إمكانية ذلك في المجهـور صـحيحة بالتجربة العملية وفق المفهوم الحديث ، ولا أجد ما يدفعها أو ما يعارضها عند المحدثين فهي خاصية صحيحة إذا ما جربتَ ذلك في كل صوت حكم عليه القدماء والمحدثون بالجهر فـلا

يتمكن أحد من إخفاء صوته إلى حد الوشوشة في الصوت المجهور بحيث يظل محافظـًا على جهره .

ومثل ذلك يقال في ترديد الصوت مع افتعال إخراج هواء الزفير فهو مستحيل في المجهـور لأني بينتُ أن هواء الزفير لا يخرج أصلاً مع المجهور وإن افتـُعـِل إخراجه فإنه سيتحول إلى نظيره المهموس .

وقد بين المحدثون أن ضغط الحجرة الفموية عند إنتاج المهموس أكبر من ضغط هذه الحجرة عند إنتاج المجهور لأن تيار الهواء مع المهموس يكون حراً شبه طليق لم تعترضه ذبذبـة الوترين فيضغط الحجرة الفموية كي تخرجه عبر الفم ، وهذا ما قرره القدماء مـن خـروج النفس مع المهموس وعدم خروجه مع المجهور ففي المهموس يضغط النفس أو هواء الزفيـر على الحجرة الفموية حتى يخرج بسرعة أكبر .

وقد قرر سيبويه أن الوقف على المهموس يتميز بقوة النفخة لأن الهواء يخرج معه وينسل ولا يفقد قدرًا كبيرًا من قوته وحجمه لأن الوترين لا يعترضانه ، وفـي هـذا إشـارة إلـى أن المهموس أشد صوتـًا من المجهور لأن الهواء أو النفس الخارج مع المهموس ينشر ذبـذبات الصوت في مناطق أكبر ، أما المجهور فهو أوضح سمعـًا ، وإن كانت منطقة توزيعه أقل .

وإذا كانت خصائص كلٍّ من المجهور والمهموس متفقة مؤتلفة عند سـيبويه والمحـدثين ، وكان مقصود سيبويه بالجهر والهمس هو عين ما قصده المحدثون ، فما هو وجه دلالـة ألفاظ سيبويه في نصوصه الثلاثة على مقصود المحدثين ؟

أمّا لفظ الموضع فقد اختلف الباحثون المحدثون في المقصود به على خمسة أقوال :

١ – المجرى ، وأول من اختار هذا القول الدكتور إبراهيم أنيس (١) وتبعه عليه الـدكتور علاء الدين الغرايبة (٢) .

٢ – المخرج ، وأول من اختار هذا القول الدكتور عبد الصبور شاهين (٣) ، وتبعه عليـه كثير من الباحثين كالدكتور عبد القادر مرعي (١) ، والدكتور عبد الرحمن أيوب (٢)

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤) .

(٢) الغرايبة ، علاء الدين أحمد محمد (٢٠٠٣ م) ، **التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، (١٠٢) .

(٣) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣١)

والباحث كمال بخوش [٣] ، والدكتور عبد الغفار هلال [٤] ، والدكتور عادل أبو شعر [٥] .

٣ – الحجاب الحاجز ، وأول من اختار هذا القول الدكتور تمّام حسّان [٦] .

٤ – الوتران الصوتيان أو فتحة ما بين الوترين ، وهو ما يفهم من كلام الدكتور عبد القادر عبد الجليل [٧] ، واختيار الدكتورة ابتسام جميل [٨] .

٥ – موضع الحرف الجغرافي ، وهو اختيار الدكتور فيصل العمري [٩] .

ويشذ الدكتور تمّام حسّان عن هؤلاء الباحثين في تفسيره للموضع بأمرين ، أولهما أنّه يرى أن المقصود بالجهر والهمس عند سيبويه مخالف للمقصود بهما عند المحدثين على خلاف ما يراه هؤلاء الباحثون ، وقد بينتُ آنفـًا ضعف هذا الرأي . وثانيهما أنّه يرى أن الضمير في لفظة (موضعه) يعود إلى الاعتماد فالموضع عنده هو موضع الاعتماد ، والموضع عند غيره للحرف أو الصوت لا للاعتماد . وقد سلف أنَّ الدكتور فيصل العمري أخذ على تمام حسّان خطأه في مرجع الضمير الذي في كلمة " موضعه " وأنه (غاب عنه أن " أشبع الاعتماد في موضعه " جملة خبرية للمبتدأ " حرف " ، أو أن الجملة " حرف أشبع الاعتماد في موضعه " كلها جملة خبرية للمبتدأ " المجهورة " وإذا فصلنا جملة " أشبع الاعتماد في

---

(١) الخليل ، عبد القادر مرعي العلي (١٩٨٩ م) ، (١٠٧) .

(٢) انظر : الصيّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، (١٠٣) .

(٣) بخوش ، كمال (٢٠٠٨ م) ، (٧٦) .

(٤) انظر : هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٨٧) .

(٥) أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٢٦٧)

(٦) حسّان ، تمّام (١٩٨٥ م) ، **اللغة العربية ، معناها ومبناها** ، (٦١)

(٧) انظر : عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، (١١٩) . فقد فسّر إشباعَ الاعتماد بالتقاء عضوين أو جزئين ، وضعفَه بالتباعد بين هذين العضوين ، والمقصودُ بالعضوين عنده الوتران الصوتيان . فيكون الموضع على هذا التفسير الوترين الصوتيين أو فتحة المزمار .

(٨) انظر : جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٣٣ – ٣٥) .

(٩) العمري ، فيصل (٢٠٠٤ م) ، (٢٢)

موضعه " عن بداية الجملة تصبح لا معنى لها ولا فائدة ، كما أن إعادة الضمير تجعل معنى الجملة فاسدًا) [١] . وبذلك يكون تفسير الدكتور تمام حسان لكلمة (الموضع) خاطئـًا .

أمّا الدكتور إبراهيم أنيس الذي فسّر لفظ الموضع بمجرى الصوت منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه للخارج فقد سلف الرّدُّ على تفسيره بأنّ سيبويه قد جعل الاعتماد يتم في موضع الحرف ثم نصّ على أنّ الاعتماد مع الميم والنون يتم في الفم والخياشيم فحسب ، لا في مجرى الصوت كلِّه ، كما أنّ استعمال سيبويه لكلمة الموضع في كتابه يردّ هذا التفسير كما في قوله عن الحروف المطبقة : (... وهذه الحروف الأربعة إذا وضعتَ لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان) [٢] .
وبهذا الرد أيضـًا يبطل تفسير الموضع بالوترين الصوتيين على ما يفهم من كلام الدكتور عبد القادر عبد الجليل وعلى ما اختارته الدكتورة ابتسام جميل ، فمواضع حروف الإطباق الأربعة يوضع عليها أو فيها اللسان لينطبق معها من اللسان ما حاذى منه الحنكَ الأعلى وليس للوترين الصوتيين شأن في هذه المواضع كما يصرح هذا النص .

أمّا تفسير الدكتور فيصل العمري للموضع في تعريف سيبويه بموضع الحرف الجغرافي وهو المساحة التي يعتمد عليها أو يفترشها اللسان في الجهاز النطقي ، وتفريقه بينه وبين المخرج بأنّ المخرج يقع ما بين موضع الحرف الجغرافي في الجهاز النطقي وبين النقطة التي يرجع إليها جزء اللسان الذي أنشأ الاعتماد ، فاللسان معتمِد على موضع الحرف ، وموضع الحرف مُعتمَدٌ عليه – فهو متحقق مع الأصوات التي يكون فيها اللسان جزءًا من مخرجها ، لا مع الأصوات جميعِها . وتفسير الموضع بالمخرج لا ينفي أن يكون المقصودُ به في هذه الأصوات التي يكون اللسان جزءًا من مخرجها موضعَ الحرف الجغرافي الذي شرحه الدكتور فيصل العمري ، لأنّ موضع الحرف الجغرافي حدٌّ للمخرج وجزء منه .

---

(١) العمري ، فيصل (٢٠٠٤ م) ، (٣٣ – ٣٤)
(٢) سيبويه (٤ / ٤٣٦)

لذلك يترجّح أن يكون المخرجُ هو المقصودَ بالموضع في تعريف سيبويه على ما اختاره الدكتور عبد الصبور شاهين ومتابعوه من الباحثين . ويستدّل لهذا التفسير بحديث سيبويه السابق عن الحروف المطبقة ، كما يستدلُ له بقول سيبويه في النص الثالث : (وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها وذلك مما يزجي الصوت ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة) . فالضمير في (فيها) يعود على كلمة (مخارجها) فتكون العبارة (ولم يعتمد عليه في مخارجها) فالاعتماد إذن يكون في المخرج الذي عبّر عنه سيبويه بالموضع في نصه الأول . وقد اختار هذا الرأي في تفسير الموضع الدكتور عادل أبو شعر كما أسلفت وقد ذهب إلى أن سبب تعبير سيبويه عن المخرج بلفظ الموضع (التنبيه على وضع العضو ورفعه عن مخرجه لا مكان خروج الصوت) [١] . فهو بهذا يرى أن الموضع مرادف للمخرج وأن سيبويه عبّر في النص الأول عن المخرج بلفظ الموضع لما ذكره آنفًا .

وترجع أقوال الباحثين المحدثين في تفسير مصطلح الاعتماد عند سيبويه إلى خمسة أقوال :

١ – العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت أو عملية التصويت ، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي . وهو تفسير الدكتور إبراهيم أنيس [٢] ، وتابعه عليه وشرحه الدكتور عبد الغفار هلال [٣] وجعله الباحث كمال بخوش [٤] تفسيرًا لإشباع الاعتماد .

٢ – الضغط الواقع على مخرج الحرف من الحجاب الحاجز . وهو تفسير الدكتور تمّام حسّان [٥] .

٣ – التقاء عضوين أو جزئين من عضو واحد التقاءً تامًّا أو غيرَ تامّ ينتج عنه صوتٌ لغويٌ ، وهذا ما يفهم من المعنى اللغوي الاعتماد ، وهو تفسير الدكتور عبد القادر مرعي [٦] .

---

(١) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٢٦٧)

(٢) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤)

(٣) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٨٨)

(٤) بخوش ، كمال (٢٠٠٨ م) ، (٧٩) .

(٥) حسّان ، تمّام (١٩٨٥ م) ، **اللغة العربية ، معناها ومبناها** ، (٦١)

(٦) الخليل ، عبد القادر مرعي العلي (١٩٨٩ م) ، (١٠٧)

وممن فسّر الاعتماد بمعناه اللغوي الدكتور عبد الرحمن أيوب [١] والدكتور عبد القادر عبد الجليل [٢] وهو ما يفهم من كلام الدكتور عبد الصبور شاهين [٣] .

٤ – الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين الوترين الصوتيين لحظة إنتاج الصوت المجهور ، وهو تفسير الدكتورة ابتسام جميل [٤] .

٥ – ارتكاز عضو النطق على مخرج الحرف في أثناء تحريكه ، وهو تفسير الدكتور عادل أبو شعر [٥] . وقريب منه تفسير الباحث عبد الحميد زاهيد للاعتماد بأنه الضغط على مخرج الحرف حالَ كونه مكرَّرًا متحرِّكًا بفتح أو ضم أو كسر [٦] . وهذا التفسير مبنيٌّ على المعنى اللغوي للاعتماد كما هو التفسير الثالث لكنه يزيد عليه بجعله غيرَ متحقق إلا بتحريك الحرف وتكريره .

وقد فُسِّرَ (الاعتمادُ) أحيانًا بما ينشأ عنه بتفسيرين :
١ – تمدد الجلدة المخاطية في موضع الحرف ، وهو تفسير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح [٧] .
٢ – الافتراش : وهو المساحة المخصوصة من اللسان بالتأرّض لما يعلوها من الحنك الأعلى ، وهو تفسير الدكتور فيصل العمري [٨] .
ويشذ التفسير الثاني والتفسير الخامس بأن أصحابهما يرون أن معنى الجهر والهمس عند سيبويه مختلف تمام الاختلاف عن معناهما عند المحدثين كما سبق شرحه .

---

(١) انظر : الصيِّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، (١٠٣)
(٢) عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، (١١٩)
(٣) انظر : شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٣)
(٤) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (١٩)
(٥) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٢٦٧)
(٦) في مدونته الإلكترونية (http://zahid٦٦.arabblogs.com/archive/٢٠٠٨/٧/٦٢٥٢٣٩.html)
(٧) الحاج صالح ، عبد الرحمن (١٩٨٥ م) ، (١٢٣)
(٨) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (١٥)

على أن التفسير الثاني يجعل موضع الاعتماد الحجاب الحاجز بناءً على إرجاع الضمير إليه في تعريف سيبويه ، وقد بينتُ خطأ ذلك التفسير في الحديث عن لفظ (الموضع) ، ووجهَ الصواب في مرجع الضمير . وإن سُلِّم للدكتور تمام حسّان بوجود ضغط واقع على مخرج الحرف مصدرُه الحجاب الحاجز فإنّه لا يُسلَّم له أن يكون هذا هو المقصودَ بالاعتماد عند سيبويه .

أمّا التفسير الخامس فإنه لا يجعل الاعتماد متحقّقًا إلا بتحريك الحرف فحسب كما يراه الدكتور عادل أبو شعر أو بتحريك الحرف مع التكرير كما يراه الدكتور عبد الحميد زاهيد . ومفهوم هذا التفسير أنّ الحرف المجهور أو المهموس ليس فيه اعتمادٌ إذا كان ساكنًا ، وعبارة سيبويه تنفي هذا (فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه) في جميع أحواله متحرِّكًا كان أو ساكنًا وإنما يكون التكرير والتحريك عند اختبار الحرف فحسب (وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فرددتَ الحرفَ مع جري النفس ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه) والترديد من دون الحركة مُحالٌ كما سلف بيانه .

والتفسير الرابع للاعتماد – بأنه الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين الوترين الصوتيين لحظة إنتاج الصوت المجهور ، على ما تراه الدكتورة ابتسام جميل – مبني على افتراض أن يكون المقصود بالموضع فتحة المزمار أو الوترين الصوتيين مع جميع الأصوات ، وقد أسلفتُ في الحديث عن لفظة (الموضع) خطأ هذا التفسير . على أنّه تفسير لا يستقيم إلا مع الصوت المجهور كما صرّحت به الدكتورة ابتسام جميل إذ إن الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين الوترين الصوتيين ينعدم مع الصوت المهموس لانعدام سببه ، وسيبويه ذكر أن مع المهموس اعتمادًا ضعيفًا . وإن سُلِّم للدكتورة ابتسام جميل بوجود ضغط متشكل بسبب الاقتراب الشديد بين الوترين الصوتيين مع المجهور فإنّه لا يُسلَّم لها أن يكون هذا هو معنى الاعتماد عند سيبويه .

وإذا لم يبق إلا التفسير الأول والتفسير الثالث ، فما هو إذن التفسير الراجح لمعنى الاعتماد عند سيبويه ؟

إن العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت تشمل كلَّ حركة تتم عند نطق الصوت ، كما صرّح الدكتور إبراهيم أنيس بأنها (تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين

إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي) (١) ، وهو تفسير ٌواسع تندرج تحته عدد من العمليات العضوية فقد نصّ في استدلاله على هذا التفسير أن العملية العضوية في نطق النون تبدأ بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء ً محكمًا وتحدثُ عملية عضوية أخرى بحيث يهبط أقصى الحنك ليفتح طريق الأنف لتسرب الهواء منه ، وكلتا العمليتين تدخل في معنى الاعتماد عنده . وإذا كانت العلاقة بين المعنى اللغوي للاعتماد والعملية العضوية الأولى التي ذكرها مع النون واضحة ً ، فما هي العلاقة بين العملية الأخرى والمعنى اللغوي للاعتماد الذي يقوم على ارتكاز عضو على عضو آخر ؟ أو أين هو المعتمِد والمعتمَد عليه في العملية الثانية ؟!

إن تفسير الاعتماد بالتقاء عضوين أو جزئين من عضو واحد التقاء ً تامًّا أو غيرَ تامّ ينتج عنه صوتٌ لغوي ٌ ، أو ما شابه ذلك من التفسيرات التي تحمل الدلالة الواضحة لمعنى الاعتماد في اللغة هو التفسير الراجح الذي يستقيم معه المعنى ولا يرد ُ عليه ما يَرد على التفسيرات الأخرى للاعتماد .

أمّا ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فليس تفسيرًا للاعتماد وإنما هو تفسير ٌ لما ينشأ عنه ، والظاهر أن تمدد الجلدة المخاطية في موضع الحرف ينشأ عن قوة الاعتماد لا عن الاعتماد نفسه لأنه نقل عن الرمّاني قوله : (قوة الاعتماد كقوة النقر) وهذا النقر حاصل عنده بفضل (تمدد الجلدة المخاطية في موضع الحرف) وقد قاس ذلك بآلة خاصة ، وبين أيضًا (أن التوتر زائد في المجهورة على المهموسة) (٢) .

ومثل ذلك أيضًا مصطلح الافتراش الذي ذكره الدكتور فيصل العمري في تفسيره للاعتماد وعدّه منتجًا من منتجاته وقد عنى بهذا المصطلح (المساحة المخصوصة من اللسان بالتأرّض لما يعلوها من الحنك الأعلى استجابة ً للاعتماد بشقيه المشبع والضعيف) (٣) .
وقد سلف أنَّ الدكتور فيصل العمري أجرى تجربة قارن فيها مساحة الافتراش من اللسان بالاعتماد لحرفي الدال والتاء لأنهما من مخرج واحد وأحدهما مجهور والآخر مهموس حيث

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤)
(٢) الحاج صالح ، عبد الرحمن (١٩٨٥ م) ، (١٢٣)
(٣) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (١٥)

قام بطلاء الحنك الأعلى بمادّة صبغية ثم اعتمد لنطق صوت التاء ونطقه ، وبعد نطقه ألــزم اللسان قطعة من الورق فانتسخ الجزء المفترش من اللسان والذي اكتسب لون الـصبغ مـن الحنك الأعلى عند الافتراش على قطعة من الورق . ثم أعاد التجربة على صـوت الـدال ، وقارن مساحة افتراش كل من الدال والتاء بالآخر فوجد أن مساحة الافتراش في حالة إشـباع الاعتماد (مع الدال) تساوي ضعفي مساحته في حالة إضعاف الاعتماد (مع التاء) تقريبـًا واستنتج أن مساحة الافتراش ترتبط بالاعتماد ارتباطـًا طرديـًـا فكلما زاد الاعتمـاد زادت مساحة الافتراش ، وكلما زادت مساحة الافتراش زاد ضغط الهواء في الحجرة الفمويـة ، وكلما زاد ضغط الهواء في الحجرة الفموية زادت حدة القرع ، وكلما زادت حدة القـرع زاد الصوت حدة ووضوحـًا وبيانـًا وغلظةً . كما تؤدي زيادة مساحة الافتراش نتيجة لإشباع الاعتماد إلى زيادة مساحة مخرج الصوت ، وكلما زادت مساحة حدَّيْ مخرج الـصوت زاد تفخيمـًا وغلظةً . كما أن إضعاف الاعتماد يؤدي إلى قلة مساحة الافتراش ، وكلمـا قلـت مساحة الافتراش قلَّ ضغط الهواء في الحجرة الفموية ، وكلما قل ضغط الهواء في الحجـرة الفموية قلت حدة القرع ، وكلما قلت حدة القرع قلت حدة الصوت وقل بيانه ووضوحه وغلظته كما أن نقص مساحة الافتراش نتيجة لإضعاف الاعتماد يؤدي إلى نقـص مـساحة مخـرج الصوت ، وكلما نقصت مساحة حدَّيْ مخرج الصوت نقص تفخيمه وغِلـَظـُه (١) .

على أنَّ الدكتور فيصل العمري يذهب إلى أنَّ الاعتماد مشبعـًا كان أو ضعيفـًا يـتمّ قبل النطق بالصوت المجهور أو المهموس وكذلك منع النفس أو جريه ، وعبارة سيبويه التي أتبعها تعريفَـه للمهموس في النص الأول وشرح بها كيفية اختبار الحرف لمعرفة جهره من همسه تنقض هذا الذي ذهب إليه الدكتور فيصل العمري ، وعبارة سيبويه : (وأنت تعـرف ذلك إذا اعتبرتَ فرددتَ الحرف مع جري النفس . ولو أردتَ ذلك في المجهـورة لـم تقـدر عليه) . وإذا كان منع النفس وجريه يتم مع النطق بالحرف فكذلك الاعتماد لأنه معطوف عليه في النص الأول ، وإن كان مسبِّبـًا له . كما أن الضمير في (معه) في قـول سـيبويه : (ومنع النفس أن يجري معه) يعود إلى الحرف الذي يمنع معه النفس بسبب إشباع الاعتماد ، وإشباع الاعتماد ومنع النفس مستمران مع المجهور إلى انقضاء الاعتماد وذهاب أثر الصوت كما تدل عليه عبارة سيبويه : (حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت) . وقد تـأوّل الدكتور فيصل العمري معنى (يجري) على غير تأويلها كما سيأتي .

---

(١) انظر : العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (١٥)

أمّـــا إشباع الاعتماد وإضعافه وانقضاؤه فينبني تفسيرها على تفسير الاعتماد ، كما ينبني ترجيح الراجح منها على الراجح في معنى الاعتماد . وقد نص أصحاب التفـــسير الأول أنَّ سيبويه أراد بإشباع الاعتماد (أن يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة ، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوروبيون بقـــولهم : " sonority " فـــالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس ، لا نزاع في هذا) [١] على ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس . وقد شرح الدكتور عبد الغفار هلال إشباع الاعتماد بناءً على التفسير السابق للاعتماد بأنه (قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على أعضاء النطق في أثناء مروره في مجراه في الحنجرة حتى مخرج الصوت ، وهذا يؤكد أن الحرف المجهور حرف واضح لما يصحبه من عملية صوتية قوية) [٢] . أمّا ضعف الاعتماد فهو على عكس ما ذكره هؤلاء الباحثون في إشباع الاعتماد (والحرف المهموس بالعكس يصحبه هواء ضعيف الضغط لا يـــؤثر تـــأثيرًا قويـــًا في أثناء سيره في مجراه منذ خروجه من الرئتين) [٣] وهو أقـــل وضوحـــًا مـــن المجهور . وانقضاء الاعتماد على هذا التفسير هو انتهاء العملية العـــضوية المطلوبـــة فـــي إصدار الصوت المجهور أو المهموس . وإن سلّم بصحة ما ذكره هؤلاء الباحثون فلا يـــسلّم لهم أن يكون هذا هو معنى إشباع الاعتماد وإضعافه وانقضائه . وقـــد ســـلف أن الـــدكتور إبراهيم أنيس توصّل إلى نتيجة مهمة حين أشار إلى الوضوح السمعي الـــذي يـــسببه إشـــباع الاعتماد مع المجهور [٤] . ويُرَدُّ على هذا التفسير لإشباع الاعتماد وإضعافه وانقضائه بمثل ما رُدَّ به على تفسير الاعتماد عند أصحاب التفسير الأول .

وقد نص الدكتور تمّام حسّان الذي فسّر الاعتماد بالضغط الواقع على مخرج الحرف مـــن الحجاب الحاجز على أن إشباع الاعتماد يكون بتقوية هذا الضغط ، وإضعافـَه بإزالـــة هـــذه التقوية كما أن انقضاءه يكون بانتهاء هذا الضغط على مخرج الحرف [٥] ، ويُـــرَدُّ على هذا التفسير بمثل ما رُدَّ به عليه في معنى الاعتماد الذي بُـــنِيَ على فهم خاطئ لكلمـــة الموضـــع ومرجع الضمير الذي فيها .

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٣ - ١٢٤)

(٢) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٨٨)

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٤) انظر : أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٣ - ١٢٤)

(٥) حسّان ، تمّام (١٩٨٥ م) ، **اللغة العربية ، معناها ومبناها** ، (٦١)

وقد قرّرت الدكتورة ابتسام جميل صاحبة التفسير الرابع للاعتماد الذي يعني عندها الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين الوترين الصوتيين لحظة إنتاج الصوت المجهور – أنّ إسناد الإشباع للاعتماد (إشارة إلى علو درجة الضغط الكامنة في ذلك " الموضع " عند نطق الصوت المجهور) [١] كما فسّرت قضاء الاعتماد بتجاوز جزيئات الهواء المتسارعة – التي تجمعت بفعل الضغط الذي أحدثه إشباع الاعتماد – لنقطة العائق التي تشكلت أيضًا بفعل إشباع الاعتماد [٢] . وقد عدّت الدكتورة ابتسام جميل قضاء الاعتماد مرحلة تالية لإشباعه لا يجري الصوت إلا بهما معًا فتتابعُ إشباع الاعتماد وقضاؤه يسبِّبُ ذبذبة الوترين الصوتيين وحدوثَ الصوت المجهور [٣] . وهذا التفسير لإشباع الاعتماد وقضائه مبني على تفسير الموضع بالوترين الصوتيين وقد أسلفتُ الردّ على ذلك وبيانَ الراجح في معنى الموضع كما أنّ هذا التفسير لإشباع الاعتماد وقضائه مبني على فهم خاطئ لمعنى الاعتماد ، وقد أشرتُ آنفًا إلى أنّ تفسير الدكتورة ابتسام جميل للاعتماد لا يستقيم إلا مع الصوت المجهور إذ إن الضغط المتشكل بسبب الاقتراب الشديد بين الوترين الصوتيين ينعدم مع الصوت المهموس لانعدام سببه ، وسيبويه ذكر أن مع المهموس اعتمادًا ضعيفًا ، والدليل على ذلك أيضًا أنها لم تشر إلى معنى إضعاف الاعتماد مع المهموس بسبب هذا التفسير الذي اعتسفت الطريق إليه اعتسافًا .

والدكتور عادل أبو شعر صاحب التفسير الخامس للاعتماد الذي فسّره بالمعنى اللغوي وجعله غيرَ متحقق إلا بتحريك الحرف وتكريره يذهب إلى أن إشباع الاعتماد وضعفه (لفظان متعلقان بوجود الحرف مع الحركة أي بالمقطع الصوتي ، فإذا كرّرنا حرف الباء ، وذلك بتحريكه عدة مرات ، نحو (بَبَبَ) ، لم نحس بأثر واضح لهواء النفس في الباء فحينئذ يحكم على المقطع الصوتي أنه مشبع الاعتماد لمنع هواء النفس بالجري معه . أما انقضاء الاعتماد فيه فمعناه انتهاء عملية وضع العضو في المخرج ورفعُه عنه أكثر من مرة ، أي انقضاء تحريك الحرف ، وانتهاء العملية العضوية المطلوبة لإصدار الصوت المجهور ، ليجري بعد ذلك هواء التنفس ، ولاحظ أنه استعمل الفعل المضارع (ينقضي) الذي يدل على

(١) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (١٩)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

الاستمرار . وإذا كرّرنا حرف الثاء مع الحركة ، نحو : (ثثثَ) ، أحسسنا بخروج هواء الثاء معها ، وحينئذ يحكم على المقطع الصوتي أنه أضعف الاعتماد فيه للسماح لهواء النفس بالجري معه) [١] . وقريبٌ منه تفسير عبد الحميد زاهيد لإشباع الاعتماد وضعفه فقد فسّر إشباع الاعتماد بقوة الضغط على مخرج الحرف حال كونه مكرَّرًا متحرِّكًا بفتح أو ضمٍّ أو كسر وينتج عنه منع النفس ، كما فسّر ضعف الاعتماد بضعف الضغط على مخرج الحرف وينتج عنه جري النفس [٢] . وهذا التفسير مبنيٌّ على أنَّ الاعتماد لا يكون إلا في حال تحريك الحرف وتكريره وقد تقدّم أنّه يفهم من هذا التفسير أنّ الحرف المجهور أو المهموس ليس فيه اعتمادٌ إذا كان ساكنًا ، وعبارة سيبويه تنفي هذا (فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه) في جميع أحواله متحركًا كان أو ساكنًا وإنما يكون التكرير والتحريك عند اختبار الحرف فحسب (وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فرددتَ الحرفَ مع جري النفس ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه) والترديد من دون الحركة مُحالٌ كما أسلفت .

وبناءً على ما تقدَّم فإن المعنى الراجح لإشباع الاعتماد وإضعافه وانقضائه مبني على التفسير الثالث للاعتماد الذي رجّحتُه ، ولا يلزم من ذلك أني أوافق كل الباحثين الذين مالوا إلى هذا التفسير ، فهذا الدكتور عبد الصبور شاهين يرى أن إشباع الاعتماد في المجهور معناه أنَّ للمجهور اعتمادًا في موضعين هما الحنجرة ومخرج الحرف كما يرى أنَّ معنى إضعاف الاعتماد مع المهموس أنَّ له اعتمادًا في موضع واحد هو مخرج الحرف [٣] . وهذا تفسير لسبب إشباع الاعتماد وإضعافه لا تفسيرٌ لماهية الإشباع والإضعاف مع المجهور والمهموس .

والمعنى الصحيح لإشباع الاعتماد مبني على معنى الاعتماد الذي رجَّحتُه وهو ارتكاز عضو النطق على مخرج الصوت أو على موضع الحرف الجغرافي إذا كان اللسان جزءًا من مخرج هذا الصوت ، والإشباع في اللغة يدل على الامتلاء في أكل وغيره كما قال ابن فارس : (الشين والباء والعين أصل صحيح يدل على امتلاء في أكل وغيره) [٤] . وليس الإشباع مرادفًا للقوة فلا يصح استبدالها به في تعريف المجهور كما فعل ابن الجزري

---

(١) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٢٦٧)

(٢) في مدونته الإلكترونية (http://zahid٦٦.arabblogs.com/archive/٢٠٠٨/٧/٦٢٥٢٣٩.html)

(٣) انظر : شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٣)

(٤) ابن فارس ، **المقاييس في اللغة** ، (٥٤٧)

وغيره من القدماء لأنه قد يفهم من قوة الاعتماد لزوم الحرف لموضعه مما يؤدي إلى خلط الجهر بالشدة لذلك فرّق أحمد بن أبي عمر بين قوة الاعتماد في المجهور وقوة الاعتماد في الشديد ، فقال : (الفرق بين المجهور والشديد أن المجهور يقوى الاعتماد فيه بشدة الوقع ، والشديد يشتد الاعتماد فيه بلزوم موضعه لا بشدة الوقع .) (١) ولو لم يبدل بعض القدماء لفظ (القوة) بلفظ (الإشباع) لما احتاجوا إلى الإشعار بهذا التفريق ، وقد بينتُ قبلُ معنى شدة الوقع التي جعلها ابن أبي عمر شرحًا لقوة الاعتماد في المجهور ، فقلت : (الشدة معروفة في اللغة ، أما الوقع فهو عندهم صوت ارتطام شيء متحرك له صوت معروف بشيء ثابت ساكن كالأرض أو غيرها فلا بد للوقـْع من صوت مسموع ، من ذلك قولهم : سمعتُ وقعَ المطر ، وهو شدة ضربه الأرضَ إذا وَبَـلَ ، وسمعتُ لحوافر الدوابّ وقعًا ووقوعًا (٢) . ومعنى ذلك في المجهور من الأصوات أنّ النفس يخرج من الرئتين فيستحيل صوتًا مسموعًا عند تموجه بذبذبة الوترين الصوتيين ، وهذا الصوت هو نغمة الجهر ، وعندما تبلغ هذه النغمة إلى موضع الصوت فإنها ترتطم به لتشكل الصوت المجهور ، وهذه الشدة التي ذكرها أحمد بن أبي عمر تنشأ عن التقاء نغمة الجهر بموضع الصوت وارتدادها وانحصارها فيه ، والصوت يرتد كما ترتد الأجسام وينحصر عند الموضع ، وينسلُ شيء منه بسبب شدة هذا الوقع إلى الداخل ليحدث صوتًا أشبه بالصدى الذي يحس به المرء إذا وضع يده على جبهته أو في أذنيه كما يحس به في الصدر كما أشار إليه سيبويه في النص الثالث . وتقريب هذا الأمر بالمثال الذي ذكره ابن منظور عن وقع المطر أن المطر له صوت معروف فإذا وقع على الأرض ارتدّ قليلاً إلى فوق ليصدر صوتَ وقعه ، ولو وقعَ المطر على موضع منحصر من الأرض كموضع الصوت في الفم أو ثقبٍ صغير منها لملأ هذا الثقبَ ثم سال الزائد منه على الأرض تمامًا كما هي نغمة الجهر مع موضع الصوت المنحصر في جزء من الفم) .

فواضح أن النفس بمعناه الاصطلاحي يستحيل كلـّه إلى صوت قبل أن يصل إلى المخرج في المجهور ، فإذا وصل إلى المخرج وانحصر بالاعتماد زاد الضغط عليه زيادةً تجعل له وقعًا كذاك الوقع الذي أشرتُ إليه آنفًا كما تجعل الموضعَ – لأنّ الضغط واقع عليه – ممتلِئًا امتلاءً مجازيًّا بالصوت المنحصر والضغطِ الذي أحدثه انحصارُه ، وهو امتلاء لا يحتمل زيادة الضغط لأنه وصل إلى حدّ الإشباع وهذا الضغط المشبع الذي لا يحتمل الزيادة

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١٢٩)

(٢) ابن منظور (١٥ / ٢٦٠)

يؤدي إلى زيادة مساحة الافتراش إذا كان المعتمِد هو اللسان كما يزيد من تمدد الجلدة المخاطية في موضع الصوت . أمّا الصوت المهموس فضغطُ الاعتماد معه ضعيف لأن الهواء الذي بين المعتمِد أو عضو النطق والمعتمَد عليه نفسٌ خالص على حد اصطلاحهم في النفس ، ويؤدي انحصار هذا النفس في المخرج إلى أن يتحول جزء منه إلى صوت مسموع فيختلط النفس بالصوت ويقل الضغط على الموضع كما تقلُّ مساحة الافتراش إذا كان المعتمِد هو اللسان ويقل معه تمدد الجلدة المخاطية في موضع الصوت .

وانقضاء الاعتماد على هذا هو انتهاء التقاء عضوي النطق اللذين يحدث بهما الاعتماد في مخرج الصوت .

وقد اختلف الباحثون المحدثون في منع النفس مع المجهور عند سيبويه ، أهو منع تامٌ أم منع جزئيّ ؟ وخلافهم هذا مردّه إلى أنّ بعضهم لم يقف على الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء . وقد تقدّمت الإشارة إلى الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاحهم على ما حكاه طاش كبري زاده (أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفسًا ، بفتح الفاء ، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتًا) (١) . وهذا عين ما قصده سيبويه في تعريفه للجهر وتعريفه للشدة ، فالجهر مختص بمنع جريان النفس أي الهواء الخارج من الرئتين بدفع الطبع (هواء الزفير) ، والشدة مختصة بمنع جريان الصوت ، أي النفس بعد تموجه وتشكله في الحنجرة بتصادم الوترين وذبذبتهما ثم في مخرج الصوت إن كان مجهورًا أو في مخرج الصوت فحسب إذا كان مهموسًا . فالمنع التامّ للنفس لا يقتضي منع الصوت وإنما يتحول النفس إلى صوت نغمة الجهر في الحنجرة مع المجهورات ثم يتشكل في مخرج الصوت ليتحول إلى الصوت المجهور المراد لفظه . وهذا هو جوهر الفرق بين الجهر والشدة عند سيبويه .

على أن الذين ذهبوا إلى أن منع النفس مع المجهور جزئي كالدكتور عبد الصبور شاهين (٢) والدكتورة ابتسام جميل (٣) لم يقفوا على الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاحهم وظنوا أن منع النفس يستلزم منع الصوت لذلك زعم بعضهم كالدكتور فوزي الشايب (٤) أن تعريف

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١٠٤)

(٢) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٢)

(٣) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٢١)

(٤) الشايب ، فوزي حسن (١٩٩٩ م) ، (٦٥)

الجهر عند سيبويه ملتبس بتعريف الشدة ، وبما أن الصوت نفس مسموع فقد ظن هؤلاء الباحثون أيضًا أن الهواء الحامل للصوت الذي يخرج مع الصوت المجهور هو عين النفس الذي تحدث عنه سيبويه ، وعبارة سيبويه واضحة في أن منع النفس مع المجهور منع تامّ ، وهذا النفس هو هواء الزفير الذي يخرج مع عملية التنفس العاديّ . ومن هذا الظنّ أتى الدكتور صبري المتولي حين خطّأ ابن الجزري في تعريفه للجهر ورأى أنّه عوّل فيه على عامل جريان النفس وعدمه بسبب عدم المعرفة بالوترين الصوتيين في النتوء الصوتي الحنجري . وقد عدّ هذا التعريف خاطئًا لأنه يرى أنّ الحركات (الصوائت) تخرج مع تيّار نفسيٍّ طليق مع أنّ ابن الجزري عدّها مجهورة [١] . وتعليله لخطأ هذا التعريف يدلّ على أنه لا يفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء ، ومنهم ابن الجزري .
وقد أكّد الدكتور عبد القادر عبد الجليل صحة ما ذهب إليه سيبويه من منع النفس مع المجهور ، بقوله : (وهذا ما أثبتته البحوث الصوتية الحديثة وأثبتته التجربة أن انحباس الهواء مع الأصوات المجهورة هو انحباس كلي) [٢] .
وقد أقرّ الدكتور حسام النعيمي الذي يرى أن مفهوم سيبويه للجهر يخالف مفهوم المحدثين بأن جري النفس وإخفاء الصوت أمكنه في كل الحروف المهموسة فاستقام له ذلك فيها عدا الطاء والقاف والهمزة [٣] .

وقد اختلفوا أيضًا في تفسير منع النفس مع المجهور أو جريه مع المهموس عند سيبويه ، وقد رأيتُ أقوالهم في ذلك ترجع إلى تفسيرات ثلاثة :

١ – أن منع النفس مع المجهور ناشئ عن اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس ، كما أنّ جري النفس مع المهموس ناشئ عن ابتعاد الوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر لينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما وإحداث ذبذبات بهما . وهو تفسير الدكتور إبراهيم أنيس [٤] ، وقد تابعه عليه أغلب الباحثين

(١) المتولي ، صبري (٢٠٠٦ م) ، (٥٦)
(٢) عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، (١٢٠)
(٣) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٣)
(٤) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٤ – ١٢٥) .

المحدثين كالدكتور عبد الصبور شاهين [١] والدكتور عبد الغفار هلال [٢] والدكتور حسام النعيمي [٣] والباحثيْن المهدي بوروبه [٤] وكمال بخوش [٥] . وقد شذّ الدكتور حسام النعيمي عن هؤلاء الباحثين بأنه يرى أن مفهوم الجهر عند سيبويه مخالف لمفهوم المحـــدثين كما يشذ الدكتور عبد الصبور شاهين أنه يرى أن منع النفس مع المجهور منع جزئي لا تـــامّ كما سلف .

٢ – أن سيبويه أشار بمنع النفس مع المجهور إلى (عملية حجز الهواء وتوقفه وانحصاره بشكل مضغوط عند نقطة الاعتماد في موضع الصوت ، إضافةً إلى ما يحـــدث مـــن نقطـــة الاعتماد إلى الرئتين من تغير وتضييق في مجرى الهواء ، مرورًا بالوترين الصوتيين اللذين لم يكن يعرف بهما أو عنهما شيئـــًا ، ولكن الذي كان يشعر به ، كما نشعر به نحـــن عنـــد التهيؤ لنطق الصوت المجهور ، ألا وهو إضافة إلى إشباع الاعتمـــاد ومنـــع الـــنفس تلـــك الانقباضات التي تحصل في الحلق والحنجرة والصدر) [٦] وأنه أراد بجري الـــنفس مـــع المهموس (استطاعته اعتياديـــًا ومن غير عنت أو النصب مـــع التهيـــؤ لنطـــق الـــصوت المهموس ، وذلك باتخاذ أوضاع النطق كل ما يلزم لنطق الصوت ، وليس النطق به ، وفي حالة التهيؤ الكاملة لنطق الصوت المهموس يجري النفس طبيعيـــًا واعتياديـــًا ، مع ما يرافقه من استعداد للنطق ، ولو استمرَّ هذا التهيؤ والاستعداد طويلاً ، ألا ترى أنك لو تهيأتَ لنطق صوت التاء التهيؤ الكامل ، ومكثتَ طويلاً على هذه الحالة قبل نطقه فإنك تـــستطيع الـــنفس فيجري النفس اعتياديـــًا . هذا هو جري النفس في قول سيبويه ، أما جري النفس مع تكرار الصوت المهموس فأمر صحيح لا غبار عليه ولكن ليس من دون تحريك للوترين ، ومن دون إحداث الذبذبات بهما فهذا لا بد منه ، ولكن بصورة قليلة لا يشعر بها قياســـًا على ما يحدث مع الأصوات المجهورة .) [٧] وهو تفسير الدكتور فيصل العمري .

---

(١) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٣٢)

(٢) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (١٩٠)

(٣) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٣)

(٤) بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، (١٦١)

(٥) بخوش ، كمال (٢٠٠٨ م) ، (٧٩)

(٦) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (٢٢ – ٢٣)

(٧) المرجع نفسه (٢٤ – ٢٥)

٣ – أنَّ المقصود بمنع النفس من الجريان إخمادُ سرعة تدفق الهواء في أثناء مروره من منطقة الاعتماد وهي الوتران الصوتيان ، وليس توقفه توقفًا تامًّا ، فمنع النفس مع المجهور على هذا التفسير منع جزئي ، وهو مُسبَّب عن مرحلة إشباع الاعتماد التي تعقبها مرحلة قضاء الاعتماد ثم جريان الصوت وحدوث الأثر السمعي [١] . وهو تفسير الدكتورة ابتسام جميل ، وقد تقدّم أنّها لم تعرض لتفسير جري النفس مع المهموس كما لم تعرض لتفسير ضعف الاعتماد مع المهموس .

ويشذ التفسير الثاني عن التفسيرين الآخرين بأنه يجعل منع النفس من الجريان عند نقطة الاعتماد في موضع الحرف الجغرافي الذي هو جزء من المخرج وقد أشرتُ في الحديث عن الفرق بين الصوت والنفس في اصطلاح سيبويه والقدماء أنّ (الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفسًا ، بفتح الفاء ، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتًا) [٢] والنقطة التي يتم فيها تحول النفس إلى صوت عند النطق بالصوت المجهور هي الوتران الصوتيان فهواء النفس عند النطق بالصوت المجهور يخرج بدافع الإرادة لا بدافع الطبع ويعرض له تموج بتصادم الوترين على حد عبارة طاش كبري زاده . وبذلك يكون التفسير الثاني مُستبعَدًا مع أنّ صاحبه نبّه على أنّ الصوت المهموس لا يخلو من اهتزاز الوترين الصوتيين بصورة لا يكاد المرء يشعر بها ، وهو تنبيه عزيز سبق أن أشرتُ إليه في التمهيد .

أمّا التفسير الثالث فمبني على عدم التفريق بين الصوت النفس في اصطلاح سيبويه والقدماء ، فالهواء الذي يتسرب من الوترين حاملاً لصوت نغمة الجهر يسميه سيبويه والقدماء صوتًا لا نفسًا ، لذلك فإن منع النفس من الجريان تامٌّ لا جزئي على هذا الاصطلاح . كما أن هذا التفسير مبني أيضًا على تفسير موضع الاعتماد بالوترين الصوتين وأن إشباع الاعتماد اقترابُ الوترين ، وانقضاءَه الابتعادُ بينهما ، وبتتابع هذا الاعتماد والانقضاء تتم ذبذبة الوترين مع المجهور ، وعلى ذلك فإن إشباعَ الاعتماد ومنعَ

---

(١) جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٢٠)

(٢) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (١٠٤)

النفس يتمان قبل حدوث الصوت المجهور لأنه لا يحدث إلا بعد قضاء الاعتماد ، وقد تقدَّمَ نقضُ هذا كلِّه . على أن النتيجة الصحيحة التي توصلت إليها الدكتورة ابتسام جميل بهذا التفسير أن منع النفس مع المجهور يتمُّ أوّلَ ما يتمُّ في الحنجرة . والذي يحدث في الحنجرة ليس إخمادًا لسرعة هواء النفس بل هو تموّجٌ له بتصادم جسمين هما الوتران الصوتيان ليصير هذا الهواء صوتًا على ما هو اصطلاح سيبويه والقدماء ، فمنع النفس مع المجهور ناشئ عن اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس بذبذتهما ، كما أنَّ جري النفس مع المهموس ناشئ عن ابتعاد الوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر لينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما وإحداث ذبذبات بهما ، كما هو التفسير الأول الذي قرره الدكتور إبراهيم أنيس وموافقوه من الباحثين .

ويُفهم من كلام أغلب الباحثين أن المقصودَ بجريانِ الصوت انسيابُه وذهابُ أثره ، وأنَّ سماعَ الصوت المجهور يتم قبل انقضاء الاعتماد كما أنَّ منع النفس مصاحبٌ لنطق هذا الصوت ، وقد شذَّ الدكتور فيصل العمري بتفسير جريان الصوت بحدوثه ونشوئه لأن الصوت المجهور عنده يَنشأ ويُسمع بعد إشباع الاعتماد وانقضائه كما شذَّ بجعله منعَ النفس يتمُّ قبل النطق بالصوت المجهور بين إشباع الاعتماد وانقضائه (١) . وقد ذهبت الدكتورة ابتسام جميل إلى قريبٍ من هذا المذهب (٢) .

وقد نصَّ سيبويه على أنَّ منع النفس يتحقق مع النطق بالصوت المجهور (وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فرددتَ الحرف مع جري النفس . ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه) وهذا أيضًا ما يفهم من مرجع الضمير في كلمة (معه) في قول سيبويه : (ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت) . وبما أن النفس على معناه الاصطلاحي عند سيبويه والقدماء يمتنع إلى انتهاء النطق بالصوت المجهور وبما أن سيبويه جعل جريان الصوت غايةً لمنع النفس فإن معنى جريان الصوت انسيابُه وذهابُ أثره ولا يمكن حمله على النشوء والحدوث وإلا لم يجعله سيبويه غاية لمنع النفس بعطفه على مجرور

---

(١) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (٢٧)

(٢) انظر : جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، (٢٣)

حتى [١] . ولا يجوز أن يحتجَّ محتجٌّ بأن النحويين اختلفوا في المجرور بحتى هل يدخل فيما قبلها أو لا ؟ لأن لكل قولٍ أدلته الصحيحة من كلام العرب والسياقُ هو الذي يحدد ذلك [٢] وسياق كلام سيبويه الذي قرر فيه امتناع النفس مع المجهور يدل على أنَّ المجرور بحتى في النص الأول داخلٌ فيما قبلها .

ذلك هو الراجح في تفسير ألفاظ النص الأول بما يدل على أن سيبويه كان يعني بالجهر والهمس ما يعنيه الباحثون المحدثون ، وقد سبق في تحليل النص الثاني من الفصل الأول تفسير المراد بالنفخة ونحو النفخة والقلقلة بما لا يحتاج إلى تتمة وترجيح لأن الباحثين المحدثين لم يختلفوا فيها اختلافهم في ألفاظ النص الأول لأن أغلب الباحثين لم يقفوا على النص الثاني أو يعرضوا لتفسيره .

ويجب أن يستذكر القارئ مرة أخرى أنَّ الدكتور عادل أبو شعر عدَّ هذه الألفاظ (القلقلة) و (نحو النفخة) و (النفخ) متمِّماتٍ طبيعيةً للأصوات عند الوقف ، فنبّه بذلك على أمرٍ غَفَل عنه كثيرٌ من الباحثين المحدثين الذين درسوا اختلاف القدماء والمحدثين في جهر بعض الأصوات أو همسها كما سيأتي ، فإن هذه (المتممات للحروف أعني : القلقلة وشبه النفخ والنفخ تُعدّ من مشخِّصات الصوت اللغوي ولوازمه عند المتقدمين لا أمرًا خارجًا عنه) [٣] .

أمّا مصطلح صوت الصدر فقد سبق تفصيل معناه في تحليل النص الثالث من الفصل الأول ولا يُحتاج فيه أيضًا إلى تتمة وترجيح في هذا الفصل لأن أغلب الباحثين الذين عرضوا لهذا المصطلح وافقوا الدكتور إبراهيم أنيس في تفسيره لصوت الصدر بأنه (صدى الذبذبات التي

---

(١) ومجرور حتى في قول سيبويه (حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت) المصدر المؤوَّل من الفعل (ينقضي) وأن المضمرة وجوبًا بعد حتى على مذهب أهل البصرة . والمصدر المؤول من الفعل (يجري) معطوف على مجرور حتى ، وحتى حرف غاية وجر .

(٢) انظر مثلاً : المرادي ، الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ، **الجنى الداني في حروف المعاني** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، (٥٤٥ – ٥٤٦) .

(٣) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٦)

تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، وهذا الصدى نحس به ولا شكَّ في الصدر كما نحس به حين نسدُّ الأذنين بالأصابع أو حين نضع الكفَّ على الجبهة فهو الرنين الذي نشعر به مع المجهورات وسببه تلك الذبذبات التي في الحنجرة) [١] . ومثل ذلك تفسير الدكتور إبراهيم أنيس لمعنى إمكانية إخفاء الصوت مع المهموس بأنه (إسكات الذبذبات التي تحدث مع المجهور في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، ومتى سكتت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس) [٢] .

---

(١) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (١٢٢)

(٢) المرجع نفسه (١٢١)

الفصـــلُ الثَّـــاني

الأصواتُ المجهورةُ والمهموسةُ

عند ســـيبَويـــْهِ

الأصوات المجهورة عند سيبويه تسعة عشر ، (الهمزة ، والألــف ، والعــين ، والغــين والقاف ، والجيم ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ،والراء ، والطاء ، والــدال ، والــزاي والظاء ، والذال ، والباء ، والميم ، والواو) (١) . وقد تابعه على عدِّها جمهور العلمــاء ، وقد شذَّ عنهم السكاكي فعدَّ المجهورة أربعة عشر صوتــًا ، حيث ألحــق العــين والغــين والضاد والظاء واللام والزاي والذال بالأصوات المهموسة ، وجعــل الكــاف والتــاء مــن الأصوات المجهورة (٢) ، وهو ما لم يتابعه عليه الأقدمون .

والأصوات المجهورة في العربية الفصحى التي ينطقها المثقفون في العالم العربي الحديث عند جمهور الباحثين المحدثين ستة عشر حيث اختلفوا مع سيبويه والقدماء في جهر الطــاء والقاف والهمزة ، وذهبوا إلى أنَّ الطاء والقاف صوتان مهموسان ، كما اختلفوا في الهمزة ، فمنهم من عدَّها مهموسة ، ومنهم من ذهب إلى أنها لا توصف بجهر أو همس كما ســيأتي تفصيله .

وقد اختلف الباحثون المحدثون في تفسير الخلاف مع سيبويه والقدماء في وصــف الطــاء والقاف والهمزة بالجهر اختلافــًا واسعــًا ، وهو اختلاف يمكن حصرُه ، وذكــر ووجوهــه وترجيح الراجح منه ، وإثباتُ ما فيه من مأخذ بتفصيل القول على كــل صــوت مــن هــذه الأصوات وحده .

أمّا الطاء فإنَّ القولَ في تفسير الخلاف بين سيبويه والمحدثين فــي وصــفها بــالجهر أو الهمس يَرجع إلى أحد احتمالات ثلاثة :

١ – اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين واختلاف الضوابط التي يُميَّز بهــا بين المجهور والمهموس . والطاءُ على هذا التفسير مجهورة بــضابط ســيبويه والقــدماء ، مهموسة بضابط المحدثين . وواضح أنَّ من يذهب هذا المذهب في تفــسير الخــلاف فــي صوت الطاء يتعيَّنُ أن يكون ممن يرى اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين . وقد وقع الدكتور تمّام حسّان في تناقض واضح حين قرر اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين

---

(١) سيبويه (٤ / ٤٣٤)

(٢) السكاكي (١١)

سيبويه والمحدثين ثمَّ خطـأ سيبويه والقدماء في وصف الطـاء بـالجهر ! (١) . وممـن ذهب إلى اختيار هذا التفسير الدكتور حسام النعيمي (٢) والدكتور عـادل أبـو شـعر (٣) والدكتور محمد الجبوري (٤) . ويردُّه ما رجحتُه في الفصل السابق من الاتفاق بين سيبويه والمحدثين في حقيقة الجهر والهمس .

٢ – خطأ سيبويه والقدماء في وصف الطاء بالجهر ، والقائل بهذا التفسير يتعين أن يكـون ممن يرى اتفاق سيبويه والمحدثين في حقيقة الجهر والهمس . وقد اختار هذا التفسير جاردنر ، وبرافمان (٥) ، والدكتور تمّام حسّان (٦) مع أنه ممن يرى اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين كما ذكرتُ آنفـًا .

ويردُ هذا الاحتمال أن سيبويه صرَّح بأن الطاء هي النظير المطبق للدال ، ولا خلاف بـين القدماء والمحدثين على جهر الدال ، فقال في حديثه عن حروف الإطباق الأربعة : (ولـولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سينـًا ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد مـن الكـلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها) . كما يرد هذا الاحتمال أنَّ بعض علماء التجويـد حذر من همس الطاء كما يفعله بعض المبتدئين ، قال محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) : (واحذر من إعطاء الطاء همسـًا كما يفعله بعض الناس ، حتى إذا أزلتَ إطباقه وتفخيمـه على ما لفظوا به يصير تاءً) كما قرر أنَّه (إذا لم تعدم إطباق الطـاء واسـتعلاءها لكـن أعدمت جهرها فأعطيتَ لها همسـًا كما يفعله بعض المبتدئين في مثل (الصراط المستقيم ، صراط الذين) ،فلا يكون المغيَّر إليه حرفـًا من حروف التسعة والعشرين ، ولكـن لـك أن تسمي المغيَّر إليه طاءً مهموسة أو تاء مطبقة أو تاءً مفخَّمة) (٧) . فلو أن سيبويه أخطـأ في وصف الطاء بالجهر لما حذّر بعض علماء التجويد من سلب الطاء جهرَها في القراءة .

---

(١) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، القاهرة ، مكتبة النسر للطباعة ، (٩٥)
(٢) النعيمي ، حسام ، **أصوات العربية بين التحول والثبات** (٢٧)
(٣) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٩٣)
(٤) الجبوري ، محمد (٢٠٠٦ م) **مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (٧٣ – ٧٤)
(٥) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (١٦٩)
(٦) حسّان ، تمّام ، (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٥)
(٧) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** (٢١١)

كما يردُّ احتمالَ خطأ سيبويه في وصف الطاء بالجهر تتبعُ ظاهرة الإبدال اللغوي بين الطاء وكلٍّ من الدال والتاء ، فقد قرَّر الدكتور عبد الصبور شاهين أن الاستقراء الكامل لأمثلة (لسان العرب) أثبت (أنَّ الكلمات التي تحتوي طاءً في الفصحى يوجد لها نظير بنفس المعنى مع حلول (الدال) محل (الطاء) ، وذلك في أكثر أمثلة الإبدال اللغوي ، وكانت الأمثلة التي أبدلت فيها الطاء تاءً قليلة نادرة ... وحسبنا هذا دليلاً من واقع اللغة أن الطاء القديمة كانت مجهورة مفخمة) (١) .

ومما يستأنس به في ردِّ هذا الاحتمال تتبع صور المماثلة الجزئية في الأصوات السابقة للطاء فالقدماء يعللون قراءة حمزة لكلمة الصراط في سورة الفاتحة (الزراط) بالصاد المشمة صوتَ الزاي (٢) على ما هي لغةُ بعض قيس (٣) - (أنه لمّا رأى الصاد فيها مخالفةً للطاء في الجهر ، لأنَّ الصاد حرف مهموس والطاءَ حرف مجهور أشمَّ الصادَ لفظَ الزاي للجهر الذي فيها ، فصار قبل الطاء حرفٌ يشابهها في الإطباق وفي الجهر اللذين هما من صفة الطاء ، وحَسُنَ ذلك لأن الزاي من مخرج السين ، والصاد مؤاخيةٌ لها في الصفير ، والعرب تبدل السينَ صادًا إذا وقع بعدها طاءٌ أو قاف أو غين أو خاء ، لتسفُّل السين وهمسها ، وتصعّدِ ما بعدها وإطباقِه وجهره ، ليكون عمل اللسان من جهة واحدة فذلك أخفُ عليهم) (٤) . ولذلك أمثلة من لسان العرب ، منها : السّراد والزرّاد حيث أخذت السين صفة الجهر من الدال (٥) .

ومن أمثلة هذه المماثلة قولهم : (فطز فطزًا وفطس فطسًا ، إذا مات) (٦)

---

(١) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٢٢)

(٢) انظر : ابن زنجلة ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت بعد ٣٨٢ هـ) ، **حجة القراءات** ، الطبعة الخامسة ، (تحقيق سعيد الأفغاني) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م ، (٨٠)

(٣) النحّاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ هـ) ، **إعراب القرآن** ، الطبعة الأولى ، (اعتنى به الشيخ خالد العلي) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، (١٤)

(٤) القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** ، الطبعة الخامسة ، (تحقيق الدكتور محي الدين رمضان) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، (٣٤ - ٣٥)

(٥) ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ، (٧/ ١٦٥) ، (سرد)

(٦) أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي الحلبي ، (ت ٣٥١ هـ) ، **كتاب الإبدال** ، (تحقيق عز الدين التنوخي) ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م ، (٢ / ١١٧)

٣ – تطور صوت الطاء . وعلى هذا فإن الطاء التي وصفها سيبويه تختلف عن الطاء التي وصفها المحدثون . ويذهب إلى اختيار هذا التفسير أغلبُ الباحثين المحدثين .

وأصحاب هذا التفسير يختلفون في تحديد ماهية الطاء التي وصفها سيبويه ، فمنهم من يتوقف في تحديد ماهيتها مكتفيـًا بالحكم عليها بالتطور كالدكتور عبـد القـادر عبـد الجليـل (١) والدكتور عبد الحميد أبو سكين (٢) ، أو مكتفيـًا بذكر احتمالات الخلاف فيها دون تـرجيح كالدكتور كمال بشر (٣) والدكتور فوزي الشايب (٤) .

ومنهم من يذهب إلى أنها كانت تلفـظ دالاً مفخَّمـة (ضـادًا حديثـة) كالمستـشرقِينَ برجشتراسر ، وشاده ، وجلاذر ، وكانيفماير (٥) . كما يذهب هذا المذهبَ مـن العـرب الدكتور إبراهيم أنيس (٦) والدكتور غانم الحمد (٧) والـدكتور عبـد الغفـار هـلال (٨) والباحث المهدي بوروبه (٩) ، ويميل إليه الدكتور عبد العزيز الصيِّغ (١٠) كمـا يختـاره الدكتور فيصل العمري (١١) .

ومنهم من يذهب إلى أنها كانت تُلفظ طاءً كالطاء الحديثة إلا أنها تزيد عليها بقفل الـوترين الصوتيين لذلك سمَّوْها بالطاء المهموزة أو الطاء المشربة بالتهميز حيـث يـصاحب التقـاءَ العضوين الناطقيْنِ في مخرجها التقاءٌ تامٌّ للوترين الصوتيين كالتقائهما عند النطق بالهمزة . وقد أشار الدكتور سعد مصلوح إلى أنَّ هذه الطاء تشيع في بعض اللهجات العربية المعاصرة

---

(١) عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، (١٢٥)

(٢) أبو سكين ، عبد الحميد محمد (١٩٨٣ م) ، (٥٠)

(٣) بشر ، كمال محمد (١٩٧٣ م) ، (١٠٢ – ١٠٤)

(٤) الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، (١٦٩)

(٥) البهنساوي ، حسام (٢٠٠٥ م) ، **الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، (٩٤)

(٦) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (٦٢)

(٧) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢٠٨ – ٢١٢) . والحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٤ م) ، **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، (٢٧٩) .

(٨) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (٢١٠) .

(٩) بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، (١٦٣)

(١٠) الصيِّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، (١١١)

(١١) العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤ م) ، (٤٧)

[١] كما ذكر الدكتور كمال بشر أنّ هذه الطاء تُسمعُ في بعض لهجات الصعيد وفي نطــق بعض السودانيين الآن [٢] . وقد اختار هذا القولَ الدكتور تمّام حسّان ورأى أيـضـًا أن سيبويه أخطأ في وصف هذه الطاء المهموزة بالجهر مع أنه يرى أن حقيقة الجهر عنده تختلف عن حقيقته عند المحدثين [٣] . فالدكتور تمام حسّان يذهب إلى الجمع بين تفسيرين لخــلاف سيبويه مع المحدثين في وصف الطاء هما خطأ سيبويه في وصفها ، وتطورُ نطقها .على أنّ حُكمه على خطأ سيبويه مبني على مفهوم المحدثين للجهر لا على مفهــوم ســيبويه – علــى مذهبه – . ويظهر أن الدكتور محمد باكلا يميل أيضـًا إلى مثل هذا الرأي [٤] . وهــو الاحتمال الذي أرجّحه .

وإذا كان الاحتمالان الأولان مرجوحَيْن ِ لِما ذكرتُ في التعقيب عليهما ، وكان هذا الاحتمال الأخير هو الراجــح ، فما هي الصورة التراثية للطاء القديمة التي وصفها سيبويه ؟ أهي دال ٌ مفخّمة (ضادٌ حديثة) أم أنّها طاءٌ مهموزة ؟ .

إن التسليم بأن الطاء كانت تُلفظُ دالاً مفخمة (ضادًا حديثة) (يدعو إلى القول بأن العــرب هجروا هذا الصوت لا لعلة ، واستعملوا مكانه التاء المطبقة ، ثم عاد بعضهم إلــى الــصوت نفسه ليعبِّرَ به عن صوت آخر ، وهو أمر يخالف سَنَن اللغات في التحول الصوتي) [٥] .

وقد استدلَّ أصحاب هذا القول بقول سيبويه : (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سينـًا ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرُها) [٦] ووجه استدلالهم بهذا القول أنّ الطاء هي النظير المطبق للدال ، وليس يُعــرَف الآن نظيــر مطبق للدال سوى الضاد الحديثة فهي التي كان يعنيها سيبويه ويــصفها علــى أنهــا الطــاء الفصيحة .

وهذا الاستدلالُ مبنيّ على أنّ اتحاد صفات صوتين من الأصوات يستلزم اتحادهما في السمع وأنّ اتحاد صفات الضاد الحديثة والطاء التي وصفها سيبويه يستلزم اتحادهما فــي الــسمع

---

(١) مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (٢٠٥)

(٢) بشر ، كمال محمد (١٩٧٣ م) ، (١٠٣)

(٣) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** (٩٤ – ٩٥) .

(٤) انظر : الهليس ، يوسف (١٩٧٧ م) ، **علم الصوتيات عند العرب في ضوء علم اللغــة الحــديث ، أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب** ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، (٤٨٠)

(٥) النعيمي ، حسام ، **أصوات العربية بين التحول والثبات** (٣٤)

(٦) سيبويه (٤ / ٤٣٦) .

لاتحاد ذواتهما ، وهذه مقدمة غير صحيحة لأن الصوتين قد يتحدان في الصفات ويختلفان في المخرج فالنون والميم مثلاً كلاهما مجهور بيني أي ليس بالرخو ولا بالشديد وهما صوتان مستفلان غير مستعليين ، منفتحان غير مطبقين ، ويشتركان في صفة الأنفية ، فملامحهما المميزة واحدة لكنهما غير متحديْن في السمع .

لذلك ذهب الدكتور عادل أبو شعر إلى أن بعض الدارسين اتخذ من عبارة سيبويه (ذريعةً للتشكيك في صوت الطاء إذ فهموا من عبارته اتحاد هويتي الطاء والدال في السمع بلا إطباق) [١] كما قرر أنه لا يجد أحدًا من هؤلاء الدارسين (يدرك خطر الانجرار وراء هذا الوهم الذي يمس صوتًا من أصوات القرآن ، لأن هذا الأصل الذي أرادوه للطاء أعني الدال المفخمة ، سَيُرتَّبُ عليه – لو قُرئ به – تغيير كبير للمعنى في مثل قوله – تعالى – : (وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ، وبعيد جدًّا ألا يلحظ المتقدمون هذا التغير مع شدة عنايتهم – على مرِّ العصور – في المحافظة على الصورة الأدائية الأولى المتلقاة من فم النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ورصدهم ما هو أدق من ذلك مما هو متعلق بمقادير المدّات ، فكيف الحال بما يكون له تأثير في معاني الكلمات ؟!!) [٢] .

كما ذهب الدكتور عادل أبو شعر إلى أن الطاء التي وصفها سيبويه لو كانت ضادًا حديثة لما كان بين حَبستها وحبسة الدال فرق في الزمن في مثل قول ابن جني : " وقالوا (قطّ الشيءَ) إذا قطعه عرضًا ، و(قدّه) إذا قطعه طولاً ، وذلك لأنَّ منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال " ، وقوله : " وذلك أنَّ الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعًا له من الدال " . ولمّا أشار ابن سينا إلى أن الدال تفارق الطاء في نوعية الحبس [٣] .

وقد استدلَّ الدكتور غانم الحمد على أن الطاء التي وصفها سيبويه دالٌ مفخمة (ضاد حديثة) بأنَّ بعض علماء التجويد المتأخرين كابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤ هـ) ومحمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) وصفوا نطق أهل مصر للضاد في زمانهم أنه يشبه الطاء ، قال المقدسيّ : (لما رأيت بمحروسة القاهرة التي هي زين البلاد كثيرًا من أفاضل الناس فضلاً عن الأوغاد يخرجون عن مقتضى العقل والنقل في نطق الضاد ... فليُعلمْ أنَّ أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة والطاء المهملة) ونَقلَ قريبًا من هذا النص عن

---

(١) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٤٤٠)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) المرجع نفسه ، (٤٤٠ – ٤٤١)

محمد المرعشيّ [١] . وليس في ذلك دليلٌ على أنَّ الطاء التي وصفها سيبويه والقدماء دالٌ مفخمة أو ضادٌ حديثة ، فهذه النص يدلُّ على بداية التحوّل في نطق الضاد عند العلماء والعوامّ لا عند العوامّ فحسب ، وأنَّ الضاد بدأت تفقد رخاوتها واستطالتها لتصير صوتًا وقفيًّا شديدًا كالدال المفخمة والطاء المهملة في عهد هؤلاء العلماء الذين حذروا من هذا التحول .

وقد استدلَّ الدكتور غانم الحمد على ذلك أيضًا بأنَّ الطاء تلفظ دالاً مفخمة في بعض اللهجات العربية المعاصرة في جنوب الجزيرة العربية [٢] ، ولو كانت كل لهجة عربية معاصرة في نطق صوت من الأصوات دليلاً على النطق القديم الفصيح لهذا الصوت لكان ذلك أيضًا دليلاً على أنَّ الطاء المهموزة هي الصورة القديمة الفصيحة للطاء لأنها تسمع أيضًا في بعض اللهجات العربية المعاصرة .

على أنَّ التسليم بأن الطاء العربية التراثية الفصيحة دالٌ مفخمة (ضادٌ حديثة) يفضي إلى حكم شديد الخطر على أصوات العربية التي يقرأ بها القرآن الكريم ، إذ إنه يستلزم نفي التواتر اللفظي لهذه الأصوات ، ولو كانت الطاء العربية التراثية الفصيحة – التي تناقل أداءها جمع عن جمع تناقلاً يمتنع معه تواطؤهم على الكذب وينتفي معه احتمال الخطأ – دالاً مفخمة (ضادًا حديثة) لسمع الناس تلاوة القرّاء في هذا الزمان على مثل هذا الوصف لصوت الطاء .

وإذا كان القول بأن الطاء القديمة دال مفخمة (ضاد حديثة) ضعيفًا بما سبق بيانه ، وكانت الطاء القديمة التراثية طاءً مهموزة يصحبها إقفالٌ للوترين الصوتيين كما يحدث مع الهمزة فكيف يستقيم وصفها بالجهر ؟! والباحثون المحدثون يعدّون هذا الوضع للوترين مباينًا لوضع الجهر ويدرجونه مع الهمس ، أو يعدونه وضعًا مستقلاً بذاته .

ولهذا اختلفوا في الهمزة ، فبعضهم عدَّها مهموسة ، وبعضهم رأى أنها لا توصف بجهر أو همس .

سلَفَ في الحديث عن النص الثاني من نصوص سيبويه الذي ذكر فيه الحروف المشربة أن (القلقلة) و(نحو النفخة) و (النفخ) تعدُّ (من مشخِّصات الصوت اللغوي ولوازمه

---

(١) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢٠٩)

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

عند المتقدمين لا أمرًا خارجـًا عنه) [١] ، وأنّ ابن جني قد أشار إلى ذلك واستدلّ عليه بعَدِّها مع الحرف صوتـًا واحدًا في الميزان العروضيّ . والطاء مـن حـروف القلقلـة ، فحروف القلقلة عند القدماء (القاف والطاء والباء والجيم والدال) وعلتهـا عنـدهم اجتمـاع الجهر والشدة (والحاصلُ أنّ القلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف الخمسة ، لكنها في الموقوف عليه أقوى منها في الساكن الذي لم يوقف عليه ، **<u>وفي المتحرك قلقلة أيضـًا لكنّها أقل فيـه من الساكن الذي لم يوقف عليه</u>** ... كما أنّ حرفي الغنة وهما النون والميم لا يخلوان عـن الغنة عند تحركهما وإن لم تظهر) [٢] .

وقد فات الدكتور تمام حسّان أن الطاء القديمة الفصيحة المهموزة التي وصفها سـيبويه مـن حروف القلقلة ، وأن القلقلة تعد جزءًا من صوت الطاء لا أمرًا خارجـًا عنه حيـث تعمـل القلقلة المصاحبة للطاء على فك قفل الوترين وقفل المخرج لتحدث الـصويت الـذي يـصدر بسببها ، وبذلك يتذبذب الوتران عند النطق بها مقلقلةً . والدليل على أنّ القلقلة تُحدث هـذا الانفكاك في المخرج وفي فتحة المزمار ليتذبذب الوتران أنهم يشبهون القلقلة بالحركة ، فقـد نقل صاحب نهاية القول المفيد عن الشيخ حجازي في شرحه : (وتجب المبالغة فـي القلقلـة حتى يسمع غيرك نبرة قوية عالية **<u>بحيث تشبه الحركة</u>** ، أي حركة ما قبله ، وتتبع الحـرف بعد سكونه) [٣] . ويدل على ذلك أيضـًا تعريف أبي شامة المقدسي للقلقلة بأنها : (صوت زائد حدث في المخرج بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك الضغط ، **<u>وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح المخرج بتصويت ، فحصل تحريك مخرج الحرف وتحريك صـوته ، أمـا المخرج فقد تحرك بسبب انفكاك دفعي بعد التصاق محكم . وأما الصوت فقد تبدّل في السمع ، وذلك ظاهر</u>** ، ولك تعريف القلقلة بتحريك الصوت أو بتحريك المخـرج) [٤] . وتحريـك المخرج هو فكّ قفله كما أسلفت ، أمّا تحريك الصوت فسببه ذبذبة الوترين الـصوتين التـي يحدثها هذا التحريك لهما بعد قفلهما قفلاً يشبه النطق بالهمزة .

---

(١) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٦)

(٢) الجريسي ، محمد مكي نصر (ت ١٣٢٢ هـ) ، **نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق عبد الله محمود محمد عمر) ، دار الكتب العلمية ، بيـروت ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م ، (٥٦) .

(٣) المصدر نفسه (٥٥)

(٤) المصدر نفسه (٥٤)

ولذلك وُفِّقَ الدكتور صبري المتولي حين رأى أن القدماء أصابوا في وصف الطاء بالجهر لأنها تلازم القلقلة في الأداء القرآني خاصةً (١) .

وأمّا القاف فإنَّ القولَ في تفسير الخلاف بين سيبويه والمحدثين في وصفها بالجهر أو الهمس يَرجع إلى أحد احتمالات أربعة :

١ – اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين واختلاف الضوابط التي يُميَّز بها بين المجهور والمهموس . والقافُ على هذا التفسير مجهورة بضابط سيبويه والقدماء ، مهموسة بضابط المحدثين . وواضح أنَّ من يذهب هذا المذهب في تفسير الخلاف في صوت القاف يتعيَّنُ أن يكون ممن يرى اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين . وقد وقع الدكتور تمّام حسّان في تناقض واضح حين قرر اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين ثمَّ خطّأ سيبويه والقدماء في وصف القاف بالجهر كما سبق أن أشرتُ إلى مثل ذلك في الطاء (٢) . وممن ذهب إلى اختيار هذا التفسير الدكتور حسام النعيمي (٣) وتبعه الدكتور عبد العزيز الصيِّغ (٤) ، والدكتور عادل أبو شعر (٥) والباحث المهدي بوروبه (٦) والدكتور محمد الجبوري (٧) . ويردُّه ما رجحتُه في الفصل السابق من الاتفاق بين سيبويه والمحدثين في حقيقة الجهر والهمس .

٢ – خطأ سيبويه والقدماء في وصف القاف بالجهر ، والقائل بهذا التفسير يتعين أن يكون ممن يرى اتفاق سيبويه والمحدثين في حقيقة الجهر والهمس . وقد اختار هذا التفسير الدكتور

---

(١) المتولي ، صبري (٢٠٠٦ م) ، (٥٧)

(٢) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٦)

(٣) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٤)

(٤) الصيِّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، (١١٤)

(٥) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٣)

(٦) بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، (١٦٤)

(٧) الجبوري ، محمد (٢٠٠٦ م) ، (٧٣ – ٧٤)

تمّام حسّان [١] مع أنه ممن يرى اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين كما ذكرتُ آنفـًا ، والدكتور غانم قدّوري الحمد [٢] .

ويردّ هذا الاحتمالَ تتبعُ صور المماثلة الجزئية في الأصوات السابقة للقاف ، حيث تماثل بعضُ هذه الأصواتِ القافَ في صفة الجهر مماثلة قياسية كما في مماثلة السين للقاف في صفة الجهر في لغة كَلْب خاصّةً كما نصّ عليه صاحب اللسان [٣] ، أو مماثلة سماعية في لغة عامّة العرب ، ومن أمثلة هذه المماثلة الجزئية (سَقَرَ وزَقَرَ) من أسماء جهنّم ، و(خزقَه بالرمح وخسقَه) إذا طعنه طعنـًا خفيفـًا ، و(سهم خازق وخاسق) نافذ ، و(بسق وبزق وبصق) ، و(البساق والبزاق والبصاق) ، و(أبسقت الشاة وأبزقت) إذا أنزلت اللبن ، و(صقر وسقر وزقر) للجارح المعروف ، و(لسِقَ ولزق ولصق) [٤] (والعِذْق والعسْق) لعرجون النخلة [٥] .

ولو كان سيبويه مخطئـًا في وصف القاف ، وكانت صورتها الفصيحة مهموسة لما ماثلتها السين في جهرها مماثلةً تبلغ أن تكون لهجةً مقيسةً من لهجات بعض العرب الفصحاء .

٣ – تطور صوت القاف . وعلى هذا فإن القاف التي وصفها سيبويه تختلف عن القاف التي وصفها المحدثون ، وسبب هذا الاختلاف تطور نطقي حدث فيها مع مرور الزمن . ويذهب إلى اختيار هذا التفسير أغلب الباحثين المحدثين .

وأصحاب هذا التفسير يختلفون في تحديد ماهية القاف التي وصفها سيبويه ، فمنهم من لا يعرض لتحديد ماهيتها القديمة مكتفيـًا بالحكم عليها بالتطور كالدكتور عبد القادر عبد الجليل

---

(١) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٦)

(٢) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢١٩)

(٣) ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ، (٧ / ٢٠٧ / سقر) حيث قال : (وذلك لأنّ كلبـًا تقلب السين مع القاف خاصّةً زايـًا ، ويقولون في " مسَّ سقر " : " مسَّ زقر " ، وشاة " زقعاء " في " سقعاء ") .

(٤) انظر هذه الأمثلة في (أبو الطيب اللغوي) (ت ٣٥١ هـ) ، **كتاب الإبدال** (٢ / ١٠٧ – ١٢٠)

(٥) أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ، **كتاب الإبدال** ، (٢ / ١٣)

(١) والدكتور سمير ستيتية (٢) ، ومنهم من يكتفي بذكر احتمالات الخلاف فيها دون ترجيح معلـلاً ذلك بأنَّ الترجيح متعذِّر لانـقراض العرب الفصحاء ! كالـدكتور عبـد الغفـار هـلال (٣) .

ومنهم من يذهب إلى أنها كانت تلفظ جيمـًا قاهرية أو كافـًا فارسية كهنري فلـيش (٤) والدكتور إبراهيم أنيس (٥) والدكتور كمال بشر (٦) والدكتور فوزي الشايب (٧) والدكتور رمضان عبد التوّاب (٨) والدكتور فيصل العمري (٩) .

ومنهم من يذهب إلى أنها كانت تُلفظ غينـًا كنطق السودانيين للقـاف الآن ، وهـو اختيـار الدكتور عبد الصبور شاهين (١٠) وما يفهم من كلام الدكتور حسام البهنساوي (١١) .

ويردُ الصورة الأولى للفظ القاف أنَّ سيبويه حدّد مخرج القاف من نقطة هي أعمق مـن النقطة التي تخرج منها القاف التي تُنطق كالجيم القاهرية أو الكاف الفارسـية ، ومـن غيـر المحتمل أن يغيب عنه أنَّ هذه الصورة للقاف تخرج من مخرج الكاف العربية المهموسة نفسه ، ولو أنه أراد بالقاف حين وصفها بالجهر هذه الصورة لجعلهما من مخرج واحد على نحو ما

---

(١) عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، (١٢٥)

(٢) ستيتية ، سمير شريف (١٩٨٧ م) ، ميكانيكية النطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية ، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** (المجلد الثاني والستون ، الجزء الثالث) : (٥٢٧) .

(٣) هلال ، عبد الغفار (٢٠٠٩ م) ، (٢٠٧)

(٤) انظر : الشايب ، فوزي (١٩٩١ م) ، (١٦٤)

(٥) أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، (٨٥) ، فهو يجعل نطق القاف جيمـًا قاهرية أكثر احتمالاً مـن كونها قافـًا سودانية قريبة من الغين .

(٦) بشر ، كمال (١٩٧٣ م) ، (١١٠)

(٧) الشايب ، فوزي (١٩٩١ م) ، (١٦٤)

(٨) عبد التواب ، رمضان (١٩٨٨ م) ، **بحوث ومقالات في اللغة** ، الطبعة الثانية ، القـاهرة ، مكتبـة الخانجي ، (٩)

(٩) العمري ، فيصل (٢٠٠٤ م) ، (٤٨)

(١٠) شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، (٢٢٥)

(١١) البهنساوي ، حسام (٢٠٠٥ م) ، (٩٩)

فعل بعدد من الأصوات مثل : ع ح ، غ خ ، ط د ت ، ص ز س ، ظ ذ ث . فتفريقه بـين مخرج القاف التي وصفها ، ومخرج الصورة الأولى للقاف ينفي هذا الاحتمال [١] .

ويردُ هذا الاحتمال أيضـًا أنَّ علماء اللغة والتجويد كابن دريد والسيرافي وعبد الوهّاب القرطبي وابن الحاجب وأبي حيان والقسطلاني وابن الجزري ميّزوا بين هذه الصورة للقاف ، والقاف التي يُقرَأ بها القرآن الكريم ، ونصّوا على أنها مخالفة لها وأن الأولى ليست مـن كلام العرب الفصحاء لذلك فإنّ القرّاء لم يقرأوا بها كتاب الله – عز وجل – [٢] . وقد ذهب الدكتور غانم الحمد إلى أن هذه الصورة للقاف لم تظهر إلا في أوائل القرن الرابع الهجـري [٣] استنتاجـًا من نصوصٍ نقلها عن العلماء المذكورين آنفـًا لا أريد أن أستطرد بذكرها لتُنظرَ في موضعها من كتاب الدكتور الحمد .

ويردُ الصورة الثانية للقاف التي ينطقها السودانيون غينـًا أو قريبـًا من الغين ، وينطقها كذلك بعض أهل القرى في فلسطين أنَّ سيبويه عدَّ القاف التي حكم عليهـا بـالجهر مـن الحروف الشديدة [٤] ، وهذه الصورة للقاف صوت رخو إن نُطقت غينـًا كما هي صـوت بينيٌّ [٥] إن نطقت بين الغين والجيم القاهرية ، ومن المستبعد ألاَّ يفطن سيبويه لرخـاوة ذلك الصوت وقد حكم على الغين بالرخاوة [٦] لذلك عدَّ الدكتور غانم الحمد هذا المذهبَ في تفسير حكم سيبويه على القاف بالجهر (أبعدَ عن الواقع من المذهب الـسابق ، لا سـيما أنَّ علماء العربية وعلماء التجويد لم يشيروا إلى هذا الاتجاه في نطق القاف) [٧] كما أشـاروا إلى نطقها في الصورة الأولى كافـًا فارسية .

---

(١) انظر : الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢١٥)

(٢) انظر : المرجع نفسه (٢١٤ – ٢١٦)

(٣) انظر : المرجع نفسه (٢١٦)

(٤) سيبويه (٤ / ٤٣٤)

(٥) في مرتبة وسطى بين الشدة والرخاوة

(٦) سيبويه (٤ / ٤٣٤)

(٧) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢١٧)

٤ – أن القاف في عهد سيبويه لها صورتان لهجيتان ، الأولى القاف المهموسة التي تشيع في النطق العربي الحديث ، والثانية القاف المجهورة التي تشبه الجيم القاهرية ، وتشيع الآن عند البدو كما تشيع في اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، وهي التي وصفها سيبويه . وهو ما اختاره جان كانتينو [١] ومال إليه الباحث علي النعيم [٢] وقد رجّحَتْه الدكتورة حليمة عمايرة [٣] .

وهذا الاحتمال مردود بما ذكرتُه في ردّ احتمال تطور القاف عن الصورة الأولى التي هي شبيهة بالجيم القاهرية ، فقد أشرتُ إلى أنّ هذه الصورة لم تُعرف إلا في أوائل القرن الرابع الهجري ، وأنّ سيبويه حدّد مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها القاف التي تُنطق كالجيم القاهرية أو الكاف الفارسية ، وأنّ علماء اللغة والتجويد ميّزوا بين هذه الصورة للقاف ، والقاف التي يُقرَأ بها القرآن الكريم .

كما يبعُد أن يصف سيبويه صورةً للقاف لم تكن معروفةً في عصره ولم يكن القرّاء يقرأونَ بها ، ثمّ يدعَ وصفَ تلك القاف التي يُقرأ بها القرآن ! فكتابُه إنما ظهر ليحفظَ صفة اللغة التي نزل بها هذا القرآن العظيم .

وإذا كانت هذه الاحتمالات التي ذكرها الباحثون في تفسير الخلاف بين سيبويه والمحدثين في وصف القاف بالجهر لا تخلو من مآخذ ذكرتُها في التعقيب عليها ، فما هو التفسير الراجح لهذا الخلاف ؟

كنتُ قد رددتُ في التعقيب على التفسير الثالث أن تكون القاف التي وصفها سيبويه قافًا كجيم أهل القاهرة أو كقاف السودانيين الآن ، ثم تطورت بعدُ إلى القاف المهموسة التي تشيع الآن في نطق المثقفين في العالم العربي . على أنّني لم أردّ مبدأ التطوّر الذي أراه الاحتمالَ الذي يُعوَّل عليه في تفسير الخلاف بين سيبويه والمحدثين في وصف القاف . ولا يعني ذلك أنّ هذه القاف تطورت كذلك في نطق القرّاء المجيدين اليوم لأنّ القاف التي ينطقونها قاف مقلقلة ، والقلقلة صويت مجهور شبيه بالحركة ، والقلقلة تُعَدُّ – كما سبق تفصيله في تفسير

---

(١) انظر : النعيم ، علي (١٩٨٩ م) ، (١١١)

(٢) المرجع نفسه (١١٩)

(٣) عمايرة ، حليمة (٢٠٠٤ م) ، صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث ، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** ، العدد السابع والستون ، (١٨٣ – ١٨٤)

الخلاف في صوت الطاء – (من مشخِّصات الصوت اللغوي ولوازمه عند المتقدمين لا أمرًا خارجـًا عنه) [١] ، كما أنها صفة لازمة لحروفها في الوقف والوصل سواءٌ كان الحرف ساكنـًا أو متحرِّكـًا ، وإن كانت في الساكن الموقوف عليه أظهرَ من الساكن غير الموقوف عليه وهي في المتحرِّك أقلُّ ظهورًا من كلتا الحالين كما سبق تفصيله أيضـًا في تفسير الخلاف في صوت الطاء . ولكنَّ القلقلة يصعب تكلفها مع القاف المهموسة التي ينطقها المثقفون اليوم إذا تحدثوا بالفصحى لأنَّ هذه القاف تخرج مع نفخ كما قرره سيبويه في حديثه عن الوقف على الحروف المهموسة في النص الثاني ، ولا يمكن اجتماع النفخ والقلقلة ، كما لا يمكن اجتماع الجهر والهمس في صوت واحد ولو كان ممكنـًا لنصَّ على ذلك سيبويه .

وقد ذكر الدكتور سعد مصلوح صورةً من صور القاف التي تشيع في بعض اللهجات العربية المعاصرة في حديثه عن هيئة القفل التامِّ من هيئات التدخل المختلفة في المخارج التي بسببها تختلف الأصوات المنطوقة . وهيئةُ القفل التامِّ تندرج تحتها هيئة القفل المزدوج (ويتمُّ بالتقاء عضوين ناطقين التقاءً تامـًّا يتزامن معه في نفس الوقت التقاء عضوين ناطقين آخريْن بحيث يتمُّ الانفصال وتسريح الهواء في النقطتين أيضـًا في لحظة واحدة) [٢] .
وذكر على القفل المزدوج مثالين هما الطاء المهموزة التي رجّحتُ فيما سبق أن تكون هي الطاء التي وصفها سيبويه ، **والقاف المهموزة** (حيث يصاحب التقاء العضوين الناطقين في مخرج كلٍّ منهما التقاء تامٌّ للوترين الصوتيين ويتمُّ تسريح الهواء في النقطتين في لحظة واحدة) [٣] وعند فك القفل في مخرج كل منهما تحدث القلقلة ويتذبذب معهما الوتران الصوتيان لأنها شبيهة بالحركة كما ذكره علماء التجويد . وتلك هي القاف التي أرجِّح أن يكون سيبويه وصفها بالجهر .

وقد هُمست القاف في نطق من يتحدث الفصحى في العالم العربي الحديث وذهبتْ تبعـًا لذلك صفة القلقلة منها ، وتأثر بذلك بعض القرّاء إلا أنَّ المجيدين منهم حافظوا على النطق

---

(١) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٦)

(٢) مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) ، (٢٠٥)

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصيح الذي وصفته ، وقد قرأتُ القاف والطاء على مثل هذا الوصف علـى شـيخي فـي الإجازة .

وأمّا الهمزة فإنّ القولَ في تفسير الخلاف بين سيبويه والمحدثين في وصفها بـالجهر يَرجع إلى احتمالات ثلاثة :

١ – اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين واختلاف الضوابط التي يُميَّز بهـا بين المجهور والمهموس . والهمزة على هذا التفسير مجهورة بضابط سـيبويه والقـدماء . وواضح أنّ من يذهب هذا المذهب في تفسير الخلاف في صوت الهمزة يتعيَّنُ أن يكون ممن يرى اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين . وقد وقع الدكتور تمّام حسّان في تناقض واضح حين قرَّرَ اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين ثـمّ خطّـأ سيبويه والقدماء في وصف الهمزة بالجهر كما سبق أن أشرتُ إلى مثل ذلـك فـي الطـاء والقاف (١) . كما وقع الدكتور عبد الغفار هلال (٢) والباحث المهدي بوروبه (٣) في مثل هذا التناقض حين ذهبا إلى اختيار هذا التفسير لخلاف القدماء والمحدثين في وصف الهمزة ، بعد أن قرّرا اتفاق حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين . وممن ذهب إلى اختيار هذا التفسير تبعـًا لرأيه في اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين الدكتور حـسام النعيمي (٤) والدكتور عادل أبو شعر (٥) والدكتور يحيى مباركي (٦) .
ويردُّه ما رجحتُه في الفصل السابق من الاتفاق بين سيبويه والمحدثين فـي حقيقـة الجهـر والهمس .

---

(١) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٧)

(٢) هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، (٢٠٤)

(٣) بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، (١٦٣)

(٤) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٤ – ٣١٥)

(٥) أبو شعر ، عادل (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، (٣٨٥)

(٦) مباركي ، يحيى علي يحيى (١٩٩٦ م) ، صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحـدثين ، **مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة** ، العدد الثاني عشر ، (١٥٨)

٢ – أنَّ الهمزة التي وصفها سيبويه تختلف عن الهمزة التي وصفها المحدثون ، فسيبويه أراد بالهمزة التي وصفها بالجهر الهمزة المسهَّلة (همزة بين بين) ، ولم يرد الهمزة المحققة التي اختلف المحدثون في وصفها بين الهمس وعدم جواز وصفها بجهر أو همس . وقد أجمع المحدثون على أن الهمزة المسهَّلة مجهورة لأنها من الصوائت .

ويُفهم من كلام الدكتور حسام البهنساوي أنّه يميل إلى هذا الاحتمال (١) ، كما ذكره الدكتور تمّام حسّان (٢) والدكتور فوزي الشايب (٣) والدكتور غانم الحمد (٤) والدكتور علاء الدين الغرايبة (٥) .

وقد وُفّق الدكتور علاء الدين الغرايبة أيّما توفيق حين استبعد هذا الاحتمال بسبب تمييز سيبويه والقدماء بين الهمزة المحققة والهمزة المسهّلة ، مستدلاً على ذلك بمثل قول سيبويه : (اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء : التحقيق ، والتخفيف ، والبدل . فالتحقيق قولك : قرأت ، ورأس ، وسأل ، ولؤم ، وبئس ، وأشباه ذلك . أمّا التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين ، وتُبدَل ، وتُحذف) (٦) (فسيبويه لم يغفل الحديث عن الهمزة المحققة ، ويُبنى على هذا أنَّ حديثَه وحديثَ القدماء من بعده لا يعني بالضرورة أنهم وصفوا الهمزة المسهلة (بين بين)) (٧) .

كما يردُ هذا الاحتمال أن سيبويه ذكر الهمزة المسهلة (بين بين) من الحروف الفرعية المستحسنة في قراءة القرآن والأشعار (٨) ولم يذكرها من الحروف الأصلية التسعة والعشرين ، ثم لمّا شرع في الحديث عن المخارج والصفات لم يذكر إلا مخارجَ الحروف الأصلية

---

(١) البهنساوي ، حسام (٢٠٠٥ م) ، (١٠٥ – ١٠٦)

(٢) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٧)

(٣) الشايب ، فوزي (١٩٩١ م) ، (١٦١)

(٤) الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢٠٧)

(٥) الغرايبة ، علاء الدين أحمد محمد (٢٠٠٣ م) ، (١١٠)

(٦) سيبويه ، (٣ / ٥٤١)

(٧) الغرايبة ، علاء الدين أحمد محمد (٢٠٠٣ م) ، (١١١)

(٨) سيبويه ، (٤ / ٤٣٢)

التسعة والعشرين وصفاتها ، والهمزةُ المحققة من الحروف الأصلية [١] ، وعدُّه لها في الحروف المجهورة دليل على أنّه يقصد الهمزة التي عدّها في هذه الحروف الأصلية التسعة والعشرين . ويبعُد أن يذكرَ مخارج الحروف الأصلية وصفاتها ويكونَ قصده بالهمزة التي عدّها من الحروف المجهورة حرفًا فرعيًّا هو الهمزة المسهّلة .

٣ – خطأ سيبويه والقدماء في وصف الهمزة بالجهر ، والقائل بهذا التفسير يتعين أن يكون ممن يرى اتفاق سيبويه والمحدثين في حقيقة الجهر والهمس . وقد اختار هذا التفسير الدكتور تمّام حسّان [٢] مع أنه ممن يرى اختلاف حقيقة الجهر والهمس بين سيبويه والمحدثين كما ذكرتُ آنفًا ، كما ذهب إلى اختيار هذا التفسير أكثر الباحثين المحدثين . وبعض هؤلاء الباحثين لم يبين السبب الذي أدّى بسيبويه والقدماء إلى الخطأ في وصف الهمزة مكتفيًا بتخطئتهم كالدكتور صبري المتولي [٣] ، وبعضهم فسّر هذا الخطأ بأنّ " سيبويه والقدماء خلطوا بين الهمزة وحركتها ، فنسبوا جهر الحركة للهمزة نفسها ، كالمستشرقيْن آرتور شاده وأوليري [٤] والدكتور كمال بشر [٥] والدكتور غانم الحمد [٦] والدكتور محمد الجبوري [٧] والدكتور فيصل العمري [٨] والدكتور علاء الدين الغرايبة [٩] والدكتور إبراهيم الرفوع [١٠] .

---

(١) سيبويه ، (٤ / ٤٣١)

(٢) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٧)

(٣) المتولي ، صبري (٢٠٠٦ م) ، (٥٦)

(٤) انظر : الشايب ، فوزي (١٩٩١ م) ، (١٦٢)

(٥) بشر ، كمال (١٩٧٣ م) ، (١١٥)

(٦) الحمد ، غانم (٢٠٠٣ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، (٢٠٧)

(٧) الجبوري ، محمد (٢٠٠٦ م) ، (٧٤)

(٨) العمري ، فيصل (٢٠٠٤ م) ، (٤٥)

(٩) الغرايبة ، علاء الدين أحمد محمد (٢٠٠٣ م) ، (١١١)

(١٠) الرفوع ، إبراهيم خليل (٢٠١١ م) ، **الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني ، دراسة مقارنة في التشكيل الصوتي** ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، (٩٠)

والعجب كيف يُخطِئ سيبويه في وصف الهمزة بالجهر لأنه خلط بين الهمزة وحركتها ، وهو قد ميز تمييزًا دقيقًا بين الهمزة والحركة ، وحكم على الحركات الطويلة والقصيرة بالجهر كما سبق بيانه . ولم يخلط بين الحرف والحركة في اختبار الحروف جميعِها عدا الهمزة التي ادُّعيَ فيها هذا الادِّعاء .

ويُستأنس في ردِّ هذا الاحتمال بالمماثلة الجزئية بين الزاي والسين قبل الهمزة في قول العرب : (زَأَته يزأته زأتًا ، وسأته يسأته سأتًا : إذا خنَقه) حيث يُعلَّلُ مثل هذا الإبدال بين الزاي والسين بأن الزاي ماثلت الهمزة في جهرها ، ولا يُقال : لماذا لا يكون الأصل بالزاي (زأتَ) ثم ماثلت الزاي الهمزة في همسها فصارت (سأت) ، لأن أكثر علماء اللغة ذكرها بالسين ، وهذا يوحي بأنّه الأصل حيث لم يذكر صاحب اللسان مثلاً (زأت) إلا بالسين [١] .

ويُستأنس كذلك بالمماثلة الجزئية بين الزاي والسين بعد الهمزة في قول العرب : (مكان شأز وشأس ، وهو الغليظ ، وقد شئسَ يشأس ، وشئزَ يشأز ، إذا صلُب وغلُظ) [٢] ، وقولهم : (أزَّ فلانٌ فلانًا يؤزّه ، وأسَّه يؤسّه : إذا حرّكه ، وهو الأزُّ والأسُّ) [٣] .

ويردُّ هذا الاحتمالَ أيضًا أنَّ الخصائص النطقية للمجهور التي ذكرها سيبويه وأشار إلى أنها تظهر عند ذوقه واختباره تنطبق على الهمزة المحققة التي وصفها سيبويه بالجهر ، كما تنطبق على الأصوات المجهورة عند المحدثين . وهذه الخصائص النطقية تتمثل في امتناع النفس عند تكرير الهمزة المحققة محرّكةً ، وعدم إمكان إخفاء الصوت معها إخفاءً تظل فيه محافظةً على جرسها وخصائصها السمعية . لذلك أشار سيبويه إلى أنَّ الهمزة يجب ألا تُتبع بقلقلة أو نفخٍ أو نحو النفخة كما في نصه الثاني ، ولو كانت من الحروف المهموسة لخرجت مع النفخ (وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ) [٤] .

---

(١) انظر : أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ، **كتاب الإبدال** ، (٢ / ١١٩)

(٢) المصدر نفسه (٢ / ١٠٧)

(٣) المصدر نفسه (٢ / ١١٣)

(٤) سيبويه (٤ / ١٧٥)

ولكن كيف يُفسَّر اتفاق سيبويه والمحدثين في حقيقة الجهر والهمس وصحةُ حكم سيبويه على الهمزة بالجهر مع إجماع أغلب الباحثين المحدثين على نفي صفة الجهر عن الهمزة ؟

نصَّ المحدثون على أنَّ الجهر هو ذبذبة الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت ، وتؤدِّي هذه الذبذبة إلى تحويل النفس الخارج من الرئتين إلى صوت مسموع – حسب اصطلاح سيبويه والقدماء للصوت والنفس – ، وهذا الصوت المسموع يحمله هواء الزفير أو النفس مع الصوت المجهور ، ولكنَّ القدماء اصطلحوا عليه بالصوت فحسب ، ونصّوا تبعًا لذلك على امتناع النفس مع المجهور . وليست ذبذبة الوترين وحدها هي التي تسبب منع النفس مع المجهور ، فانطباق الوترين الصوتيين ذلك الانطباقَ الذي يؤدي إلى نطق الهمزة المحقّقة يسبِّبُ أيضًا منع النفس كما يسبب منع الصوت لذلك كانت الهمزة مجهورة شديدة عند سيبويه ، فجهرها لامتناع النفس مع النطق بها لانطباق الوترين ، وشدتها لامتناع جريان الصوت معها للسبب ذاته . وعلى هذا فإن تعريف سيبويه للجهر يشمل كل الأصوات التي عدّها المحدثون مجهورة لتذبذب الوترين الصوتيين معها كما يشمل صوتي الطاء والقاف على ما رجّحتُه . ويشمل زيادةً على ذلك الهمزة لأن انطباق الوترين عند نطقها يمنع معها النفس والصوت لذلك كانت أخفى الحروف في الوقف كما ذكره سيبويه [١] . وقد دلّت الدلائل في الفصل السابق على أنَّ خصائص المجهور والمهموس التي ذكرها سيبويه تنطبق تمام الانطباق مع الخصائص التي ذكرها المحدثون . كما دلّت الدلائل أيضًا على اتفاق حقيقة الجهر والهمس عند سيبويه والمحدثين . وقد التفت المحدثون إلى دور الوترين الصوتيين في نطق الصوت المجهور والمهموس **عند تعريفهما** دون الالتفات إلى خصائصهما النطقية والسمعية ، كما التفت سيبويه إلى هذه الخصائص دون الوقوف على ماهية دور الوترين عند تعريفه للمجهور والمهموس . وهذه الخصائص التي ذكرها سيبويه تدلُّ على أن للمجهور عنده وضعين تصويتييْنِ هما وضع الذبذبة ووضع القفل التامّ .

وقد استثنى المحدثون وضع القفل التامّ وجعله بعضهم مندرجًا تحت الهمس كالدكتور تمام حسّان [٢] والدكتور حسام النعيمي [٣] والدكتور خليل العطية [٤] ، كما جعله بعضهم

---

(١) سيبويه ، (٤ / ١٧٧) .

(٢) حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، (٩٧)

(٣) النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، (٣١٤)

(٤) العطية ، خليل إبراهيم ، (٤٤ – ٤٥)

قسمـًا مستقلاً فلم يرَ جواز وصف الهمزة بجهر أو همس ، وعلى ذلـك أغلـب البـاحثين المحدثين .

ولا يعني هذا أن حقيقة الجهر والهمس عند سيبويه تختلف عن المحدثين تمام الاختلاف ، بل هي عينها ، ولكنها تعمّ إلى وضع الذبذبة الذي بنى عليه المحدثون تعريفهم للجهـر وضـعَ القفل التامّ للوترين الصوتيين ، لأن الأصوات الصادرة عن هذين الوضـعين تـشترك فـي الخصائص النطقية التي ذكرها سيبويه ، وهي خصائص تتمثل في امتناع الـنفس – علـى اصطلاحهم – مع المجهور ، وعدم إمكان إخفاء الصوت معه إخفاءً يظل محافظـًا فيـه على جرسه وخصائصه السمعية ، وقد ظنّ المحدثون أنّه يجب أن يكـون للجهـر وضـعٌ تصويتي واحد في الحنجرة ، وهذا ليس بلازم أو واجب على ما توهّموه ، ويجب أن يُضافَ وضعُ القفل التامّ إلى وضع الذبذبة في تعريف المجهور عند المحدثين كما يجب أن تُـضاف إليه الخصائص التي ذكرها سيبويه لهذا النوع من الأصوات . وقد سلفت الإشارة إلى أوضاع الوترين الصوتيين في التمهيد . كما وافق سيبويه في وصف الطاء والقاف والهمزة بالجهر من الباحثين المحدثين العلامة محمود محمد شاكر (١) ، والدكتور صبحي الصالح (٢) .

وقد أخّر الباحث هذه الإضافة في مناقشة الخلاف بين الباحثين المحدثين في معنى الجهـر والهمس عند سيبويه إلى هذا الفصل ولم يعرض لها في الفصل الـسابق الـذي يظهـر أنـه موضعها اللائق بها ، لأنها لا تتبين إلاّ بتفصيل الخلاف الواقع في وصف الهمزة ، وبهـذا يكون فهم سيبويه للجهر والهمس أدَقّ وأشملَ من فهم المحدثين الذين حصروه فـي وضـع تصويتي واحد ، وتوّهموا عدم إمكان شموله لوضعين تصويتيين ليشمل بعدُ جميعَ الأصوات التي تشترك في الخصائص النطقية التي ذكرها سيبويه وأقرّها البحث الصوتي الحديث ، مع أنـه لم يتوقر على ما توقر عليه المحدثون من التكنولوجيا وآلاتها .

---

(١) جمال ، عادل سليمان (٢٠٠٣ م) ، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر** ، الطبعة الثانيـة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، (٢ / ٧١٥) .

(٢) الصالح ، صبحي (٢٠٠٤ م) ، **دراسات في فقه اللغة** ، الطبعة السادسة عشرة ، بيـروت ، دار العلم للملايين ، (٢٨٨) .

ثبـــت المصادر والمراجع

الأستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) رضي الدين محمد بن الحسن ، **شرح شافية ابن الحاجب** ، الجزء الثالث ، (تحقيق : الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م .

الأنباري (ت ٣٠٤ هـــ) ، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار ، **شرح المفــضليات** ، (حققه : كارلوس يعقوب لايل) ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت : ١٩٢٠ م .

أنيس ، إبراهيم (١٩٨٤ م) ، **الأصوات اللغوية** ، الطبعة السادسة ، القــاهرة : مكتبـــة الأنجلو المصرية .

أيوب ، عبد الرحمن (١٩٨٤ م) ، **الكلام إنتاجه وتحليله** ، الطبعة الأولى ، الكويـــت : مطبوعات جامعة الكويت .

الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ، أبو بكر محمد بن الطيب ، **إعجاز القرآن** ، (تحقيق السيد أحمد صقر) ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٧ م .

بركة ، بسام ، (د . ت) ، **علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية** ، بيـــروت : مركـــز الإنماء القومي .

أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، **أسرار العربية** ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

البهنساوي ، حسام (٢٠٠٥ م) ، **الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والـــدرس الصوتي الحديث** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق .

الجبوري ، محمد (٢٠٠٦ م) **مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية .

الجريسي ، محمد مكي نصر (ت ١٣٢٢ هـ) ، **نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق عبد الله محمود محمد عمر) ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .

ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن يوسف ، **التمهيد في علم التجويد** ، (حققه : الدكتور علي حسين البواب) ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف ، الرياض : ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

جمال ، عادل سليمان (٢٠٠٣ م) ، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة الخانجي .

ابن جني (٣٩٢ هـ) ، أبو الفتح عثمان بن جني ، **الخصائص** ، الطبعة الرابعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ت ، القاهرة .

ابن جني (٣٩٢ هـ) ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، **سر صناعة الإعراب** ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

حسّان ، تمّام (١٩٨٥ م) ، **اللغة العربية ، معناها ومبناها** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامّة للكتاب .

حسّان ، تمّام (١٩٨٩ م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، القاهرة : مكتبة النسر للطباعة .

الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٤ م) ، **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، عمّان : دار عمّار للنشر والتوزيع

الحمد ، غانم قدوري (٢٠٠٧ م) ، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، الطبعة الثانية ، عمّان : دار عمّار للنشر والتوزيع .

ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ، **جمهرة اللغة** ، (تحقيق : رمزي منير بعلبكي) ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٨٧ م

الرازي (٣١٣ هـ) أبو بكر محمد بن زكريا ، **الحاوي في الطب** ، الطبعة الأولى ، (اعتنى به : هيثم خليفة طعيمي) ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .

الرفوع ، إبراهيم خليل (٢٠١١ م) ، **الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني ، دراسة مقارنة في التشكيل الصوتي** ، الطبعة الأولى ، عمّان : دار الحامد للنشر والتوزيع .

الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، **الجمل** ، (تحقيق الشيخ ابن أبي شنب) ، الجزائر : مطبعة جول كربونل ، ١٩٢٦ م .

الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد ، **المفصّل في صنعة الإعراب** ، (تحقيق الدكتور علي بو ملحم) ، بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٩٣ م .

ابن زنجلة ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت بعد ٣٨٢ هـ) ، **حجة القراءات** ، الطبعة الخامسة ، (تحقيق سعيد الأفغاني) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

ستيتية ، سمير (٢٠٠٣ م) ، **الأصوات اللغوية ، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية** ، الطبعة الأولى ، عمّان : دار وائل للنشر .

السعران ، محمود ، (د .ت) ، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

عبد التواب ، رمضان (١٩٨٨ م) ، **بحوث ومقالات في اللغة** ، الطبعة الثانية ، القــاهرة : مكتبة الخانجي .

عبد الجليل ، عبد القادر (١٩٩٨ م) ، **الأصوات اللغوية** ، الطبعة الأولى ، عمّــان : دار صفاء للنشر والتوزيع .

عبده ، داود (٢٠١٠ م) ، **دراسات في علم أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، عمّــان : دار جرير للنشر والتوزيع .

العسكري (ت ٣٩٥ هــ) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيـــى ابــن مهران ، **الفروق اللغوية** ، (حققه : بيت الله بيّات) ، الطبعة الأولى ، قــمّ ، إيــران : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٢ هــ .

العطية ، خليل إبراهيم (د. ت) ، **في البحث الصوتي عند العرب** ، بغداد : دار الجاحظ للنشر .

ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) ، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي الهمذاني المصري من نسل عقيل بن أبي طالب ، **المساعد على تسهيل الفوائد** ، الجزء الرابع ، (تحقيق الدكتور محمد كامل بركات) ، مكة المكرّمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

عمر ، أحمد مختار (١٩٨١ م) **دراسة الصوت اللغوي** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار عالم الكتب .

ابن فارس (ت ٣٩٥ هــ) ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، **المقاييس في اللغة** ، (حققه : شهاب الدين أبو عمرو) ، دار الفكر ، بيروت : د . ت

السكاكي (٦٢٦ هـ) ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي ، **مفتاح العلوم** ، (تحقيق نعيم زرزور) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

أبو سكين ، عبد الحميد محمد (١٩٨٣ م) ، **دراسات في التجويد والأصوات اللغوية** ، شبرا ، مصر : مطبعة الأمانة .

ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، **سرُّ الفصاحة** ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، **الكتاب** ، الطبعة الثانية ، (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون) ، القاهرة ، مكتبة الخانجي – الرياض : دار الرفاعي ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، **شرح كتاب سيبويه** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التوّاب والدكتور محمود فهمي حجازي ، عام ١٩٨٦ م .

ابن سينا (٤٢٨ هـ) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، **القانون في الطب** ، الطبعة الأولى (وضع حواشيه : محمد أمين الضناوي) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

ابن سينا (٤٢٨ هـ) ، **رسالة أسباب حدوث الحروف** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق : محمد حسان الطيّان ويحيى مير علم) ، تقديم ومراجعة : شاكر الفحّام وأحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨٣ م .

السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، الجزء السادس ، (تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم) ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

شاهين ، عبد الصبور (١٩٩١ م) ، **في التطور اللغوي** ، القاهرة : مكتبة الشباب .

الشايب ، فوزي (١٩٩٩ م) ، **محاضرات في اللسانيات** ، عمّان : نشر وزارة الثقافة .

الشطناوي ، منير تيسير (٢٠٠٩ م) ، **نظرات في علم الأصوات** ، ، عمّان : من منشورات الجامعة الهاشمية .

الصيّغ ، عبد العزيز (٢٠٠٠ م) ، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار الفكر .

الصالح ، صبحي (٢٠٠٤ م) ، **دراسات في فقه اللغة** ، الطبعة السادسة عشرة ، بيروت : دار العلم للملايين .

الضالع ، محمد صالح (١٩٩٠ م) ، **علم الأصوات عند ابن سينا** ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .

الضبي (توفي نحو ١٦٨ هـ) ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم ، **المفضليّات** ، (تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٩٤ م .

ابن الطحّان (ت ٥٥٩ هـ) عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة بن عبد العزيز ، ابن الحاج السماتي الاندلسي الإشبيلي ، **مخارج الحروف وصفاتها** ، (تحقيق محمد بن يعقوب التركستاني) ، بيروت ، مركز الصف الإلكتروني براج وخطيب ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .

أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي الحلبي ، (ت ٣٥١ هـ) ، **كتاب الإبدال** ، (تحقيق عز الدين التنوخي) ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق : ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م .

ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي ، **الصاحبيَ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** ، (حققه وضبط نصوصه وقدّم له : الدكتور عمر فاروق الطباع) ، الطبعة الأولى ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) الخليل بن أحمد ، **كتاب العين** ، (تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي) ، دار الهلال ، بغداد : ١٩٨٥ م .

قدّور ، أحمد محمد (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ، **أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الفكر المعاصر - دمشق : دار الفكر ، .

القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** ، الطبعة الخامسة ، (تحقيق الدكتور محي الدين رمضان) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .

كانتينو ، جان ، **دروس في علم أصوات العربية** ، (نقله إلى العربية صالح القرمادي) ، نشر : مركز الدراسات النحوية والاقتصادية والاجتماعية .

المبرِّد (ت ٢٨٥ هـ) ، أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، **المقتضب** ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، (تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة) ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف المصرية ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤م .

المتولي ، صبري (٢٠٠٦ م) ، **دراسات في علم الأصوات** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار زهراء الشرق .

المرادي ، الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ، **الجنى الداني في حروف المعاني** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل) ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٢ م .

مصلوح ، سعد (١٩٨٠ م) **دراسة السمع والكلام** ، القاهرة : دار عالم الكتب .

مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، أبو محمد القيسي ، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها** ، الطبعة الثالثة ، (تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات) ، عمّان : دار عمّار للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م .

.

ابن ملكا (ت ٥٤٧ هـ) أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي ، **المعتبر في الحكمة** ، حيدر أباد : جمعية دار المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ هـ .

ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، الطبعة الرابعة ، دار صادر ، بيروت : ٢٠٠٥ م .

النحّاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ هـ) ، **إعراب القرآن** ، الطبعة الأولى ، (اعتنى به الشيخ خالد العلي) ، دار المعرفة ، بيروت : ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

النعيمي ، حسام (١٩٨٠ م) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، بغداد : دار الرشيد للنشر .

النعيمي ، حسام (د . ت) ، **أصوات العربية بين التحول والثبات** ، بغداد : سلسلة بيت الحكمة (٤) ، جامعة بغداد .

ابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ) ، أبو الحسن علاء الدين علي بن أبـي الحـزم القـرَشي الدمشقي ، **شرح تشريح القانون** ، (تحقيق : الدكتور سلمان قطاية والدكتور بول غليونجي) ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٨ م .

ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، الجزء الثاني ، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ، صيدا - بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

هلال ، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩ م) ، **الصوتيات اللغوية ، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الكتاب الحديث .

ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الموصلي ، **شرح المفصَّل للزمخشري** ، الطبعة الأولى ، (تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

الدوريّات

بخوش ، كمال (٢٠٠٨ م) ، الدرس الصوتي عند سيبويه من خلال : الكتاب (مخارج وصفات حروف العربية) ، **الصوتيات** ، حولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة ، جامعة سعد دحلب – البليدة ، الجزائر ، العدد الخامس .

الحاج صالح ، عبد الرحمن (١٩٨٥ م) ، تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل ، **الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني** ، الطبعة الأولى ، مجمع اللغة العربية الأردني ، عمّان .

حسّان ، تمّام (١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م) ، مصطلحات سيبويه في أصوات العربية ، **مجلة الأزهر** ، عدد شوال .

الحمد ، غانم قدّوري (٢٠٠٩ م) ، وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة ، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** ، العدد السابع والسبعون .

ستيتية ، سمير شريف (١٩٨٧ م) ، ميكانيكية النطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية ، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** (المجلد الثاني والستون ، الجزء الثالث)

عمايرة ، حليمة (٢٠٠٤ م) ، صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث ، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** ، العدد السابع والستون .

مباركي ، يحيى علي يحيى (١٩٩٦ م) ، صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين ، **مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة** ، العدد الثاني عشر .

الهليس ، يوسف (١٩٧٧ م) ، علم الصوتيات عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث ، **أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب** ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي

الرسائل الجامعيـــَّة

بوروبه ، المهدي (١٩٨٩ م) ، **المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة حلب ، حلب ، سورية .

جميل ، ابتسام حسين (٢٠٠٣ م) ، **الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الاحتكاكيـــة في العربية** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، الأردن

الخليل ، عبد القادر مرعي العلي (١٩٨٩ م) ، **المصطلح الصوتي عند علمـــاء العربيـــة القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر** ، أطروحة دكتوراة غير منـــشورة ، جامعـــة عـــين شمس ، القاهرة ، مصر .

السامرائي ، إبراهيم عبود ياسين (١٩٩٣ م) ، **المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث** ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، الجامعة الأردنيّة ، عمّان ، الأردن .

أبو شعر ، عادل إبراهيم عبد الله (١٤٢٤ – ١٤٢٥ هـ) ، **المصطلحات الـــصوتية فـــي التراث اللغوي عند العرب ، دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القـــرن الـــسادس الهجري** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، السعودية .

العمري ، فيصل حسن إبراهيم (٢٠٠٤) ، **أثر الجهر والهمس والمخرج في المبنى والمعنى للغة** ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن .

الغرايبة ، علاء الدين أحمد محمد (٢٠٠٣ م) ، **التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في** ضوء علم اللغة المعاصر ، الجامعة الأردنيّة ، عمّان .

النعيم ، علي عبد الله أحمد (١٩٨٩ م) . **الوتران الصوتيان وتحليل وظائفهما النطقية فـــي دراسة أصوات اللغة العربية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرمـــوك ، إربـــد ، الأردن" .

مواقع الشبكة العالميّة

* http://www.emedicinehealth.com/choking/page٢_em.htm

* http://zahid٦٦.arabblogs.com/archive/٢٠٠٨/٧/٦٢٥٢٣٩.html

VOICING AND NON VOICING IN SIBAWAY'S BOOK

By

Hamzah Ibraaheem Annadi

Supervisor

D . Ja'afar Abaabena

ABSTRACT

This study focuses on the different point of view among the modern scholars in explaining the definition of voicing (Jaher) and non vocing (Hams) in Sebawai's Book . That difference emerged because Sebawi didn't relate voicing and non - voicing to the vocal cords as the phonations did . So , I began searching in the history of that relation , I found that Arabs knew the two vocal cords and realised their impact on sound production . Antwain Frain (18 th century scholar) wasn't the first who discover the vocal cords , but he was the first who discover their impaction in voicing and non - voicing .

This study consists of two chapters , the first one handles the modern scholars' opinions regarding voicing and non - voicing in Sebawai's and the notes of each

scholar against his opponent . The researcher divided these opinions into two parts , the first is the agreement

on voicing concept between Sebawi and the modern scholar , while the second shows the disagreement . The researcher supported the first one .

According to Sebawi , voicing means the sound which causes vibration on the vocal cords , then the researcher presented the discussion about the semantics of the concepts in Sebawi's .

The second chapter handles the scholar opinions regarding the description of (- At.a'a - Alqaf - Alhamza) , the researcher showed that Sebawi described (At.a'a) correctly because he meant that (At.a'a) which is accompanied by the closure of vocal cords , the ancients made that sound apart of the official (At.a'a) , the same is applied to (Alqaf) sound he also explained that those two sounds are classified under vibrated cords in old official Arab language .

Sebawi described the (Alhamza) as voicing while modern scholars disagre , because audio characteristics of voicing sounds are applied to the (Alhamza) so this shows that voicing results from two phonetic situations of the cords the vibration and full closer . It shouldn't only be made in one phonetic situation .